وزارة التعاليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة تاريخ

العنوان:

موقف الطرق الدينية من أطراف الصراع في الحرب العالمية الأولى 1914-1918م

مذكرة التخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: المقاومة والحركة الوطنية 1830-1954م

من إعداد الطالبتان:

- بلحاج المهدي فتيحة
- بلحاج المهدي أمينة

تحت إشراف

* د. امحمد دراوي

السنة الجامعية: 2018-2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

شكرا لله على النعم، نشكر الله على توفيقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع

فالحمد لله على كل شيء.

...لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

...نشكر كل أساتذة شعبة التاريخ ونتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور المشرف أمحمد دراوي الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل منذ أن كان فكرة إلى أن أصبح مذكرة، كما نشكر كل توجيهاته لنا لإتمام هذا العمل من خلال إسهاماته العلمية والعملية وحتى صورته التعاونية في خدمة الطالب والجامعة منذ أن عرفناه

كما نشكر الأستاذ مولود قرين بجامعة المدية الذي ساعدنا في الحصول على المراجع التي تخص هذه المذكرة

ولا يسعنا في هذا المقام إلى أن نشكر من ساعدنا عبر موقع التواصل فيسبوك ونخص بالذكر الطالب والأخ والصديق عبد الحميد جزيل الشكر والعرفان

...كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الجنة الموقرة لقبولها مناقشة ودراسة هذا العمل

إهداء

الحمد لله الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل

إلى من يعجز اللسان والقلم عن وصفها إلى التي أنارت درب حياتنا

وعلمتنا وسهرت الليالي لأجلنا فكانت السند القوي والحصن المتين

نهدي هذا العمل

إلى من تقع الجنة تحت أقدامها وأمرنا الرحمن بطاعتها إلى أغلى ما نملك

في الوجود أمنا الحنون.

إلى من رعانا وشجعنا وحمانا، وكان سندنا في الحياة ومثلنا الأعلى في التضحية والعطاء

أبانا.

إلى كل من إخوتنا وأخواتنا

إلى زميلاتنا في الإقامة الجامعية

إلى كل أساتذتنا الكرام عبر كامل مشوارنا الدراسي من الابتدائي حتى الجامعي

وإلى كل من يعرفه فتيحة وأمينة من قريب أو بعيد

إلى كل هؤلاء نهدي ثمرة جهدنا ومحصول أفكارنا

أمينة وفتيحة

مقـــــدمة

ظهر التصوف في بلاد المشرق الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري (الثامن ميلادي) و منه انتقل إلى بلدان المغرب الإسلامي و الأندلس ،أين ظهرت المدارس الصوفية بالجزائر ابتداء من القرن الثامن هجري الموافق ل(الرابع عشر ميلادي)في عدد من المدن الكبرى و الأرياف ،و استقطب معظم الشرائح الاجتماعية ،و بذالك أصبحت الطرق الدينية من الموضوعات التي تشغل الكثير من الناس و العديد من الباحثين و الدارسين داخل الجزائر و خارجها،و ذالك نظر لأهميتها البالغة في الإسلام و مكانتها الدينية و الاجتماعية و السياسية ،حيث يشهد التاريخ على الكثير من المواقف الشجاعة لهذه الطرق إزاء مواجهة العدو و الاهتمام بالطبقات المستضعفة .

و عليه فور اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918) التي تعتبر بمثابة أول صدام عالمي في تاريخ البشرية ومن الأحداث الكبرى التي رسمت معالم تاريخنا المعاصر و التي شملت مختلف القطاعات السياسية ،الاقتصادية و الدينية و الاجتماعية ،و اتسع نطاقها الجغرافي العالم الإسلامي، اتخذت كل من الأطراف المتصارعة المتمثلة في دول الوفاق و المركز سياسة دينية خاصة بعد انضمام الدولة العثمانية الحرب إلى جانب الألمان .

و نظرا لأهمية العامل الديني في استقطاب الشعوب الإسلامية فقد لجأت الأطراف المتصارعة إلى توظيف رموز الدين لترويج مخططاتهم و مشاريعهم الاستعمارية ،فلم يقتصر الأمر على الدولة العثمانية و حليفتها ألمانيا بل اتسع أيضا للدول استعمارية أخرى في توظيف هذا العنصر في صراعها و المتمثلة في فرنسا و حلفائها ،هذا الصراع ترتب عنه إصدار فتاوى دينية كالفتوى الشريفية من طرف ألمانيا التي استغلت فيها العامل الديني المتمثل في دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانبها التي تمثل الخلافة للمسلمين و من جهة أخرى محالة توظيف رموز الدين و استمالة الطرق الدينية من طرف الدعاية الفرنسية المضادة ضد العثمانيين ،و عملت هي الأخرى على إصدار فتاوى التي عملت على تحصيلها من رجال الدين و الشيوخ الرسميين ،نظرا لإدراك الطرفان المتصارعان بأهمية هذه الطرق و الثقل الديني و الروحي الذي تتميز به خلال تلك الفترة ،هذا ما جعلنا نبني عنوان موضوعنا كالتالي :**موقف الطرق الدينية من أطراف الصراع في الحرب العالمية الأولى(1914-1918).**

دوافع اختيار الموضوع :

إن هذا البحث جاء بتحريك جملة من الدوافع و الأسباب تتمثل في أسباب ذاتية و أسباب موضوعية

الأسباب الذاتية:تتمثل في حضورنا لملتقى الوطني الثاني الموسوم بعنوان الجزائريون في الحرب العالمية الأولى في الذكرى المئوية لنهاية الحرب العالمية الأولى(1914-1918م)المنعقد بجامعة خميس مليانة جيلالي بونعامة 18نوفبر 2019 و من بين تلك المداخلات ألهمت في أذهاننا فكرة دراسة الموضوع

الأسباب الموضوعية:

تعود الأسباب الموضوعية إلى:

-رغبتنا في معرفة مدى تأثير العامل الديني في الشؤون السياسية و الحربية في تلك الفترة ،و معرفة أهمية الطرق الدينية

- قلة الدراسات المتخصصة في هذا الموضوع

-الاهتمام بالمواضيع التي ترتبط بالمواضيع الدينية بالعوامل السياسية و مدى تأثر كل عامل بالأخر.

إشكالية البحث :

من خلا الدوافع السابقة أردنا الخوض في هذا الموضوع" **موقف الطرق الدينية من أطراف الصراع خلال الحرب العالمية الأولى**"لمعرفة كيف كانت مواقف الطرق الدينية في الجزائر من أطراف الصراع خلال الحرب العالمية الأولى؟ .

و للإجابة على الإشكالية قمنا بطرح جملة من التساؤلات الفرعية و هي كالتالي:

1-فيما تمثلت الأبعاد الدينية للحرب العالمية الأولى ؟

2-ما مدى نجاح الدعاية العثمانية- الألمانية في استمالة الطرق الدينية ؟

3-هل كانت المواقف التي تم تحصيلها تعبر فعلا عن مضمونها ؟أم هي عبارة عن مواقف ظاهرية فقط لا علاقة لها بأصحابها ؟أو بعبارة أخرى :هل كانت ناتجة عن سياسة الإغراء أم القمع؟.تلك هي التساؤلات التي تشكل محور إشكالية الموضوع الذي نحن بصدد دراسته.

مناهج البحث:

اعتمدنا في دراسة موضوعنا على

1-المنهج التاريخي لدراسة أهمية و مكانة الطرق الدينية و تتبع مجريات الدعاية الألمانية -العثمانية و كيفية تأثيرها على هذه الطرق في محاولة لها من استمالة مواقف إلى جانبها،إضافة إلى ذالك دراسة طبيعة العلاقات الألمانية -العثمانية قبل ذالك.

2-المنهج التحليلي لتحليل مختلف الرسائل و التي ظهرت على شكل نداءات و توصيات من شيوخ الزوايا الرسميين ما أجبرنا على استعمال المنهج التحليلي لتحليل مضمون هذه الرسائل.

3-المنهج النقدي استعملنا المنهج النقدي و ذالك من خلال عرض بعض عناصر من البحث إلى النقد من أجل استخلاص النتائج المتحصل عليها.

أهم المصادر و المراجع:

و لإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع المتخصصة و كانت بالغتين العربية و الفرنسية ،و كذا مجموعة من المجلات و المقالات و الأطروحات الجامعية.

-تمثلت أهم المصادر في مجلة العالم الإسلامي التي تحصلنا عليها من الأستاذ المشرف لإحتواءها على مجموعة من الرسائل المتمثلة في شكل نداءات و توصيات قام بها شيوخ الطرق الدينية في فترة 1914 أي عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى حيث اعتمدنا عليها عن طريق تحليل هذه الرسائل و استخلاص أهم المواقف لمختلف الطرق .

أما فيما يخص المراجع كتاب العجيلي التليلي الذي تحت عنوان صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918الذي كانت له دراسة حول محتوى الفتوى الشريفية و كتابه الذي أصدره مأخرا تحت عنوان السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى الذي تحصلنا عليه من طرف الأستاذ مولود قرين من جامعة المدية ،كانت له دراسة حول السياسة الفرنسية

المتمثلة في الدعاية الدينية لفرنسا وإبراز أهم المواقف الطرق الدينية و تحليلها،و كتاب عبد الكريم بوصفاف رحمه الله تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر الجزء الثاني و هو الأخر حصلنا عليه الأستاذ مولود قرين ساعدنا هذا المرجع أيضا في معرفة موقف الطرق من خلال الوثيقة التي عثر عليها تتكون من أربعة عشر صفحة تحت عنوان "حكم المسلمين في خط تركيا بعد دخولها في الحرب الحاضرة (الحرب الكونية الأولى)،و هي صادرة عن شيوخ الطرق الصوفية و رجال الدين،كذالك من المراجع عبد الرؤوف سنو،ألمانيا و الإسلام في القرن التاسع عشر و العشرين .

خطة البحث.

إن المصادر التي و المراجع التي ذكرناها مسبقا ،مكنتنا من صياغة خطة لهذا البحث ،حيث قسمناه إلى ثلاث فصول :

الفصل الأول :خصصناه لمكانة الطرق الدينية في المجتمع الإسلامي ومن خلاله حاولنا ضبط مفهوم التصوف و نشأته،ثم التعرف على مكانة هذه الأخيرة في المجتمع التي تتمثل في المكانة الدينية و السياسية و الاجتماعية ،و دورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي في كل من الجزائر و تونس و ليبيا لنشير في الأخير إلى بعض الطرق التي كانت موالية لاستعمار الفرنسي حسب ما ورد في المصادر.

الفصل الثاني:خصصناه دور الدعاية الألمانية –العثمانية في استمالة الطرف الدينية ،حاولنا من خلاله دراسة العلاقات العثمانية الألمانية قبل الحرب العالمية و دخول الدولة العثمانية الحرب جانب ألمانيا لنتعرف بعدها على الدعاية الألمانية العثمانية و أساليبها و ركزنا فيه خاصة على الدعاية الدينية .

الفصل الثالث :و هو الفصل الأخير الموسوم تحت عنوان موقف الطرق الدينية من الدعاية و الدعاية المضادة في الجزائر و هو محور بحثنا ،و قبل أن نشير إلى ذالك أردنا إبراز لمحة عن الدعاية الألمانية العثمانية في الجزائر ثم نتعرف على فرنسا و كيفية مواجهتها للدعاية في مستعمراتها من خلال القيام بإجراءات في كل من تونس والجزائر ،ثم نتطرق إلى الدعاية الفرنسية و أساليبها التي تظهر في توظيف رموز الدين ،و نخصص مبحث حول الشيوخ الرسميون و الفتاوى لصالح فرنسا ،تعرفنا فيه على موقف أهم الطرق الدينية كالتيجانية و الرحمانية و القادرية .

و في الأخير أنهينا هذه الدراسة بخاتمة حاولنا من خلالها الإجابة عن الإشكالية المطروحة.

الصعوبات :

و ككل بحث لا يخلو من الصعوبات فإن من الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث

1-نقص المادة التاريخية العلمية المتخصصة المكتوبة في هذا الموضوع نظرا لعدم التركيز عليه من خلال هذا الجانب الذي قمنا بدراسته

2-واجهنا صعوبة في تحليل تلك الرسائل التي كانت تعبر عن موقف الطرق الدينية خاصة من ناحية نوع الخط العربي المكتوب بها مما أخذ منا وقت طويل.

مقـــــــدمة

مقدمة

ظهر التصوف في بلاد المشرق الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري (الثامن ميلادي) و منه انتقل إلى بلدان المغرب الإسلامي و الأندلس ،أين ظهرت المدارس الصوفية بالجزائر ابتداء من القرن الثامن هجري الموافق ل(الرابع عشر ميلادي)في عدد من المدن الكبرى و الأرياف ،و استقطب معظم الشرائح الاجتماعية ،و بذالك أصبحت الطرق الدينية من الموضوعات التي تشغل الكثير من الناس و العديد من الباحثين و الدارسين داخل الجزائر و خارجها،و ذالك نظر لأهميتها البالغة في الإسلام و مكانتها الدينية و الاجتماعية و السياسية ،حيث يشهد التاريخ على الكثير من المواقف الشجاعة لهذه الطرق إزاء مواجهة العدو و الاهتمام بالطبقات المستضعفة .

و عليه فور اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918) التي تعتبر بمثابة أول صدام عالمي في تاريخ البشرية ومن الأحداث الكبرى التي رسمت معالم تاريخنا المعاصر و التي شملت مختلف القطاعات السياسية ،الاقتصادية و الدينية و الاجتماعية ،و اتسع نطاقها الجغرافي العالم الإسلامي، اتخذت كل من الأطراف المتصارعة المتمثلة في دول الوفاق و المركز سياسة دينية خاصة بعد انضمام الدولة العثمانية الحرب إلى جانب الألمان .

و نظرا لأهمية العامل الديني في استقطاب الشعوب الإسلامية فقد لجأت الأطراف المتصارعة إلى توظيف رموز الدين لترويج مخططاتهم و مشاريعهم الاستعمارية ،فلم يقتصر الأمر على الدولة العثمانية و حليفتها ألمانيا بل اتسع أيضا للدول استعمارية أخرى في توظيف هذا العنصر في صراعها و المتمثلة في فرنسا و حلفائها ،هذا الصراع ترتب عنه إصدار فتاوى دينية كالفتوى الشريفية من طرف ألمانيا التي استغلت فيها العامل الديني المتمثل في دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانبها التي تمثل الخلافة للمسلمين و من جهة أخرى محالة توظيف رموز الدين و استمالة الطرق الدينية من طرف الدعاية الفرنسية المضادة ضد العثمانيين ،و عملت هي الأخرى على إصدار فتاوى التي عملت على تحصيلها من رجال الدين و الشيوخ الرسميين ،نظرا لإدراك الطرفان المتصارعان بأهمية هذه الطرق و الثقل الديني و الروحي الذي تتميز به خلال تلك الفترة ،هذا ما جعلنا نبني عنوان موضوعنا كالتالي **:موقف الطرق الدينية من أطراف الصراع في الحرب العالمية الأولى(1914-1918).**

دوافع اختيار الموضوع :

إن هذا البحث جاء بتحريك جملة من الدوافع و الأسباب تتمثل في أسباب ذاتية و أسباب موضوعية

الأسباب الذاتية:تتمثل في حضورنا لملتقى الوطني الثاني الموسوم بعنوان الجزائريون في الحرب العالمية الأولى في الذكرى المئوية لنهاية الحرب العالمية الأولى 1918-2018 المنعقد بجامعة خميس

مليانة جيلالي بونعامة 18نوفبر 2019 و من بين تلك المداخلات ألهمت في أذهاننا فكرة دراسة الموضوع

الأسباب الموضوعية:

تعود الأسباب الموضوعية إلى:

-رغبتنا في معرفة مدى تأثير العامل الديني في الشؤون السياسية و الحربية في تلك الفترة ،و معرفة أهمية الطرق الدينية

- قلة الدراسات المتخصصة في هذا الموضوع

-الاهتمام بالمواضيع التي ترتبط بالمواضيع الدينية بالعوامل السياسية و مدى تأثر كل عامل بالأخر.

إشكالية البحث :

من خلا الدوافع السابقة أردنا الخوض في هذا الموضوع" **موقف الطرق الدينية من أطراف الصراع في الحرب العالمية الأولى**"لمعرفة كيف كانت مواقف الطرق الدينية في الجزائر من أطراف الصراع؟وفيما تمثلت أهم مواقفها ؟

و للإجابة على الإشكالية قمنا بطرح جملة من التساؤلات الفرعية و هي كا لتاليي:

1-فيما تمثلت الأبعاد الدينية للحرب العالمية الأولى ؟

2-ما مدى نجاح الدعاية العثمانية- الألمانية في استمالة الطرق الدينية ؟

3-هل كانت المواقف التي تم تحصيلها تعبر فعلا عن مضمونها ؟أم هي عبارة عن مواقف ظاهرية فقط لا علاقة لها بأصحابها ؟أو بعبارة أخرى :هل كانت ناتجة عن سياسة الإغراء أم القمع؟.تلك هي التساؤلات التي تشكل محور إشكالية الموضوع الذي نحن بصدد دراسته.

منهج البحث:

اعتمدنا في دراسة موضوعنا على

-المنهج التاريخي لدراسة أهمية و مكانة الطرق الدينية و تتبع مجريات الدعاية الألمانية -العثمانية و كيفية تأثيرها على هذه الطرق في محاولة لها من استمالة مواقف إلى جانبها،إضافة إلى ذالك دراسة طبيعة العلاقات الألمانية -العثمانية قبل ذالك

-المنهج التحليلي لتحليل مختلف الرسائل و التي ظهرت على شكل نداءات و توصيات من شيوخ الزوايا الرسميين ما أجبرنا على استعمال المنهج التحليلي لتحليل مضمون هذه الرسائل

-المنهج النقدي استعملنا المنهج النقدي و ذالك من خلال عرض بعض عناصر من البحث إلى النقد من أجل استخلاص النتائج المتحصل عليها

أهم المصادر و المراجع:

و لإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع المتخصصة و كانت بالغتين العربية و الفرنسية ،و كذا مجموعة من المجلات و المقالات و الأطروحات الجامعية.

-تمثلت أهم المصادر في مجلة العالم الإسلامي التي حصلنا عليها الأستاذ المشرف لإحتواءها على مجموعة من الرسائل المتمثلة في شكل نداءات و توصيات قام بها شيوخ الطرق الدينية في فترة 1914 أي عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى حيث اعتمدنا عليها عن طريق تحليل هذه الرسائل و استخلاص أهم المواقف لمختلف الطرق بالإضافة إلى مصدر أخر و مهم هو لوثورب ستودارد حاضر العالم الإسلامي .

أما فيما يخص المراجع كتب العجيلي التليلي كتابه الذي تحت عنوان صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918الذي كانت له دراسة حول محتوى الفتوى الشريفية و كتابه الذي أصدره مأخر تحت عنوان السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى الذي

حصلنا عليه الأستاذ مولود قرين من جامعة المدية ،كانت له دراسة حول السياسة الفرنسية المتمثلة في الدعاية الدينية لفرنسا وإبراز أهم المواقف الطرق الدينية و تحليلها،و كتاب عبد الكريم بوصفاف رحمه الله ، تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر الجزء الثاني و هو الأخر حصلنا عليه الأستاذ مولود قرين ساعدنا هذا المرجع أيضا في معرفة موقف الطرق من خلال الوثيقة التي عثر عليها تتكون من أربعة عشر صفحة تحت عنوان "حكم المسلمين في خط تركيا بعد دخولها في الحرب الحاضرة (الحرب الكونية الأولى)،و هي صادرة عن شيوخ الطرق الصوفية و رجال الدين،كذالك من المراجع عبد الرؤوف سنو،ألمانيا و الإسلام في القرن التاسع عشر و العشرين .

خطة البحث.

إن المصادر التي و المراجع التي ذكرناها مسبقا ،مكنتنا من صياغة خطة لهذا البحث ،حيث قسمناه إلى ثلاث فصول :

الفصل الأول :خصصناه لمكانة الطرق الدينية في المجتمع الإسلامي ومن خلاله حاولنا ضبط مفهوم التصوف و نشأته،ثم التعرف على مكانة هذه الأخيرة في المجتمع التي تتمثل في المكانة الدينية و السياسية و الاجتماعية ،و دورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي في كل من الجزائر و تونس و ليبيا لنشير في الأخير إلى بعض الطرق التي كانت موالية لاستعمار الفرنسي حسب ما ورد في المصادر.

الفصل الثاني:خصصناه دور الدعاية الألمانية –العثمانية في استمالة الطرف الدينية ،حاولنا من خلاله دراسة العلاقات العثمانية الألمانية قبل الحرب العالمية و دخول الدولة العثمانية الحرب جانب ألمانيا لنتعرف بعدها على الدعاية الألمانية العثمانية و أساليبها و ركزنا فيه خاصة على الدعاية الدينية .

الفصل الثالث :و هو الفصل الأخير الموسوم تحت عنوان موقف الطرق الدينية من الدعاية و الدعاية المضادة في الجزائر و هو محور بحثنا ،و قبل أن نشير إلى ذالك أردنا إبراز لمحة عن الدعاية الألمانية العثمانية في الجزائر ثم نتعرف على فرنسا و كيفية مواجهتها للدعاية في مستعمراتها من خلال القيام بإجراءات في كل من تونس والجزائر ،ثم نتطرق إلى الدعاية الفرنسية و أساليبها التي تظهر في توظيف رموز الدين ،و نخصص مبحث حول الشيوخ الرسميون و الفتاوى لصالح فرنسا ،تعرفنا فيه على موقف أهم الطرق الدينية كالتيجانية و الرحمانية و القادرية .

و في الأخير أنهينا هذه الدراسة بخاتمة حاولنا من خلالها الإجابة عن الإشكالية المطروحة.

الصعوبات

و ككل بحث لا يخلو من الصعوبات فإن من الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث

1-نقص المادة التاريخية العلمية المتخصصة المكتوبة في هذا الموضوع نظرا لعدم التركيز عليه من خلال هذا الجانب الذي قمنا بدراسته

2-واجهنا صعوبة في تحليل تلك الرسائل التي كانت تعبر عن موقف الطرق الدينية نظرا لكتابتها بالغة العربية القديمة مما أخذ منا وقت طويل.

الفصل الأول

مكانة الطرق الدينية في المجتمع الإسلامي

I: ماهية التصوف و نشأته

II: مكانة الطرق الدينية في المجتمع الإسلامي

III: الدور العسكري للطرق الدينية في مقاومة الاستعمار الأوروبي

يحتل التصوف مكانة أساسية في تاريخ الإسلام و المجتمعات الإسلامية ،ويعتبر ظاهرة إسلامية أصيلة،بنيت على التقوى و استهدفت تنمية القيم الروحية،و إن التصوف ككل حركة دينية استمدت عناصره و نشأ و تطور في ظل التطورات الشاملة التي مر بها تاريخ المسلمين في القرون الثلاث للهجرة ، حيث أصبح لهذه مكانة في المجتمع الإسلامي،اجتماعية ،دينية، سياسية، ثقافية .

ومن خلال هذا الفصل سنحاول دراسة ما هو الدور الذي لعبته الطرق الصوفية في المجتمع الإسلامي ،حيث كان لها نفوذ عظيم في العالم الإسلامي بصفة عامة و شمال إفريقيا بصفة خاصة ،كالجزائر و تونس و غيرها بحث تنال الطرق الصوفية مكانة رسمية نظرا لأهميتها الكبيرة ،و لهذا ارتأينا تسليط الضوء على هاذ الجانب قبل كل شيء ،ضف إلى ذالك الإشارة إلى دورها في محاربة الاستعمار الأوروبي في العالم الإسلامي و منه تبين المكانة السياسية و العسكرية لهذه لأخيرة و منه يمكن طرح الإشكال التالي :

-ما معنى التصوف ؟و فيما تتمثل مكانته في المجتمع الإسلامي؟إلى أي مدى ساهمت هذه الأخيرة في دحض القوى الاستعمارية؟

I- ماهية التصوف و نشأته

1- مفهوم التصوف

-لغة:

لم يسبق أن دار جدال و نقاش حول موضوع ما بقدر ما دار حول التصوف و الطرق الصوفية ففي البداية وقع اختلاف كبير حول التصوف كلفظ و أصله و مصدره و اشتقاقه ،و قد حاول المهتمون ب التصوف من العرب و المستشرقون الوصول إلى المعنى الأصلي له،و إذ حاولنا نحن أن نعرف التصوف نستوفي حقه لأن العلماء الذين درسوه أحصوا له أكثر من مائة تعريف سنحاول أن ننتقي بعضها فقط:

إن اختلاف العلماء في تعريف التصوف أدى إلى اختلافهم في الاشتقاق اللغوي ،فمنهم من اعتبرها كلمة يونانية الأصل كالبيروني الذي قال :"هذا اللفظ إنما هو تعريف لكلمة"سوف"اليونانية التي تعني الحكمة ،و يسمى الفيلسوف "بلاسويا "أي محب الحكمة .[1]

أما ابن خلدون فيرى انه مأخوذ من الصوف لكنه وضع شرطا و هو إذا سلمنا بأن الكلمة مشتقة من الصوف ،يقول أنهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لباس فاخر الثياب إلى لبس الصوف،و قيل حول لفظ اشتقاق التصوف أنه مشتق من الصوف و قيل أنه من الصفاء و البعض الأخر اعتبره نسبة إلى أهل الصفة ،و البعض الأخر نسبة إلى الصف الأول [2]

و من خلال نص سراج الطوسي في كتابه اللمع أن اسم الصوفية مشتق من الصوف و السبب أنهم لم ينفردا بنوع خاص من العلم بل إليهم جماع العلوم كلها، و لا يمكن أن ينسب إلى المقامات و الأحوال لأنه ينتقل من بعد فترة من مقام إلا مقام لذالك نشبه إلى لبس الصوف فهو أجمع الصوفية ف الملبس هو الذي ميزهم[3].

و يبرر الكلاباذي فيما يخص اشتقاق اللفظ أنه لا يمكن أن يكون التصوف مشتق من الصفاء و الصفة لأن النسبة إليها تكون الصفوة أو الصفائية،و إن أضيفت إلى الصف أو كانت صفية ليجزم أن

[1]-عبد الرحمان عميرة ،التصوف الإسلامي منهجا و سلوكا،مكتبة عميرة للكليات الأزهرية،ص8.
[2]-منال عبد المنعم جاد الله ،التصوف في مصر و المغرب ،(دط)،منشأة المعارف باسكندرية،د ت ،ص115.
[3]-علي سامي النشار،نشأة الفكر الصوفي في الإسلام (الزهد و التصوف في القرنين الأول و الثاني هجري)،ج3،ط8،دار المعارف،كورنيش النيل ،القاهرة،1119،ص37.

كلمة التصوف مأخوذة من الصوف ،و أنه يستقيم اللفظ و تتضح العبارة بذالك ،[1]و اتفق معه القشيري الذي يقول في رسالته بان أصل التصوف من الصوف و هو الصحيح لغويا،ليبرهن أن الكلمة جامدة و أنها تجري على غير قياس فيقول: "...**ومن قال أنها مشتق من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة ،و إن التصوف مشتق من الصف الأول كأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله ،فلمعنى صحيح لكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف...**"

و يقول "**الكلمة كلمة جامدة و لكنها تجري على غير قياس ،و أن اشتقاق الكلمة من الصفاء أو الصفة أما اشتقاقه من الصوف فهو الصحيح لغويا و لكن الصوفية لم يختصوا بلبسه** "[2]

و في نفس السياق يتفق معه الشيخ صالح بن فوازان بن عبد الله الفوزان في حقيقة التصوف أن مشتق من الصوف و أصله من البصرة و هم أناس كانوا يبالغون في الزهد و العبادة و يلبسون الصوف لكي يتشبهوا ب المسيح بن مريم.[3]

-المفهوم الاصطلاحي :

من الناحية الاصطلاحية يعرف التصوف بأنه حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري تدعو إلى الزهد و شدة العبادة تعبيرا عن فعل مضاد للانغماس في الترف،ثم تطور حتى صار طرقا مميزة تبنت مجموعة من العقائد المختلفة تكونت من مناهج كثيرة ،[4] فالتصوف حسب ابن خلدون هو:"العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة[5].

فأغلب مصادر التصوف تتفق على أن التصوف هو التقرب إلى الله بعبادتهو الانقطاع عن ملذات الدنيا،أو هو منهج سلوكي يعتمد على التقشف و التحلي بالفضائل لتزكية النفس و لارتقاء بالروح.[6]فقد اختلف الكثير من العلماء حول ضبط مفهوم التصوف و ذالك لأن المتصوفون نفسهم لم يتفقوا على

[1]-النشار نقلا عن الكلاباذي، المرجع السابق ،ص:38

[2]-أبي قاسم عبد الكريم ابن هوزان القشيري النيسابوري،الرسالة القشيرية في علم التصوف ،تحقيق و إعداد معروف مصطفى رزيق،ط1،المكتبة العصرية صيدا ،بيروت،2001،ص269.

[3]-صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان،حقيقة التصوف و موقف الصوفية من أصول العبادة و الدين ،ط1،1412ه،دار العاصمة ،المملكة العربية السعودية ،1412،ص18.

[4]-عبد الله دجين السهلي،الطرق الصوفية (نشأتها و عقائدها و آثارها)،ط1،دار كنوز إشبيليا،الرياض،1426هجري،2005م،ص10.

[5]-ابن خلدون،المقدمة ،ط2،دار صادر،بيروت،2005،ص357.

[6]-عبد الكريم بوصفصاف،التصوف مفاهيمه و أبعاده،م.دط،جامعة أدرار ،ص4.

تعريف واحد و لم يستطيعوا ضبط مفهوم معين له فهو يختلف حسب الممارسات و يختلف من فترة إلى أخرى ما جعل منه صعب التحكم في مفهومه يقول سعد الله:"**أما رجال الطرق أنفسهم فيختلفون حول تعريف التصوف ،حسب الوسائل التي يستعملونها للوصول إلى هدفهم ،إن البعض يراه في الممارسات و الوسائل التي توصل إلى الحقيقة ،وهي ممارسات التطهير القيام بالواجبات الشرعية على أتم وجه و التحلي بأخلاق و الفضائل و تجنب كل الشبه و المزالق بينما يراه آخرون منهم في الوصول إلى الإلهام و الكشف .و الرؤى و السرحان في عوالم الأسرار الغامضة.**"[1]

وهناك طائفة أخرى ترى أن مصدر التصوف يرجع إلى أصل مسيحي ،و ذالك لمشابهة الصوفية في حياتهم و عزلتهم بالرهبان فالفظ مشتق من الصوف لأن المسيح و حواريه و كذالك الرهبان كان لباسهم الصوف الخشن ،يقول الحسن البصيري المتوفى(110هجرية)"**كان عيسى يلبس الصوف** "[2]

***تعريف الطريقة**

-لغة

الطريقة في اللغة هو السبيل أو المسلك الذي يسلكه الإنسان ،و طريق الرجل :مذهبه يقال "مازال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة،و فلان حسن الطريقة و الطريقة الحال"[3]و جمع الطريق على حين أن الطريقة طرائق.[4]

-اصطلاحا:

الطريقة يعرفها الصوفيين بأنها السيرة المختصة بالسالكين إلى طريق الله تعالى،من قطع المنازل و الترقي في المقامات و من هذا المنظور يمكن القول أنها جملة مراسيم و تنظيمات لجماعات صوفية [5]،فهي عبارة عن مذهب أو ملة دينية التي يسير عليها المؤمنون وفق منهاج شرعي[6].

---

[1]- سعد الله أبو قاسم،تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954ج4،ط1،دار الغرب الإسلامي،1998،ص9.

[2]- إبراهيم محمد التركي،التصوف الإسلامي (أصوله و تطوراته)،ط1،دار الوفاء لدينا،(د-ت)،ص25-26.

[3]-إبن منظور ،لسان العرب،دار صادق للطباعة و النشر،بيروت،سنة1968،مجلد9 ،ص221.

[4]-ماجدة القاسمي الحسين،الطريقة الرحمانية(أركانها و أصولها،(رسالة ماجيستر العلوم الإنسانية كلية أصول الدين)،جامعة الجزائر،2005،ص62.

[5]-عبد الله دجين السهلي،الطرق الصوفية نشأتها و عقائدها،المرجع السابق،ص9.

[6]-خنفوق اسماعيل،دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس(1844-1931)،رسالة ماجيستير في التاريخ الجزائر الحديث و المعاصر،جامعة الحاج لخضر،باتنة،2010-2011،ص15.

و في ضوء ما ذكر عن تعريف التصوف و الطرق الصوفية يمكن القول أن الطريقة هي عبارة عن مجموعة أفراد من الصوفية يتبعون شيخ الطريقة,و يخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي و يحيون حياة اجتماعية يتخللها اجتماعات دورية في مناسبات معينة,فا الطرق مدارس أخلاقية لتهذيب النفوس و ترويضها عمليا على المجاهدة و طاعة الله و تقواه [1].

و منه فان الطريقة بهذا المفهوم هي طريق خاص بنوع من الناس يتميزون عن غيرهم برؤية معينة في المنهج لازم إتباعه للوصول للحقيقة المطلقة عبر مراحل و مقامات محددة تجتهد كل طريقة في استقائها من منابع و مصادر تعتقد أنها يقينية.[2]

2-نشأة التصوف:

-النشأة

إن أي ظاهرة اجتماعية لا يتسنى فهمها إلا في ضوء الظروف السياسية و الدينية والاجتماعية المختلفة،التي أهلت لنشوء هذه الظاهرة و تطورها ،و من ثم كان اهتمام العرب و المسلمين و المستشرقين بتحديد العوامل التي أدت إلى نشأة التصوف .

إن التصوف كفكرة نشأ مع نشأة الإنسان و لا يمكن الاستدلال على هذا باستناد إلى النصوص بدليل أن الإنسان نشأ قبل ظهور الكتابة و التسجيل و بالتالي لا توجد مستندات أو وثائق مسجلة لتثب هذه النظرية ،لكن من البديهي أن الإنسان منذ نشأته كان يتطلع إلى معرفة الغيب[3]،أما التصوف كظاهرة عامة فقد ظهر بصورة ملموسة في أواخر القرن الثاني الهجري و استمر في النمو و الانتشار خلال القرن الثالث هجري ،حيث ارجع ابن خلدون التصوف إلى الاتجاه الذي ساد في القرن الثاني و ما بعده من الإقبال على الدنيا و الانغماس في ملذاتها مما دعا إلى نشوب اتجاه مضاد لها [4]،هذا ما سنراه في أسباب نشأة التصوف في العالم الإسلامي.

[1]-منال عبد المنعم جاد الله،التصوف في مصر...،المرجع السابق،ص125.
[2]-ترمنجهام سبنسر،الفرق الصوفية في الإسلام،ترجمة و تعليق:عبد القادر البحراوي ،ط1،دار النهضة العربية ،بيروت،1997،ص35.
[3]عبد الرحملن بن محمود نموس،الصوفية بين الدين و الفلسفة،طبعة جديدة و منقحة و مزيدة،دار إيمان لنشر و التوزيع،دت،ص61.
[4]منال،التصوف في مصر و المغرب،المرجع السابق،ص121.

وعن نشأة التصوف يذكر العجيلي التليلي أن التصوف ليس دخيلا عن الإسلام و ينفي إرجاع أصوله إلى المسيحية بل هو إسلامي حيث يقول"إنه نشأ في مطلع عصر الدولة العباسية"[1]،وذالك يعود إلى بعض الأسباب التي سنطرق إلى بعضها

-أسباب نشأة التصوف:

من أسباب نشأة التصوف في العالم الإسلامي و التي لم يختلف عليها الباحثون و رجال الطرق الصوفية كثيرا و أجمعوا على أن من بين الأسباب هي اتساع رقعة الدولة الإسلامية ،و دخول الكثير من العادات و التقاليد الغريبة عن الإسلام ،و تخلي الناس عن كثير من أمور الدين،[2]و شيوع مجالس الخمر و أماكن اللهو،مما كان له أثر كبير في انبعاث دعوة تدعوا إلى محبة الله وتذكر بالعذاب الآخرة [3]كما سبق و أن أشرنا من قبل .

و من العوامل التي أدت إلى ظهور التصوف رأى المستشرق نيكسون أن التصوف الإسلامي نشأ في نزعة الزهد التي سادت القرن الأول الهجري ،في المجتمع الإسلامي نتيجة عاملين هما المبالغة في الشعور بالخطيئة و الخوف الشديد من الله عز و جل .

وكان لظروف الاقتصادية أيضا دور في نشأة التصوف لاسيما عندما يرى المنعدم المال و النعمة في يد غيره يشعر بالحرمان من ثم يلجأ إلى التصوف، محدثا نفسه انه و إن كان قد حرم من نعيم الدنيا فعليه بنعيم لآخره.[4]

هذا كان مختلف التعريفات التي اختلف حولها المؤرخون حول معنى التصوف و أهم الأسباب التي أدت أو أثرت في ظهور التصوف .

[1]التليلي العجيلي ،الطرق الصوفية و الإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1939)،مجلد2،منشورات كلية الأداب بمنوبة،1912،ص25.

[2]نفسه،ص25.

[3]– منال عبد المنعم جاد الله،التصوف في مصر ، المرجع السابق،ص29.

[4] نفسه ،ص122.

II- مكانة الطرق الدينية في المجتمع الإسلامي

1-دور الطرق الصوفية في المجتمع

-الدور الديني

تعتبر الطرق الدينية من أهم المدارس التي لها الفضل الدور الكبير و البارز في الرجوع إلى الدين ،بحيث أن طرق التعبد و الانقطاع التي تمارسها الفرق الصوفية كانت وسيلة لتحرير النفس بالنسبة إلى الفرد لهداية داخل المجتمع ،كما أن صلواتهم و أساليبهم الفنية تهدئ الذهن و العواطف و تخفف و تعالج الأمراض النفسية ،و كذالك الجسدية و قد ساهم هذا التكامل الشخصي ولاستقرار الاجتماعي .[1]

وقد قدمت الكثير من الفرق مجالا دينيا للبناء ،كان اعتراف له ضئيلا في السياق الديني الشرعي ،فكان للفرق مهمته الوعظ و الإرشاد لشيوخ الفقراء حيث كانت على غرار تزكية النفس في الإسلام كانت تساعد المهتدين الجدد، (الداخلي الإسلام حديثاْ)ليحفظوهم في قلوبهم،يقول يوفي موري في كتابه "**أن الإسلام نهض نهضة الثالثة منذ سنة 1750إلى سنة1901 أي بعد عهد الفتح و زمن انتشار الدين في أواسط القارة الإفريقية** ثم قال"**و قد نهض هذه المرة على أيدي مشايخ الطرق الصوفية و الأخوان**"وذالك أنة في أواخر القرن 18كثر لما دخلت الدعوة البروتستانية من كل نوع إلى أفريقية و ضاعفت الكنيسة الكاثوليكية فيها مجاهديها ،كان لابد أن ينتبه الإسلام لمقاومة النصرانية ، و أن يشتد الصراع بين هاتين القوتين .

و أكثر أسباب هذه النهضة راجعة إلى التصوف ،و كأنها من نوع المقابلة للرهبانية النصرانية في القرون الوسطى و الحروب الصليبية وفي القرن 18و 19 ميلادي حصلت نهضة جديدة،[2]حيث أن الطرق الصوفية كانت هي المؤسسة الوحيدة التي بقيت متواجدة بعد انهيار المؤسسات الرسمية أمام ضربات الاستعمار الفرنسي و ضلت قائمة خصوصا في الأرياف تؤدي دورها الديني و التعليمي,و لقد

[1] ترمنجهام سبنسر ،الفرق الصوفية في الإسلام ، المرجع السابق،ص344

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام(1514-1530)،ج3،دار الأمة لنشر و التزيع،ط.د،214،ص253.

بحثت الشعوب المحتلة من طرف المستعمر عن قوى لمواجهة العدو و الذي كان متفوقا عسكريا ،فلم يجدوا سوى زعماء الطرق الصوفية اللذين وجدوا فيهم رجال دين أتقياء همهم خدمة الإسلام.

فا الطرق الصوفية كان لها دور ديني كبير فلقد اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار و الكبار و نشرته بصورة مكثفة و متواصلة في أجيال الإسلامية المتعاقبة ،و ساعد ذالك على محو الأمية من جهة و حماية القرآن من جهة أخرى ،فكان أغلب الناس كبار و صغار يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب .

أما من ناحية نشر الإسلام فقد تمكنت هذه الأخيرة تحقيق مساعي واضحة في هاذ المجال حيث عملت كما ذكرنا على نشر الإسلام في المواطن و أصقاع البعيدة التي لم يكن وصل إليها.[1] نذكر مثلا في الجزائر الزوايا الكبرى أمثال معهد الهامل و معهد البلولي و معهد سيدي منصور ، التي كونت في هذه البلاد الطبقة الفاضلة من العلماء و الفقهاء و كانت واسطة فعلية في نقل الإسلام إلى بلاد أقاصي الجنوب و السودان ،كما كانت تفعل التيجانية و السنوسية و القادرية في المناطق و الأقاليم الصحراوية النائية و الأدغال.[2]

-الدور الاجتماعي

لقد رأينا الدور الديني للطرق الصوفية و أهميته في حياة الفرد ، كان لها من الناحية الاجتماعية الأهمية البارزة بالرغم من انه ثانوي بالنسبة إلا الدور الديني فإنه كان هاما بدرجة انه من الواجب ألا نتجاهلها أية دراسة للمجتمع الإسلامي ففي الحياة التقليدية كان الدين هو تركيبة و تجميع النشاط إنساني ،فكل مجتمع كان مجتمعا دينيا أو الفرق لأفراد تحت الميتافيزيقيا ،كانت هي نفسها قوة اجتماعية و أصبحت الفرق مرتبطة بأشكال متعددة بطبقات مختلفة من المجتمع,و غالبا ما كانت لها علاقة خاصة،الطبقات الاجتماعية و المناطق و العشائر و الجماعات.[3]

ففي تركيا العثمانية لعبت الطرق دورا ملموسا في ارتباطها بالمؤسسات حيث انه كان الارتباط بالمؤسسة يتضمن علاقة خاصة بالفرق الصوفية،[4]إن من أهم أحداث القرن السادس عشر ميلادي انه

[1]يحي بوعزيز،موضوغات و قضايا في تاريخ الجزائر و الغرب،دار الهدى بعين مليلة،الجزائر،ص222.
[2]-أحمد توفيق المدني ،هذه الجزائر،مجلد8،دار علم المعرفة،الجزائر،ص465.
[3]-ترمنجهام سبنسر،الفرق الصوفية في الإسلام،المرجع السابق،ص346.
[4]-نفسه،ص349.

اتسع فيه نشاط الطوائف الصوفية التي كان من فضلها و محاسنها المجيدة في الميدان الاجتماعي أن بعثت التقاليد إسلامية في كثير من الجماعات البربرية التي ظلت حتى ذالك الوقت بعيدة عن التأثر بالثقافة إسلامية ،كما عملت على التقريب بين عناصر السكان إن لم تكن على الجزء الأولى من كتاب حاضر العامل إسلامي نقلا عن الكتاب إسلامية و المسيحية بأفريقيا ,(يوفي موري)فإنه بعد أن أفاض المؤلف بتوسع في بسط حركات و نشاط الطوائف المسيحية على اختلاف مذاهبها و الإرساليات التبشيرية على اختلاف مشاريعها و أذواقها و تنوع مقاصده أغراضها مع بيان مطول كما قامت به هذه الجماعات في إفريقية من التبشير.[1]

فالطرق الصوفية فعلا كانت تسعى إلى رفاهية الفرد و ذالك بتقديم المساعدات إلى الفقراء و العجزة وإيواء المتشردين من الأطفال و الشبان و الشيوخ، و لكن لم تكن لها إمكانيات مادية كافية لإسعاف أكثر عدد ممكن من المحتاجين ،لكنها بذلت ما بوسعها لتخفيض من ألام التعساء و شقاء البؤساء ،و قد سعت إلى بث السلم و الأمن و الطمأنينة بين أعضاء القبائل ذالك على جميع المستويات [2]

كما عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية و الاقتصادية بين الفئات و الشرائح الاجتماعية المختلفة، فقربت بين الفقراء و الأغنياء و العلماء و الأميين و صهرتهم جميعا تحت بوتقة واحدة و ألفت بين قلوبهم جميعا في إطار الآية الكريمة {**و لقد كرمنا بني أدم و حملناهم في البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** }.[3] (70)الإسراء

و في الحديث النبوي الشريف قال صلى الله عليه و سلم في خطبة حجة الوداع **(لا فضل لعربي على أعجمي و لا لعجمي على عربي و لا لأحمر على أسود و لا لأسود على أحمر إلا بالتقوى)**

كما لعبت دورا هاما في إنهاء الخلاف و الخصومات و الأقارب و ذالك بفضل مكانتها و مكانة شيوخها ومقدميها ووكلائها فمثلت دور الحكم وقللت من الخلافات و المشاكل بين الناس، و بذالك تمتع المجتمعات و من بينها المجتمع الجزائري بالاستقرار النفسي و الخلقي ،حيث أتخذ من شيوخ هذه الطرق

[1]-عبد الرحمان الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،المرجع السابق،ص252.
[2]-مجموعة باحثين،منطلقات و أسس الحركة الوطنية الجزائرية(1830-1954)،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين،سلسلة المشاريع الوطنية،منشورات المركز الوطني،ص41.
[3]-سورة الإسراء ،لآية 70.

الصوفية قادة له بدلا من الحكام المدنيين و قضاتهم الرسميين اللذين يشبعون رغبتهم و لا يرتاحون لسلوكهم و أحكامهم .[1]

ونظرا لمكانة هذه الأخيرة عمل الاستعمار الفرنسي على القضاء على المجتمع الجزائري الثقافية فأغلقت المدارس و تابع المعلمين و استولى على الكثير من المساجد و الزوايا التي كانت مراكز التعليم الديني، و ألحقت مؤسسات الأوقاف التي كانت لها تموينها بأملاك التي استولى عليها و بذالك حرموا الجزائريين من نور العلم [2]

2-الدور الثقافي التعليمي

إن أهمية التصوف في ثقافة البلاد الإسلامية معروفة فخسارة الفكر و الشعر إسلاميين بدون الصوفية يمكنه بصعوبة توقعها ولقد كان التصوف هو الملهم لتراث ضخم ثري من الشعر و الموسيقى و في تركيا درست البكباشية التكية الموالية لأشكال المتقنة من الموسيقى ، أما التكية البكباشية فقد اهتمت بكل الموسيقى الشعبية و الشعر التركي و قد احتفظت بالكثير من الزوايا بشمال إفريقيا بمدارس القرآن بينهما ،أصبح القليل منها مؤسسات تعليمية ملمومة أي مدارس متعددة لإغراض لم يكن محصور في شمال إفريقيا. [3]

هذا كان خلال العهد العثماني أما في فترة الاستعمار كان لها أيضا دورا بارزا في هذا المجال بحيث أنها احتضنت اللغة العربية و الثقافة العربية الإسلامية وأنفقت بسخاء على تعليمها و تدرسيها في كل أوساط المجتمع ،و كان ذالك شكلا من أشكال مقاومة الجهل و الأمية و نشر العلم و المعرفة في أوسع مجالاتها ،و أخرجت أجيال من دورهم الرائد في التطور الفكري و الثقافي و تواصلها في الحقبة الاستعمارية البغيضة.[4]

لقد كان لمجموع هذه الطرق جميعها من حيث نشر الإسلام مواقف مشرفة في خدمة الإسلام و الدفاع عن حوزته ضد الاستعمار الغربي الديني و السياسي و لاسيما بأواسط إفريقية و غيرها حيث

[1]-عماره هلال ،أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر (1830-1962) ،د.م.ج،الجزائر 1925، ،،ص371.
[2]-يحي بوعزيز،موضوعات و قضايا...المرجع السابق،ص222.
[3]-نفسه،ص223.
[4]عبد الرحمان الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،المرجع السابق،ص25.

نشر الوثنية و تشتد الدعوة إلى التبشير بالمسيحية فكانت هذه الطرق وسيلة لنشر الدين الإسلامي و تبليغ الدعوة المحمدية إلى تلك الأصقاع النائية .[1]

نأخذ مثال عن أهم زاوية في الجزائر و هي العزابة حيث إن هذه الأخيرة كان لها كبير في المجال التربوي و التعليمي ،فهي تقوم بمهنة تربية النشء ،و يتعلم النشء في الكتاتيب القراءة ،و الكتابة و رسم القران و حفظه و شيء من السيرة النبوية ،و تدرس فيها العلوم الشرعية من فقه و أصوله و الحديث و الميراث و التفسير علوم العربية من نحو و صرف و بلاغة و عروض،و بعض العلوم العقلية كالمنطق و الحساب ،فهي لم تقتصر على تعليم الدين و نشره فقط بل امتدت إلى ابعد من ذالك من علوم العقل التي تجعل الإنسان يستطيع التأقلم مع محيطه و التطور في مختلف المجالات و إن كان القران يحتوي على كل العلوم .

III-الدور العسكري للطرق الدينية في مقاومة الاستعمار الأوروبي

1-في الجزائر

لقد لعبت الطرق الصوفية دورا هاما في دحر الاستعمار بكل وسائل و الطرق و بذلت كل ما لديها من أجل تحرير البلاد من الاستعمار الغاشم فكان لها دور عسكري تمثل في مشاركة هذه الأخيرة مشاركة فعالة في مقاومة نظم الحكم الطاغية و المستبدة ،فالدرقاوية و الشاذلية [2]و التيجانية[3]قاومت الولاة العثمانيون المستبدين في شرق البلاد و غربها و جنوبها الشرقي قبل عام 1830م و الرحمانية و السنوسية[4] و القادرية،حاربت الاستعمار الفرنسي و الإنجليزي في الجزائر و تونس و ليبيا و مصر و هذا ما سنعرفه من خلال هاذ المبحث ،حيث تصدى زعمائها إلى المقاومة طوال القرنين 19و20 و من الثورات التي قام بها زعماء الطرق الصوفية نذكر منها:

[1]-عبد العزيز شهبي،الزوايا و الصوفية و العزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر،دار المغرب لنشر و التوزيع،الجزائر، ص ص184-185

[2]-الشذلية من الطرق الصوفية التي تفرعت عن الطرق الكبرى في القارة الأفريقية ،و هي مدرسة للمبادئ الصوفية ،يرجع تأسيسها إلى الشيخ أبو الحسن علي عبد الله الشاذلي ولد عام1196في تونس للمزيد أنظر:أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية،137.

[3]-أسس هذه الطريقة الشيخ أبو العباس بن أحمد بن محمد بن المختار التيجاني ولد في قرين عين ماض في جنوب الجزائر عام 1737 سافر إلى فاس و هناك التقى برجال الصوفية،أنظر:المرجع نفسه،ص61.

[4]-هي حركة إسلامية و جمعية مذهبية و طريقة صوفية تسعى إلى تطهير النفوس بإضافة إلى أنها حركة فكرية تهدف إلى توضيح المبادئ ،التزمت الحركة بالسنة وابتعدت عن الخرافات و الانحرافات يرجع تأسيها إلى السيد علي السنوسي من قرية الواسطة قرب من مستغانم ،كان لهذه الطريقة دور كبير في مقاومة الاحتلال ،أنظر:المرجع نفسه،ص76.

ثـورة الحـاج موسـى الأغـواطي الـدرقاوي فـي التيطـري عـام 1835 للـذي ينتمـي إلـى الطريقـة الدرقاوية[1]التي كانت سباقة في رفع لواء الجهاد و المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ليس باسم شيخها العربي بن عطية الذي بقي مترددا رغم تراث أسلافه الثوري ضد الحكم العثماني وإنما باسم وجود الشيخ موسى الدرقاوي الذي بقي يجاهد في الغرب و الوسط و استقر به المقام في واحة الزعاطشة حيث شارك مع الشيخ بوزيان في ثورته إلا أن قتل عام 1849.[2]

-ثورة أولاد سيدي الشيخ الطيب بالغرب الوهراني 1864-1881 و ثورة الشريف بن محمد بن عبد الله بومعزة بجبال الونشريس و أولاد نايل،و ينتمون إلى الطريقة الطيبية ذات الأصول المراكشية التي كانت منتشرة في الغرب الجزائري و يظهر أنها تأخرت في رفع لواء الجهاد و لعل أول من رفعه من أبنائها هو الشريف محمد بن عبد الله الملقب بابو معزة ،الذي ظهر بنواحي شلف ،و قاد ثورة سنة 1848 فدور هذه الطريقة يظهر أكثر في ثورة الشيخ بوعمامة،بالجنوب الوهراني وأحد شيوخ الطريقة الطيبية ،و كان قائد المقاومة فأصبغ عليها صفة الثورة العامة و سمح باستمرارها لسنوات عديدة ،و لئن كان الشيخ الحداد لرحماني مجرد قائد روحي في ثورة 1871فإن الشيخ بوعمامة كان أشبه مايكون بأمير عبد القادر غير أنه صاحب الطريقة أكثر منه رجل دولة كما كان الأمير عبد القادر.[3]

فثورة بوعمامة كانت أكثر إثارة و دامت مدة أطول من سابقيها من النتائج التي ترتب عن انتفاضة بعومامة احتلال منطقة ميزاب ولقد تم بموجب تبرير يبدو خال تماما من الصحة مفاده إن الثائرين من أولاد سيدي الشيخ كانوا يستمدون من ميزاب جزء من تموينهم ،فاستغلته السلطة الفرنسية كمبرر التضحية ببعض الزعماء ،الأهالي و لتوسيع مجال سلطتها ليشمل منطقة ميزاب.[4]

ثورة الطريقة الرحمانية:

- ثورة الحاج عمر لرحماني في الخنقة و بسكرة (1858-1860)أحد شيوخ الرحمانيين ,فا الطريقة الرحمانية لعبت دورا كبيرا في المقاومة إذ تزعم قيامها الحاج عمر عام 1851م حركة ثورية ضد القوات الفرنسية ،كذالك ثورة الشريف محمد بن عبد الله السنوسي في ورقلة و توقرت (1852-1861) أحد شيوخ الطريقة السنوسية فهذه الطريقة ليست كباقي الطرق الصوفية بل تختلف عنها في أمور

[1]-يحي بوعزيز،موضوعات...،المرجع السابق،ص114.
[2]-مجموعة باحثين ،منطلقات و أسس ...المرجع السابق،ص39.
[3]-شارل روبر أجرون،الجزائريون المسلمون و فرنسا(1871-1919)،ج1،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2007،ص126.
[4]-يحي بوعزيز،موضوعات ...المرجع السابق،ص223.

كثيرة،فهي تتميز بطابعها الإصلاحي الذي يدعو إلى التجديد و الجهاد والاهتمام بشؤون المسلمين و كل قضايا البلدان الإسلامية فهي حركة عمل و ليست طريقة جمود,ولعل الذي يهم كثيرا في هذا الشأن هو طابعها الجهادي ضد الدولة المستعمرة و خاصة فرنسا و بريطانيا و إيطاليا ,و كان لنشاطها الدعوي لنشر الإسلام في أفريقيا الوسطى الوثنية دور كبيرا في عرقلة التوسع الاستعماري هناك.[1]

و السنوسية كان لها تنظيم و نظام إداري معين و هي بذالك كانت أشبه ما يكون با لدولة و كثيرا ما واجهت الفرنسيون في تشاد أيضا و ألحقت بهم خسائر فادحة،و بما أن شيخ الطريقة جزائري الأصل و النشأة فإنه رفض الدخول إلى الجزائر لما علم بسقوطها في يد الاستعمار الفرنسي حتى لا تجزى عليه أحكام الكفار و عزم منذ ذالك الوقت على العمل على تحريرها من الاستعمار الفرنسي ليعود إليها و هي محررة ،و كانت هذه الأمور معروفة عن شيخ الطريقة السنوسية لدى الساسة الفرنسيين و أن كل عمل يقوم به السنوسية فهو ضد فرنسا وازدادت قناعتهم رسوخا عندما عرفوا ضلوع السنوسية و في ثورة الأهقار و ثورة التوارق عام (1916)و قبلها في ثورة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة سنة 1916 فا السنوسية كان لها دور كبير في مواجهة فرنسا خلال ثوراتها و مواجهتها للاستعمار بشتى الطرق.[2]

أما عن دور القادرية في مقاومته الأولى فقد برزت كرائد للجهاد تحت لواء الشيخ الزاوية القادرية باعتباره زعيما روحيا استطاع أن يجمع حوله المجاهدين الأوائل ،ولما أشتد الأمر و عظم الكرب ،ألح أهل العقد و الحل إلى الشيخ أن يقبل الإمارة نظرا لنسبة الشريف و زعامته لمشيخة الطريقة القادرية ، لأن الجزائر تعيش وضع خطير فاعتذر الشيخ لكبر سنه ،وبعد إلحاح العلماء و شيوخ الجهة رشح ابنه عبد القادر بن محي الدين عن طريق انتخاب واسعة و رضي أهالي و اتفق الجماهير حوله

ومن المقاومات البارزة في الجهاد الجزائري ثورة الزعاطشة بزعامة الشيخ بوزيان الذي كان له أمل في الثورة التي قادها الأمير عبد القادر ذالك انه كان تابع لدولة الأمير و استطاع الشيخ بوزيان أن يقنع الجميع با الجهاد المقدس.[3]

[1]-نفسه،ص224.
[2]-مجموعة باحثين،منطلقات و أسس....المرجع السابق،ص89.
[3]-ابراهيم مياسي ،مقاربات في تاريخ الجزائر(1830-1962)،دار هومة لطباعة و النشر،الجزائر،2007،ص94-95.

فالثورة المعروفة بثورة الزعاطشة أهم و اكبر من أن تحصر في واحة الزعاطشة فقط رغم أن هذه الواحة هي التي تحملت النصيب الأكبر من الخراب و الدمار و جغرافية الثورة شملت كما قلنا الحظنه و الزيان و أجزاء من أوراس و الصحراء و وبسعادة و سريانه وواحات عديدة أخرى،وساهم في إثارتها وقيادتها عدد من رجال الدين البارزين و شيوخ الطرق الصوفية و كانت من نتائج هذه الثورة أن الثورة قد انتهت بخسائر فادحة حيث الواحة بكاملها و عن أخرها فقد أباد الجيش الفرنسي سكانها و قطع النخيل و أستعمل أنواع التعذيب .[1]

و لكن رغم المحاولات العدّو المستعمر في القضاء على هذه الثورات و بأخص الطرق الصوفية المتسببة في ذالك أو في تلك الثورات فإن القادرية بقيت منتشرة في أجزاء تحت القيود الاستعمارية ،واستمرت الطريقة القادرية في نشاطها فظهرت عدّة زوايا أخرى في الشرق الجزائري و الجنوب، و أصبح لها نشاط أيضا بواد سوف التي كان لها دور بارز أثناء غزو فرنسا للصحراء في النصف الثاني من القرن 19 ميلادي .[2]

–أما عن دور الطريقة التيجانية يظهر في معركة الجرف التي وقعت في سنة 1847م بين فرقة أولاد رشاش التيجانية بقيادة لحسناوي بن بلقاسم و القوات الفرنسية المشكلة من السرايا الثلاث التي زحفت من خنشلة و باتنه و عنابه ،و هي أول معركة يشارك فيها التيجانيون في منطقة تبسه و كذالك في شهر جوان 1816عندما قام الشريف ابن الناصر بن شهرة [3]أولاد رشاش التيجانييون قي الحرب ضد الوجود الاستعماري با المنقطة ،مستعينين بأتباعه في منطقة الجريد التونسي في جلب الأسلحة و الذخيرة الكافية .[4]

كما نجحت الطريقة التيجانية أيضا في إبقاء على الوضع الروحي ،فلقد قاومت كل المغربات و ذالك لكي تحافظ على عقيدتها في التصوف و هي عدم التدخل المباشر في شؤون السياسة و الحكم للاحتفاظ بالتأثير الروحي و السيطرة على القلوب و النفوس[5].ربما هذا ما جعلها محل شك من قبل المؤرخين و الباحثين على أنها طريقة موالية للاستعمار الفرنسي ،كما هو الحال مع بعض الطرق

[1]-نفسه،ص95.
[2]-عبد الله الوهاب شلاني ،مجلة العلوم إنسانية و اجتماعية،نصف سنوية،المركز الجامعي الشيخ تبسي،أفريل 2006،ص125.
[3]-سعد الله أبو قاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق،ص378.
[4]-عبد الرحمان الجيلالي،تاريخ الجزائر العام ،المرجع السابق،ص259.
[5]-نفسة ،ص260.

الدينية التي ساعدت الاستعمار الفرنسي في احتلال البلاد،أو بالأحرى في تسهيل و تيسير سياسة المحتل كالطرق التي كانت تدعو إلى عدم الجهاد و مقاومة الاستعمار بدليل أن الاستعمار هو قضاء و قدر و لا يمكن التصدي للقضاء و القدر مرتكزين في ذالك على ركن من أركان الإيمان ،لتأثير على المجتمع الجزائري .

في حين تأكد أغلبية الدراسات على أن معظم الثورات التي كانت تقوم ضد المستعمر كان وراءها مشايخ و رجال طرق الدينية يقول عبد الرحمن الجيلالي "كيف أننا نجد شخصيات سياسية و فرنسية تثبت رسميا عداوة الطرق الصوفية لأعمال الاستعمار الفرنسي ،مثل ماجاء في تقرير المفتش العام للبلديات الممتزجة ب الجزائر –(أوكتاف ديبون 1917),فيما رفعه إلى لجنة مجلس الشيوخ المكلفة بالحبس التي كان يترأسها كليمانصو,حول أسباب هذه الثورات و الانتفاضات التي كانت تظهر من حين إلى أخر في الجزائر قال"**إننا سلفا نجد دائما يد مرابطية –يعني طرقية– وراء كل هذه الانتفاضات التي يقوم بها الأهالي ضدنا**"

إذ لو كانت الطرقية أو الصوفية بصفة عامة من صنع الفرنسيين لما كانت اليد المرابطية كما قال ديبرمون الفرنسي هي الحركات التي قامت كمقراني و بومرزاق و الحداد و أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني و السنوسيين بالصحراء ضد الاستعمار ،[1]كما ذكرنا من قبل في هاذ المبحث.

2–في تونس

ككل البلدان العربية كانت الطرق الصوفية تمثل أهم تنظيم يتمتع بنفوذ كما سبق و أن ذكرنا من قبل ،ففي الفترة التي دخلت فيها الجيوش الفرنسية إلى البلاد التونسية كانت الطرق الصوفية تشكل قاعدة شعبية،و بذالك يمكن القول أن الطرق الصوفية كانت آنذاك القوة الوحيدة القادرة على التصدي للقوات الاستعمارية باستنفار السكان و إعلان التعبئة العامة،وتنظيم الجهاد رغم نقص العتاد و نذكر بعض الشيوخ الطرق التي كان لها مواقف واضحة ضد الاستعمار الفرنسي

– علي بن عيسى شيخ زاوية الطريقة الرحمانية با الكاف الذي سبق أن "قرر قتل العون القنصلي روا بهذه المدينة "،قد شجع الأهالي على الوقوف في وجه القوّات الفرنسية الداهمة ...لما اقتربت منها ،كما

[1]-عبد الرحمان الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،المرجع السابق،ص259.

ان أحمد بن عبد الملك[1] شيخ الزاوية الرّحمانية بأولاد عون قد برهن عن عداوته للاستعمار سنة 1881 لذالك أقصاه الجنرال فيلبار إلى تونس و لم يعف عنه إلا في سنة 1888,أما محمد بن ابراهيم بن عبد المالك هو كذالك بدوه قاوم انتصاب الحماية الفرنسية و واجه قواتها قرب الفحص.

كما سجلت محاولة لمقاومه الاستعمار الفرنسي في أيامه الأولى من قبل معمر الزاير شيخ الزاوية الرحمانية بكدية الحلفاء ب ماجر إذ انه وقف في وجه الطابور الذي يقوده فورجمول لكنه لم يلبث أن فر إلى طرابلس التي عاد منها سنة 1882.

ومن خلال هذا نلاحظ أن الطريقة الرحمانية كانت البارزة و أكثرها مقاومة للاحتلال الفرنسي في تونس أو في الجزائر ومن المقاومات التي قامت بها الطرق الصوفية في تونس نذكر:

في الشمال الغربي كانت هناك قبائل خمير التي ما إن سمعت بدخول القوات الفرنسية إلى البلاد حتى هب متطوعون من أولاد بوسعيد و الحوامدة و أولاد عمر لمواجهة الأعداء اللذين لم يتمكنوا من الاستلاء على المدينة إلا بعد قصفها با القنابل ،هذا في حين لازمت قبائل أخرى من خمير مواقعها لقطع الطريق على قوات الاحتلال القادمة من الجزائر،و بنفس الحدة واجهت قبائل مقعد ومذيل الغزاة الفرنسيين حيث استولى أبناء مقعد على سفينة حربية غرقت في عرض الساحل الفرنسي فنهبوها و أسرو من فيها ،كما اندلعت المقاومة أيضا في جهة جندوبة بمشاركة أولاد بوسالم حيث كان سهل بوسالم مسرحا لمعركة عنيفة يوم 30أفريل1881 .[2]

كل هذة المقاومات التي تكلمنا عنها في منطقة الشمال الغربي كان انتمائها طرقي بحيث يبرر العجيلي التليلي ذالك بأن قبائل خمير كانت تنتمي إلى الطريقة الرحمانية و من جهة أخرى فإن أولاد بوسالم ينتمون إلى الطريقة القادرية في حين تنتمي قبائل عمدون إلى الى الطريقة الرحمانية،هذا يدل على أن الطريقة الرحمانية هي التي كانت وراء قيام تلك القبائل .[3]

و عن موقف الطرق الصوفية من الاحتلال الفرنسي في تونس يقول أن موقفهم العام على مستوى كامل البلاد يتسم با السلبية و الركون إلى المسالمة و المهادنة إزاء دخول الاستعمار الفرنسي إلى

[1]-أحمد بن عبد الملك شيخ زاوية الطريقة الرحمانية ،ولد سنة 1821،إستمد نفوذه من مصاهرته لشيخ مصطفى بن عزوز توفي عام 1925،أنظر:التليلي،الطرق الصوفية ...المرجع السابق،ص121.

[2]-التليلي،الطرق الصوفية ...المرجع السابق،ص121.

[3]-نفسه،ص125.

البلاد،مما ساهم في تسيير مهمة قوات الاحتلال في السيطرة على معظم أنحاء البلاد،و يبرر التليلي سلبية المواقف الصوفية في بعض الحالات إلى ما أسماه بدرس الجزائر حيث يقول أنه إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر كانت عدة طرق و خاصة الرحمانية وراء العديد من الانتفاضات مما أخر و لو نسبيا تقدم الاحتلال الفرنسي من السيطرة على مختلف أنحاء البلاد إلا تلك المجوهودات الطرقيية قوبلت من طرف السلطة الاستعمارية بالقمع و الإرهاب ضد الثوار اللذين استهدفوا للقتل الجماعي و مصادرة أموالهم و أرزاقهم و بذالك يبدو أن فشل محاولات الطرق الصوفية بالجزائر بإضافة إلى ملاحقة المشايخ في تونس قد يكون لذالك أثر في مشايخ الطرق الصوفية ب تونس و اعتباره درس لهم .[1]

هذا ما كان حول دور الطرق الصوفية في مقاومة الاحتلال الفرنسي في البلاد التونسية التي كانت كغيرها من البلدان العربية التي انقسمت فيها المواقف و تباينت فيما بينها إلى طرق ساندت الاستعمار الفرنسي و مهدت له و طرق قاومت بكل ما أتيت من قوة امتداد سيطرة الاحتلال الفرنسي داخل البلاد.

– في ليبيا

لقد لعبت الطرق الصوفية في ليبيا أيضا دورا هاما و بارزا في محاربة الاستعمار و لعل من أبرزها الدعوة السنوسية و هي الدعوة التي نادى بها محمد بن علي السنوسي ,و هو جزائري المولد ,شريف النسب دعا با العودة إلى الإسلام الصحيح كما كان في عهد الأول,و سرعان ما انظم الناس إليه و التفوا حوله مؤمنين بدعوته معبرين عن رغبتهم في استعادة الإسلام القديم[2]

و من مبادئ الدعوة هي الدفاع عن البلاد بالسلاح متى لزم الأمر ،مما جعلها دعوة جهادية ضد الاستعمار و مقاومة الفساد حيث أنها لعبت دورا كبيرا و أساسيا في التصدي للنفوذ الفرنسي من أن يمتد إلى داخل القارة الإفريقية فلم تقتصر الدعوة السنوسية على العبادة و التصوف فقط إنما عبادة و عمل و كفاح،لذالك أقامت الدعوة الزوايا التي ضمت المساجد و المدارس و المزارع و المتاجر و يقوم الناس فيها بالعمل و الجهاد.[3]

[1]-نفسه،ص126.

[2]-محمود السيد ،تاريخ دول المغرب العربي(لبيا،تونس،الجزائر،المغرب،موريطانيا)،مؤسسة شباب الجامعة،شارع الدكتور مصطفى ،مشرفة لنشر،2000،ص61.

[3]نفسه، ص63.

- مقاومتها للاستعمار الإيطالي

تحت ضغط الظروف التي أدت إلى ضعف الدولة العثمانية و ظهور استعمار الأوروبي و أطماعه في البلاد الإسلامية،تحولت الدعوة السنوسية إلى حمل السلاح للدفاع عن البلاد و عملت الدعوة السنوسية على التعاون مع العثمانيون [1]ضد الاستعمار الإيطالي ،وعندما اعتدت إيطاليا على برقة توحد الشعور الوحدوي و قوى الولاء بين العرب [2].

لقد أخذت إيطاليا تتطلع لامتلاك ليبيا منذ أواخر القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي ،و كانت الدولة العثمانية لا تزال صاحبة حق في حكم ليبيا ،و لم يكن ذالك يخفى على الدول الأوروبية و مع ذالك فقد عمدت إلى اتخاذ خطوات لتحقيق أهدافها

ففي عام 1330هـ/1911م أعلنت ايطاليا الحرب على تركيا و قام الجيش الايطالي باحتلال طرابلس و الخمس و بني غاز ودرنة ،أما السنوسية فقد بادر زعيمها السيد احمد الشريف بإعلان الجهاد و بعث المنشورات إلى جميع الزوايا و طالبهم بتلبية النداء ،و في برقية استعد السنوسيون للجهاد ،ثم اشتبك الفريقان في معارك انتصر فيها السنوسيون على الايطاليون الذي بلغ عددهم ستة و ثلاثون ألف مشاة و ستة ألاف و ثلاث مئة من الفرسان.[3]

و لعل من أهم المعارك التي قادها السنوسيين ضد الاحتلال الإيطالي هي معركة بنغازي[4]و هي أول المدن التي احتلها الإيطاليون في 19اكتوبر 1911 و هي أول المعارك التي قادها الليبيون[5]وتعترف القوات المصادر الايطالية بأن المعركة التي بدأت على الفور عنيفة حول الفنادق التي كان يحصن بها المجاهدون .

و لقد سقط عدد كبير بها من القوات الايطالية بين قتلى و جرحى كما حالت المقاومة دون تقدم الاحتلال لأي مناطق أخرى و تولت السفن الايطالية قصف المدينة ليلا لإثارة الرعب و إضعاف المقاومة و في يوم 20أكتوبر 1911تم احتلال المدينة نظرا للإمكانيات الدفاعية البسيطة التي كانت

[1]-نفسه،ص65.
[2]-نفسه،ص64.
[3]-محمود السيد،تاريخ دول المغرب....المرجع السابق،ص68.
[4]-نفسه،ص42.
[5]-نفسه،ص75.

تمتلكها المقاومة،و قد بلغ عدد السنوسيين اللذين وصلوا إلى ساحة القتال حوالي عشريين ألف مقاتل أرسل 12 منهم إلى طرابلس.[1]

- الطرق المتواطئة مع الاستعمار الفرنسي :

لا يمكن إنكار الدور الكبير الذي لعبته الطرق الصوفية و مشايخها في مقاومة الاحتلال الفرنسي في شمال إفريقيا ،و لكن في المقابل لا يمكن التغاضي عن بعض الطرق التي كانت متعاونة مع الاستعمار و التي سهلت من عملية احتلاله لبلدان شمال إفريقيا و نقصد بالضبط الجزائر و تونس و ذالك لأننا درسنا فيهم دور الطرق الصوفية في مقاومة الاحتلال ،ما يحتم علينا دراستها من الجانب الأخر لكي نسلط الضوء على هذه الطرق و تتضح لنا الصورة كاملة ،فا الباحث عليه دراسة جميع الجوانب للإحاطة بالموضوع البحث.

فهناك بعض المصادر تشير إلى تعاون الطرق الصوفية مع الاستعمار الفرنسي في الجزائر منها ما جاء في مجلة الفتح العدد 257 يوم الخميس 16صفر سنة 131"صاحب السجادة سوف يلقي بين يدي فرنسا خطبة الإخلاص.."جاء فيها:

قال الصوفي محمد بلكير التيجاني كبير الطريقة التيجانية با الجزائر فيما يسمى بخطبة الإخلاص و التي ألقاها أمام زعماء الجيش الفرنسي في منطقة عين ماضي"**إن من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديا وأدبيا و سياسيا ،ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن و الافتخار و لكن على سبيل الاحتساب و التشرف بالقيام بالواجب ،إن أجدادي قد أظهر شجاعة نادرة في مقاومة أكبر عدو لفرنسا عبد القادر الجزائري [...]و بالجملة :فإن فرنسا ما طلبت من الطائفة التيجانية نفوذها الديني ،إلا و أسرعنا بكل فخر و نشاط في تلبية طلبها و تحقيق رغبتها و ذالك لأجل عظمة و رفاهية و فخر حبيبتنا فرنسا النبيلة**".[2]

و يفسر ولاء التيجانين ولاءهم إلى فرنسا كما يقال هو اعتبار الوجود الفرنسي في الجزائر استجابة من الله لدعاء شيخهم بقوله "اللهم أزل ملكهم كما أزلت ملك المسلمين من إسبانيا "لان الطريقة كانت قد

[1]-صاحب السجادة الكبرى يلقي بين أيدي فرنسا خطبة الإخلاص ،مجلة الفتح ،العدد 257،القاهرة،يوم 16صفر،1350هجري.

-شيخ لعرج ،موقف الطريقة التيجانيةمن قضايا الإستعمار الكبرى في شمال وغرب أفريقيا خلال القرن 19و بداية القرن العشرين (رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ،تخصص علوم في تاريخ الحديث و المعاصر)،جامعة وهران أحمد بن بلة،2016-2017،ص223. [2]

عانت من حملات البايات العثمانيين على عين ماضي في أواخر عهدهم و لذالك يرجعون الاحتلال الفرنسي إلى القضاء و القدر هذا الرأي الذي تأيده الباحثة الفرنسية عبلة غزيل بقولها"**التيجانية عارضت أية مقاومة للفرنسيين فذالك قدر الجزائر و فضلت البقاء في مهمتها الدينية**"، يتجلى ذالك من خلال انه عندما بيع الأمير عبد القادر لقيادة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي بعث إلى محمد الصغير التيجاني شيخ الطريقة التيجانية ليطلب منه المشاركة في الجهاد ضد المحتل فكانت ردته كالتالي :"**إنني أرغب في البقاء في هدوء الحياة الدينية و أهتم فقط بالقضايا الروحية ...و إذا كان من مشيئة الله الذي أتى بالفرنسيين إلى بلاد سلم أن يطردهم و أن يدفعهم إلى عبور البحر مرة ثانية** "مؤكدا بذالك حتمية الاستعمار و اعتباره قضاء و قدر.

و في نفس السياق يقول العلامة البشير الإبراهيمي رحمه الله :"**ابحثوا عن تاريخ الاستعمار العام،و استقصوا أنواع الأسلحة التي فتك بها في الشعوب ،نجدوا فتكها في استعمال هذا النوع الذي يسمى(الطرق الصوفية)و إذ خفي هذا في الشرق ،و لم تظهر أثاره جلية في استعمار الإنكليزي،فإن الاستعمار الفرنسي مارست قواعده في الجزائر و في شمال إفريقيا على العموم إلا على الطرق الصوفية و بواسطتها ،و قد قال قائد فرنسي معروف كلمة أحاطت بالمعنى من جميع أطرافه ،قال(إن كسب شيخ طريقة صوفية أنفع لنا من تجهيز جيش كامل).**[1]

و بالنسبة إلى تونس فهناك أيضا طرق و مشايخ تعاونت مع الاحتلال الاستعمارية حسب ما ورد في كتاب العجيلي التليلي من بين الزوايا التي سهلت من دخول فرنسا إلى البلاد يقول زاوية الكاف و مما يجعلنا على هذا الرأي أنه من جهة بلغ إلى علم الحاكم العام للجزائر تقرير مفاده أن "**حالة من التملل بدأت تظهر حول الكاف ،و أن العرب أخذوا يقنون كميات هائلة من البارود لاستعداد الجهاد المقدس...**"[2] و يظهر أن الطريقة التيجانية في تونس اتخذت نفس الموقف و المهادنة لاستعمار الفرنسي حيث كانت في مقدمة الطرق التي أعلنت وفائها للاستعمار فا الشيخ المنوبي العمراني ،شيخ الزاوية بوعرادة استقبل بنفسه الجيش الفرنسي و كان دليله بالمنطقة و أمر القبائل بملازمة الهدوء و الامتثال للنفوذ الفرنسي.[3]

[1]-الدكتور أحمد طالب إبراهيمي،أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،ج4،1952-1954،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997،ص36.
[2]-التليلي ،الطرق الصوفية...المرجع السابق،ص113.
[3]-شيخ لعرج،موقف الطريقة التيجانية...،المرجع السابق،ص230.

و مما سبق يمكن أن نخرج بمجموعة من الاستنتاجات حول مكانة و أهمية الطرق الصوفية في المجتمع الإسلامي :

1-سواء من ناحية الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية فهي لعبت دورا كبيرا في تلك الفترة فشغلت مختلف المناصب كالمعلم عن طريق التعليم و نشر الدين و القاضي بالفصل في مختلف القضايا هذا ما جعلها تحتل المرتبة الأولى داخل المجتمع الإسلامي و لا سلطة تعلو فوق سلطتها

2- فمن خلال دراسة نشأة و تطور الطرق الصوفية نلاحظ إن سبب ظهورها كان كرد فعل عن الحمالات التبشيرية التي كانت تنتشر في العالم العربي،و بتصديها للغزو العقائدي و الفكري و الثقافي بشتى الطرق لكل ما تحمله الثقافة الغربية خاصة في فترة دخول الاستعمار في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ما يفسر قيام ثورات شعبية و انتفاضات كانت من وراءها طرق الصوفية حسب مصادر تاريخية .

3-فكانت تحثهم على الجهاد و منه انتشرت المقاومات نتيجة لفروع الطريقة الواحدة في أنحاء العالم العربي ما جعلها تقف في كلمة واحدة أمام المستعمر بكل أنواعه ،و منه يمكن القول أن الطرق الصوفية خلال فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى كانت تحتل مكانة هامة في المجتمع الإسلامي فهي كانت تعتبر السلطة الوحيدة آنذاك.

4-إن الطرق و المشايخ التي كانت متواطئة مع الاستعمار الفرنسي حسب المصادر كما جاء في مجلة الفتح عن الطريقة التيجانية ،يمكن أن تكون المقال مكتوب فقط باسم شيخ الطريقة التيجانية استعملتها فقط فرنسا من أجل نشر الخلافات بين المجتمع لإضعاف المقاومة ،و أن اعتبار الاستعمار قضاء و قدر من خلال رد الذي أرسله محمد الصغير التيجاني لأمير عبد القادر يفسر أنه فقد أراد التزام الحياد و عدم الخضوع في الأمور السياسية و ذالك لأن الطريقة الصوفيه مبدأها الأولي هو الدين .

الفصل الأول

الدعاية الألمانية-العثمانية
و دورها في استمالة الطرق الدينية

I:تاريخ العلاقات الألمانية العثمانية

II:الدعاية الألمانية العثمانية أساليبها

من خلال هذا الفصل المعنون بالدعاية الألمانية– العثمانية و دورها في تحصيل مواقف الطرق الصوفية هو عبارة عن محاولة تسليط الضوء على دور الدعاية الألمانية– العثمانية في التأثير على مواقف الطرق الصوفية التي سوف نتطرق إليها في الفصل الثاني الذي يأتي ،و قبل أن نتطرق إلى هذه الدعاية يجب التعرف على نوع العلاقات التي كانت سائدة بين البلدين أو متى بدأت العلاقات العثمانية الألمانية بالضبط ،وقسمنا هذه العلاقات إلى مرحلتين أو فترتين تتحدث الأولى عن العلاقات العثمانية الألمانية قبيل الحرب العالمية الأولى التي سنتعرف فيها على موقف ألمانيا من المسألة الشرقية ،التي كانت فيها الدولة العثمانية في انحطاط و سقوط و تشكل فريسة للدول الأوروبية ،و ندرس كيفية تغلغل ألمانيا في الدولة العثمانية من خلال المشاريع الاقتصادية كمشروع سكة حديد برلين بغداد ،الذي منحه السلطان عبد الحميد الثاني للإمبراطور ألمانيا وليم الثاني في رحلة الثانية،بعد أن اتبعت ألمانيا سياسة إسلامية و اختارت اللعب بورقة الدين في مواجهة أعدائها و هذا ما سيسعدها في جعل الدولة العثمانية تدخل الحرب إلى جانبها بعدما اتخذت هذه الأخيرة أسباب لها في ذالك و استخدام ألمانيا للدولة العثمانية من أجل نشر دعايتها.

أما في المبحث الثاني فخصصناه إلى الدعاية الألمانية –العثمانية بعدما كنا قد تطرقنا إلى العلاقات و كيفية دخول الدولة العثمانية الحرب،فدرسنا فيه الدعاية الرسمية الدينية للبلدين و التي تمثلت في إصدار فتوى الجهاد المقدس عرفت بالفتوى الشريفية لمعرفة محتوى هذه الفتوى و ما جاءت به و لا ننسى ذكر دور اوبينهام بدليل صاحب انتهاج السياسة الإسلامية للتأثير على الدول العربية و المشرق العربي بصفة خاصة،و في أخر الفصل تكلمن عن أهم الأساليب المتمثلة في المنشورات التي كانت توزع بين الأسرى و في الدول المستعمرة من طرف فرنسا و بريطانيا من أجل القيام بثورة ضدهم،كذالك إنشاء الوكالات بحيث تعتبر أهم عنصر ساعد في نشر الدعاية كوكالة الشرق الأوسط التي أسسها أوبينهام و إقامة معسكر نصف القمر الذي بدوره لعب دورا هاما في الدعاية و في الأخير محاولة ألمانيا استمالة الطرق الصوفية نظرا لأهميتها و التي هيا ستلعب دورا هاما من خلال مواقفها إن حظيت هذه الدعاية بالفشل أو النجاح ما سنتعرف من خلال الفصل الثاني . و من يمكن طرح الإشكال التالي

كيف ساهمت هذه العلاقات الألمانية العثمانية في دخول الدولة العثمانية الحرب ؟و مامدى نجاح الدعاية الألمانية العثمانية؟

I-تاريخ العلاقات الألمانية العثمانية

سنتطرق في هاذ المبحث إلى العلاقات العثمانية الألمانية قبيل الحرب العالمية الأولى ،و التي من خلالها يمكن معرفة نوع العلاقة السائدة بين البلدين ،إن كانت متوترة أو علاقة ودية،و سنبرز مظاهر كلتا الحالتين ،فا المعروف أن لكل دولة علاقات خارجية تقيمها مع البلدان الأخرى،إما من أجل مصالح اقتصادية أو دينية أو سياسية تجمعهم،و الدولة العثمانية ككل البلدان كان لها ذالك سواء مع الدول العربية الإسلامية أو الدول الأوروبية،و نحن في هاذ العنصر سندرس علاقاتها مع ألمانيا بالخصوص وهذا من أجل إبراز وتفسير سبب دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا و مشاركتها في الدعاية،هذا ما سنعرفه من خلال المطالب لأتيه،و منه نطرح السؤال التالي:

ما نوع العلاقات السائدة بين هاتين الدولتين؟و كيف أثرت هذه الأخيرة على الدولة العثمانية؟.

1:العلاقات العثمانية- الألمانية قبيل الحرب لعالمية الأولى

-المسألة الشرقية و مبدأ الحفاظ على الدولة

منذ أن بدأت الدولة العثمانية تضعف و تتدهور في أواخر القرن الثامن عشر شغل في أذهان الساسة في أوروبا التفكير في مصير هذه الدولة و في أملاكها،و من ذالك الوقت المبكر و خلال القرن التاسع عشر كانت الدول الأكثر اهتماما بمصير الدولة العثمانية و مصير أملاكها هم بريطانيا التي أرادت تأمين مواصلاتها إلى الشرق الأقصى،و روسيا القيصرية التي أرادت أن تجد لها منفذ من البحر الأسود إلى المياه الدافئة بالبحر المتوسط،و فرنسا التي أخذت على عاتقها من زمن مبكر حماية مصالح رعايا الدولة في بلاد الشام و لبنان ثم استعلاء نفوذها في أملاك الدول الأخرى بالأخص تونس و الجزائر[1]

و على عاتق النظر في مصير الدولة العثمانية أخذ في عين الاعتبار المحافظة على توازن القوى وذالك بعدم الإخلال بالتوازن الدولي في أوروبا،فا اقترن حل المشكلة بمصير أملاك الدولة و أملاكها في القرن 19 و هو ما يعرف بالمسألة الشرقية ،[2] هذا ما سيؤدي إلى تزايد أطماع الأوروبية

[1]إسماعيل أحمد ياغي،الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،ص141.

[2]هي المشكلة التي ظهرت على إثر ضعف الدولة العثمانية منذ أواخر القرن الثامن عشر و تجسدت بشكل واضح و خطير في القرن التاسع عشر نتيجة عوامل متعددة يأتي في مقدمتها التنافس الذي وقع بين النمسا و روسيا و فرنسا لاقتسام أملاك الدولة العثمانية التي وصفها قيصر روسيا بالرجل المريض،أما العامل الثاني هو الثورات القومية التي ظهرت بالبلقان لتخلص من الحكم العثماني.للمزيد أنظر :الدكتور صالح أحمد هريدي ،أوروبا من الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الأولى،ص164.

بعدما بدأت الدولة في الضعف، وفي حين كانت دول تريد اقتسام أملاك الدولة العثمانية كانت هناك دول أخرى كإنجلترا و فرنسا تعارض هذه الأطماع و تقف في وجه اقتسامها حرصا على مصالحها هناك و رغبة في عدم مشاركة أي دوا أخرى منافسة لأملاك الدولة إذا ما تعرضت هذه الأخيرة لتقسيم[1]

و يتطابق هذا المصطلح "المسألة الشرقية "مع جملة من الأحداث التي وقعت بين عامي (1774-معاهدة كوتشوك-قينارجه[24])و1923(معاهدة لوزان كنتائج و إجراء عملي تنفيذي للإقتسام مواقع النفوذ.و برز التنافس واضحا في هذه المرحلة بين الدول الأوروبية الكبرى على أن تصل كل واحدة منهم إلى غايتها و أهدافها على حساب السلطنة العثمانية .فمثلا روسيا تدخلت بحجة حماية حمايتها للمسيحيين الأرثودوكس و السلاف و كانت

ترمي إلى مد سيطرتها على دول البلقان و الوصول إلى البحر المتوسط و الإنكليز كانوا يسعون إلى تأمين طريق الهند و بالتالي السيطرة على الممر الذي يفصل البحر المتوسط عن المحيط الهندي ،و من هنا جاء اهتمامها بالبلدان العربية التي تقع ضمن المنطقة.

و أما الفرنسيون فكانوا يريدون الدفاع عن مواقعهم التجارية و الثقافية لدى مسيحي المشرق و بذالك كانوا يجدون أنفسهم في حالة مواجهة بحسب الظروف مع كل من الروس و الإنكليز و النمسا.[3]

-موقف الدولة الألمانية من المسألة الشرقية

و في حين كانت الدول الأوروبية متصارعة فيما بينها على أملاك الدولة العثمانية،نجد أن ألمانيا كانت غير مهتمة بالمسألة الشرقية و هذا يرجع إلى الأوضاع التي كانت سائدة أنذاك في ألمانيا بحيث أن هذه الأخيرة لم تكن متوحدة و لم تحقق وحدتها بعد و لم تكن ألمانيا تعني وحدة سياسية معينة ،بل كانت مقسمة من 360ولاية جعلها نابليون 36،و هذه الولايات التي ستتوحد فيما بعد بما عرفت بالإمبراطورية الألمانية سيكون لها بعد وحدتها دورا كبيرا في تحريك أحداث التاريخ الحديث.[4]

---

[1]أ-محمد دراوي ،الجزائر و الجامعة الإسلامية 1876-1924،مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجيستر،إشراف مولود عويمر،جامعة الجزائر،2007-2008،ص213.

[2]-قينارجة :و تقع إلى الجنوب الشرقي في سيلستريا في بلغاريا.محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق إحسان حقي،ط9،دار النفائس،بيروت،ص342.

[3]-روبر مانتران،تاريخ الدولة العثمانية،جزان ،ت،بشير السباعي،دار الفكر لدراسات،القاهرة،1993،ج2،ص5.

[4]-د.سهام محمد هنداوي ،التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية (1293هـ/1876م-هـ1327/1909م):وثائق سرية،ط 1،دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع،دمشق،ص63.

و من هذا يمكن اعتبار أن العلاقات العثمانية الألمانية كانت ضعيفة بحيث لم تهتم هذه الأخيرة بالمسألة الشرقية و لم تتدخل فيها إلى غاية قيام الوحدة الألمانية فيما بعد لعد قدوم بيسمارك و من إشارات ذالك هو قول بيسمارك.[1] عام 1867"**علينا أن لا ننسى ...أنه ليس لدينا في هذه المسالة مصلحة مباشرة ،بل إن سياستنا تسير لمصلحة وضعنا الأوروبي بحرية ودون أية عقاب ...إن الأوضاع في تركيا عامة لا تمسنا مباشرة بل ما يمسنا فقط هو تأثيرها الذي قد ينعكس على علاقتنا مع الدول الكبرى**"[2] و هذا إن دل على شيء إنما يدل على عدم اهتمام ألمانيا بالمسألة الشرقية و اعتبارها أمر لا يخصها و لا تتدخل فيها بأية طريقة ،فقد التزمت الحياد من جهة هذه المشكلة ،فا لعلاقات الألمانية العثمانية في هذه الفترة كانت ضعيفة اقتصرت فقط على اهتمامات استشراقية و تبشيرية و مصالح تجارية[3].

و لكن ذالك لم يدم على مر الزمن ،فأن صح القول أن ألمانيا كانت أخر الدول التي انغمست في إشكاليات المسألة الشرقية ،فالصحيح أيضا أنها أصبحت أكثر الدول اهتماما بتلك المسالة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر و تحديدا منذ وصول غليوم الثاني[4] إلى الحكم .[5]

ففي عهد وليم الثاني يظهر اهتمام ألمانيا بالمسالة الشرقية من خلال محاولته الحفاظ على الوضع الراهن ،و حتى الحرب العالمية الأولى حاولت الحكومة الألمانية تحقيق هذا المبدأ ،و من أجل ذالك وقفت ألمانيا عام 1890في وجه حليفتها إيطاليا لتقسيم الدولة العثمانية ،و فرضت على حلفائها

[1]–ولد بيسمارك في بلدة شونهاوزت في قلب مملكة بروسيا سنة 1815م من عائلة من الأشراف اختاره الملك فردريك وليم الرابع ليكون مندوبا عن بروسيا و من خلال قيامه بعدة رحلات بين عدة بلدان خارج ألمانيا تيقن أن المشكلة الألمانية أي الوحدة الألمانية لن تحل إلا بالقوة و من هنا بدأ التخطيط في الوحدة الألمانية و نجح فعلا في ذالك،للمزيد أنظر :د.سهام محمد هنداوي ، التطور التاريخي للعلاقات العثمانية الألمانية ،نفس المرجع السابق ،ص64.

[2]عبد الرؤوف سنو،ألمانيا و الإسلام في القرن التاسع عشر و العشرين ،دار الفرات ،ط1،2007،ص36

[3]المرجع نفسه ،ص61

[4]غليوم الثاني،إمبراطور ألمانيا أدى إلى تكوين صداقة مع المسلمين و انتهج سياسة إسلامية للاندفاع نحو الشرق،سنو ،المرجع نفسه،ص111

[5]عبد الرؤوف سنو،سياسة المانيا الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط1858–1918:تحالف استراتيجي أم تحقيق مصالح قومية؟

التزام بسياسة الحفاظ على الدولة العثمانية ،كما وقفت في وجه روسيا للاستيلاء على الممرات من خلال تدعيم السلطنة دفاعيا .[1]

2: مظاهر التقارب الألماني العثماني

مع بدايات القرن التاسع عشر بلغت الثورة الصناعية في أوروبا و التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية أقصى درجاته،حيث بدأت تتشكل تكتلات سياسية جديدة على الساحة الأوروبية غايتها تحقيق أعلى نسبة ممكنة من مصالحه الشخصية و خاصة الاستعمارية منها دون الدخول في صراعات تؤدي إلى حروب فيما بينها بين الدول الأوروبية العظمى و لحد ما استطاعت هذه السياسة الصمود إلى غاية الحرب العالمية الأولى 1914م.

و أمام هذه الصورة ظهرت ألمانيا على الساحة الاستعمارية و لكن بحذر شديد محاولة الاستفادة من الظروف السياسية الدولية و خاصة بالنسبة للدولة العثمانية من أجل النفوذ إليها مع اختيارها أسلوب هادئا و دبلوماسيا لتحقيق ذالك عكس النهج العسكري الذي اتخذته الدول الأوروبية الأخرى و هذا ما سيعزز من تطور العلاقات الألمانية العثمانية الذي سوف تستفيد منه ألمانيا من خلال دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانبها فنجحت ألمانيا في جعل الدولة العثمانية تتقبل ألمانيا باعتبارها أقل خطورة على الدولة العثمانية حسب ظن القائمين على أمرها.

فكانت الطريق شبه ممهدة بين الطرفين في تلك المرحلة من أجل إقامة علاقات أخذت طابع الود و الصداقة بين الطرفين،و دعم كل منهما للأخر في أزماته مع تحقيق الفائدة الاقتصادية و السياسية و التي بقيت قائمة و مستمرة حتى سنة1914 و ما بعد.[2]

-التغلغل الألماني في الدولة العثمانية و قيام سكة حديد برلين –بغداد

كان مشروع سكة حديد بغداد من أشد المشاكل استعمار التي عرفتها الدول الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين تعقيدا ،و من أقوى العوامل في سوق هذه الدول إلى خوض غمار الحرب إن انجاز الوحدة الألمانية و قيام الإمبراطورية الألمانية في 1871أعطى زخما قويا للتطور الاقتصادي الألمانيبحيث أصبح العقد الثامن من القرن 20 نقطة تحول في تطور ألمانيا

[1]–سنو،ألمانيا و إسلام ،نفس المرجع السابق،ص61–62.

[2]–التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية ،نفس المرجع السابق ،ص73.

الاقتصادي،و بدأت تظهر على المسرح كقوة استعمارية ،و بدأ النفوذ الألماني بالتغلغل في الدولة العثمانية عن طريق إرسال بعثات عسكرية لتدريبالجيش العثماني ،فقد وجد العثمانيون كما سبق و أن أشرنا الدولة الوحيدة التي لم تكن لها مصالح و أطماع في أراضيهم ،فكانت الدولة العثمانية تحتل مكانة الصدارة في مخططات التوسعية .[1]

و كان بناع السكك الحديد في الدولة العثمانية من الوسائل الفعالة التي لجأ إليها الاستعمار لتغلغل في تلك الدولة و الإشراف على الكثير من مواردها

و في عام1892كان السلطان عبد الحميد الثاني [2]قد أعلن عن عزمه بمد شبكة خطوط حديدية عبر الأراضي العثمانية تكمل خط ألمانيا،الذي كانت ألمانيا قد حصلت على امتياز عام 1882و تسمح بتحقيق وحدة سياسية و إدارية بين أرجاء البلدان المتباعدة ،و كان الإمبراطور وليم الثاني قد قام بزيارة للدولة العثمانية للمرة الثانية في 1898 و تمخضت عن هذه الزيارة عن نتائج مهمة في التغلغل الألماني في الأقطار الدولة العثمانية ،و نتج عنها موافقة السلطان على منحهم امتياز سكة حديد بغداد–برلين

و في عام 1892 انتهى الألمان بمد سكة حديد بغداد –برلين إلى أنقره إلا أنها واجهت معارضة من قبل بريطانيا وروسيا و فرنسا ،و من هذا الأمر نلاحظ أن الألمان كانوا يرون أن الدولة العثمانية الموحدة الغير المجزئة و الواقعة تحت حماية ألمانيا بشكل غير رسمي تحولها إلى مستعمرة ألمانية ،و من جهة أخرى كان السلطان عبد الحميد الثاني يرى في ألمانيا سنده و الاعتماد عليها في مركزه و مقاومة الحركات التحرر القومية[3].

فيمكن القول أن زيارة الإمبراطور كان لها أهداف متبادلة من قبل الطرفين العثماني و الألماني ،إمبراطور الألماني كان يؤمن بضرورة تقوية العلاقات الاقتصادية و السياسية مع الدولة العثمانية بحث استهدفت السياسة الألمانية من خلال هذا المشروع إلى :

---

[1]–جوان حسين فيض الله الجاف،الدبلوماسية الألمانية 1870–1914م،مقال

[2]–عبد الحميد الثاني :هو ابن عبد الحميد الأول تولى الحكم بعد عزل أخيه مراد الخامس ،عرف باستبداده و تعصبه مما أدى إلى تأسيس الجمعيات ذات الأهداف السياسية ،أطلق عليه السلطان الأحمر لكثرة سفكه الدماء ،و قام ببعض الإصلاحات منها القضاء على الفساد و الرشوة ،للمزيد انظر يالماز ص:38

[3]–عبد الرؤوف سنو، ألمانيا و الإسلام ،مرجع السابق،ص44.

أهداف

1-اتخاذ ألمانيا من التسلل الاقتصادي في د.ع وسيلة لجعل ألمانيا قوة استعمارية عالمية في منطقة الشرق الأوسط،بحث يعتبر مشروع أو طريق ب.ب.ب[1]،أهم و ابرز ما يجسد تسللها الاقتصادي.

2-تحويل المناطق التي يمر بها خط ب.ب.ب في الدولة العثمانية إلى مناطق إنتاج المواد الخام التي تستخدم في الصناعة الألمانية

3-استغلال نفوذها السياسي في د.ع بوضع خطط تستهدف استخدام الأفضل لسكك الحديد في الأغراض الحربية ،بحيث كان من بين هذه الخطط هو إرساء نظام للحكم السياسي غير المباشر و للأنظمة الاقتصادية في المناطق التي يسمر بها خط الحديدي في د.ع و تشرف الأجهزة الألمانية المتخصصة على تنفيذها .[2]

و السلطان العثماني عبد الحميد كان يؤمن بإقامة علاقات مماثلة مع ألمانيا و اتخاذها حليف جديد ضد أعدائه كما سبق و أن أشرنا .[3] مؤيدا لتطوير وسائل حديثة المواصلات في الإمبراطورية و إنشاء خط السكك الحديدية في الأناضول لأول مرة يعتبر مهما بالدرجة الأولى على المستوى العسكري ،بحيث أشارت العمليات ضد اليونان عام1897الى دور السكك الحديدية في الإستراتيجية العسكرية و علاوة عن الاعتبارات العسكرية فان الاعتبارات الاقتصادية تحتل مكانة كبيرة في المشروع لان من شأن سكة حديد بغداد تفتح البلد كله أمام التقدم الاقتصادي [4].

-سياسية ألمانيا الإسلامية:

بعدما أدركت ألمانيا أهمية الدولة العثمانية بدأت في التغلغل في المشرق و الاندفاع نحوه بأبعاد اقتصادية كما رأينا مع سكة الحديد بغداد -برلين و سياسية التي سوف نتطرق إليها من خلال هذا

---

[1]-أطلق على مشروع الخط الحديدي من قبيل الاختصار طريق ب.ب.ب B.B.B.Route لأنه يبدأ من برلين و يمر ببيزنطة ثم بغداد.وقد اختيرت كلمة بيزنطة بدلا من استانبول أو الآستانة أو القسطنطينية حتى تبدأ أسماء المحطات الثلاث الرئيسة بحرف الباء بحيث ان تسمية سكة حديد بغداد غير دقيدة .شناوي ،نفس المرجع نفسه ص174.

[2]- عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها،ج3،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ،دط، ص176.

[3]-الشناوي ،مرجع السابق ،ص372.

[4]-روبر مانتران،تاريخ الدولة العثمانية ،ترجمة:بشير السباعي،ج2،دار الفكر لدراسات و النشر و التوزيع،ط1،القاهرة،1993،ص225.

العنصر و كذالك ثقافية و يتجلى ذالك من خلال عصر وليم الثاني ،و من أجل علاقة وطيدة قام الإمبراطور وليم الثاني بزيارتين في سنتي 1889-1898حيث مهدت الأولى إلى التغلغل الاقتصادي في المناطق العثمانية ،أما الثانية أما الثانية التي تحصل من خلالها الإمبراطور العثماني على سكة حديد بغداد –برلين ،أما من خلال المظاهر العلاقات السياسية فإن ألمانيا كانت تنتهج سياسة إسلامية .[1] و تتجلى مظاهرها من خلال ما يلي:

1-إعلان ألمانيا صداقتها للإسلام و خصوصا لسلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يفتح لها التغلغل الاقتصادي و التجاري داخل الدولة العثمانية و من هنا تحول الإسلام منذ الثمانيات من القرن 19 إلى ركن رئيسي في سياسة ألمانيا الخارجية ،و صراعاتها الدولية و انتهجت سياسية إسلامية سعت إلى استخدام نفوذها لدى السلطان العثماني لضرب المصالح الأوروبية في مستعمراتها من بينها ضرب المصالح البريطانية في مصر و الهند،و كذالك المصالح فرنسا في شمال أفريقيا هذا ما يفسر عدم تقبل الدول الأوروبية لهذه الصداقة مع الدولة العثمانية خاصة مع فرنسا التي سوف تتخذ ألمانيا من هذه السياسة الإسلامية سلاح لضرب فرنسا

من خلال محاولة التأثير على الدول المستعمرة لها بما يعرف بالدعاية الألمانية العثمانية و بعد ضمان دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانبها.[2]

2-خطاب ألمانيا الإسلامي و لتجسيد هذه السياسة كانت لألمانيا عدة خطابات التي عبرت من خلالها عن انتهاج سياسة الإسلامية من أجل كسب صداقة الدولة العثمانية و الدول العربية التي تحت لواءها ،و تمهيدا للحرب التي تنبأ لها إمبراطورها من قبل،لكسب حليفة لها و يظهر ذالك من خلال زيارة الإمبراطور الألماني إلى بلاد الشام و كلمة في دمشق عام 1898،و إلى طنجة في عام 1905 و اعتراف بالسلطان العثماني كخليفة للمسلمين وفق ما يسمى بالجامعة الإسلامية .

و لعل أبرز المناسبات التي تعبر عن سياسة ألمانيا الإسلامية هي:

[1]-هشام صالح التكريتي ،(التغلغل الألماني في المشرق العربي قبل الحرب العالمية الأولى)مجلة المؤرخ العربي ،العدد 26،بغداد 1985،ص40.

[2]-عبد الرؤوف سنو،سياسة ألمانيا إسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط 1885،ص129.

أ-عندما توجه وليم الثاني إلى دمشق استقبل إمبراطور ألمانيا وفد مسيحي في بلدة بلبنان جاء يشكو معاملة السيئة التي يعيشونها جراء الحكم العثماني،فأجابهم الإمبراطور بأن يعتنقوا الإسلام مادام أنهم أقلية تعيش هناك

ب-بعد يومين من الحدث وضع وليم الثاني إكليل من الزهور على ضريح السلطان صلاح الدين في دمشق و ألقى خطاب كان واضحا ليجسد السياسة الألمانية الإسلامية .

و منه يمكن القول أن فكرة التحول إلى الإسلام لم تكن جدية لدى الإمبراطور ألمانيا ،لأن الإنسان لن يغير دينه بهذه البساطة ،و بالتالي فإن هذه السياسة لم تكن سوى مجرد محاولة التغلغل في المشرق العربي ،و الدولة العثمانية و لكن تكون بطريقة سلمية ،و لم تكن تدرك الدول العربية الحقيقة من وراء هذه السياسة ،بحيث اعتقدت بأن ألمانيا حليفتها الوحيدة للحفاظ على الإسلام من الدول الأوروبية الأخرى .[1]

3-العلاقات الألمانية العثمانية عشية الحرب العالمية الأولى

بعدما بدأت بوادر الحرب العالمية الأولى تظهر و تقين الدول الأوروبية بوجود حرب لا مفر منها سارعت ألمانيا إلى استغلال العلاقات السائدة بينها و بين الدولة العثمانية ،و محاولة تعزيزها أكثر عشية الحرب العالمية الأولى و عليه اتخذت ألمانيا منذ مطلع القرن العشرين تدرك أهمية الدولة العثمانية العسكرية و تفكر في كسبها كحليفة لها في الحرب ففكرت في أن تأخذ مكان إيطاليا في الحلف الثلاثي ،إلا أن الانتقادات البعثة العسكرية الألمانية في الأستانة و شكوكها من عدم كفاءة الجيش العثماني كحليف لها أخر قيام هذا التحالف.[2]

و في عام 1913 عين الجنرال أوتلمان فون ساندر[3] رئيس للبعثة الألمانية العسكرية في السلطنة العثمانية و قائد الفيلق العثماني الأول ،استطاع هذا القائد إحداث نقلة نوعية في الفيالق العثمانية و فعالياتها بإضافة إلى تدعيم الأسطول العثماني في البحر الأسود،و عند اندلاع الحرب لم تجد ألمانيا أية

[1]-سنو،ألمانيا و الإسلام ،نفس المرجع السابق،ص154.

[2]-نفسه ،ص69.

[3]-أوتلمان فون ساندر :جنرال ألماني و رئيس البعثة العسكرية الألمانية في السلطة العثمانية للمزيد أنظر :سنو ،ألمانيا و الإسلام مرجع سابق ،ص70.

صعوبة في عقد التحالف مع الدولة العثمانية للدخول في الحرب جانب ألمانيا في 2أبريل 1914 الذي نص على تبادل المساعدة ضد أي عدو.[1]

و تشير الدكتورة هنداوي إلى أن الضباط الألمان كانوا يشرفون على تدريب الجيش العثماني بكل اختصاص أنهم حاول هؤلاء جعل الجيش العثماني صورة مصغرة عن الجيش الألماني ،بحيث تقول أنهم لم يكونوا مخلصين في تدريبهم بل كانت الغاية الوحيدة هيا إستقواء الدولة العثمانية بحليفها الجديد هيا ألمانيا ضد أعدائها و هذا ما عبر عليه رئيس أركان الجيش الألماني قائلا:"**الجندي العثماني مخلص وودود و مقاوم ،يمكن أن يستغل بسهولة و يجر إلى ساحة المعركة** " [2]و هذا بالفعل ما سيجري و ما سنلاحظه من خلال انضمام الدولة العثمانية ؟إلى الحرب جانب ألمانيا.

-موقف الدولة العثمانية من الحرب

عند اندلاع الحرب العالمية الأولى بين المحور (ألمانيا و النمسا و المجر)و دول الحلفاء(بريطانيا و روسيا و فرنسا)،كان لابد من الدولة العثمانية اتخاذ موقف حيال ذالك خاصة و أن صديقتها ألمانيا كانت ضمن أطراف الصراع ،يقول العجيلي التليلي في كتابة صدى الجامعة الإسلامية في المغرب العربي أنها رغم العلاقة السياسية التي كانت سائدة بينها و بين الدولة الألمانية إلا أنها فضلت الحياد و لم تشأ التدخل في الحرب،و لكن سرعان ما رأت التوغل الأوروبي يزداد كل مرة و لا تراجع حول المسألة الشرقية و تقسيم تركة الإمبراطورية ،جعل هذه الأخيرة تفكر في الدخول في الحرب إلى جانب ألمانيا.[3]

هذا و أنها أعلنت حالة الاستنفار العام بحجة المحافظة على حيادها تجاه من يريد الاعتداء عليها،و قد استمرت حالة الاستنفار العام ثلاثة أشهر تقريبا حيث كانت الحكومة فيها تتأرجح بين الدخول في الحرب و عدم دخولها ،وقد انقسم رجال الدولة إلى قسمين:احدهما كان يدعو إلى دخول تركيا الحرب جانب ألمانيا و

[1]-سنو، ألمانيا و الإسلام ،نفسه ،ص70-71

[2]-د.سهام محمد هنداوي ،التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية،نفس المرجع السابق،ص 115.

[3]-التليلي العجيلي ،صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي(1876-1918)،ط1،دار الجنوب للنشر و الطباعة،تونس،2005،ص223.

الأخر يدعو إلى الوقوف على حياد.[1] و في الواقع كانت هناك حادثتين كان لهما الأثر الأعظم في دخول د.ع الحرب هما:

قبل اندلاع الحرب كانت تركيا قد أوصت أحد مصانع بريطانيا على صنع باخرتين حربيتين لها و قد دفعت ثمنها بواسطة الاكتتاب العمومي فتحمس الأتراك لهذا و باعت النساء حليهن و دفع الموظفون جزء من رواتبهم من اجل تسديد ثمن الباخرتين .و عند اندلاع الحرب امتنعت بريطانيا عن تسليم الباخرتين إلى العثمانيين مما أدى إلى هياج الرأي العام في تركيا

و الحادثة الثانية تتمثل في أن طراداتان ألمانيتين اسمهما (غوين)و(بروسلاو) كانا في البحر المتوسط عند اندلاع الحرب فاخذ الأسطول البريطاني يطاردهما مطاردة عنيفة ثم استطاع الطرادتان من الوصول إلى مضيق الدردنيل فاحتميا فيه و بذالك تمكنا من النجاة من المطاردة البريطانية ،و كان الحياد يفرض عليها أن تطلب من الطرادين مغادرة المياه التركية خلال 24 ساعة و إلا فهي يجب أن تنزع عنهما سلاحهما و تحتجزهما في احد موانئها ،و هنا وقعت تركيا في ورطة كبيرة فهي من جهة لا تريد الدخول في الحرب و من

جهة أخرى لا تريد إفساد العلاقة بينها و بين ألمانيا،فاجتمع مجلس الوزراء من اجل إيجاد حل للمسالة مع السفير الألماني عندها قرر مجلس الوزراء شراء الطراداتان من الألمان و هكذا تحل المشكلة.

كما منحت لهم الجنسية العثمانية للطاقم الألماني و عينهم طاقما لطراداتان بقيادة الأميرال الألماني (سوشون)،فخلع قبعته و لبسوا الطرابيش العثمانية إعلان عن أنهم أصبحوا عثمانيين، و كان سوشون يتحين الفرصة للخروج إلى البحر الأسود من اجل التحرش بالأسطول الروسي مأمورا بذالك سرا من قيصر ألمانيا فقام بقصف بعض الموانئ الروسية،ثم عاد إلى اسطنبول بدون علم الدولة العثمانية،و هنا وصلت برقية تخبر رئيس الوزراء التركي بأمر قصف الموانئ الروسية فعقد اجتماع و حدثت خلافات حول دخول د.ع الحرب و بينما هم في إيجاد حل للمشكلة صدر بيان أن الأسطول الروسي هو من بدا العدوان عل تركيا،و منه و على اثر هذا البيان عاد السفيران البريطاني و الفرنسي و تلاها إعلان روسيا

[1]–تيتة ليلى،موقف بعض الزوايا و الطرق الصوفية بالجنوب الشرقي الجزائري و تونس من مسألة مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى ،ملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري و تونس1881–1954،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة الوادي،أيام 3–4نوفمبر 2013.

الحرب على تركيا و أعلنت عليها فرنسا و بريطانيا الحرب أيضا .و هكذا تكون تركيا قد دخلت الحرب مجبرة بعد التزامها الحياد و قام مجلس الوزراء بكتابة القرار الذي شرحوا فيه ضرورة دخول تركيا الحرب.[1]

– أسباب دخول الدولة العثمانية الحرب

أن دخـول الدولـة العثمانيـة الحـرب العالميـة الأولـى إلـى جانـب ألمانيـا ضـد دول الوفـاق الودي(فرنسا،بريطانيا ،روسيا)كان راجع إلى الحرب التي اشتعلت منذ مدة و التي تعرضت على إثرها الدولة العثمانية إلى العديد من المخاطر من طرف دول الوفاق الودي ،هذا و أن الدولة العثمانية بررت دخولها بجملة من الأسباب تتمثل فيما يلي :

1–كما سبق و أن اشرنا و درسنا العلاقات الألمانية العثمانية فا الملاحظ عليها أنها كانت علاقة ودية بينهم ،و حاولت ألمانيا بشتى الطرق بناء صداقة مع الدول العثمانية و كسبها،و ذالك من خلال رفض ألمانيا في حل المسألة الشرقية و التدخل فيها مع دول الوفاق و منه عملت على التقرب من الباب العالي و كسب المساندة في الحرب.[2]

2–التقارب العثماني الألماني خاصة في مجال التجارة حيث انه كانت هناك اتفاقيات في نهاية القرن 19 و التي فتحت المجال أمام الدبلوماسية الألمانية لتغلغل في الشرق

3–وجود العدو المشترك التقليدي للدولة العثمانية كطرف في الحرب المتمثل في روسيا مع بريطانيا و فرنسا

4–التهديدات التي تعرضت لها الدولة العثمانية من قبل بريطانيا اثر رفضها تسليم المدرعين و مبادرتهما بإلغاء العلاقة الدبلوماسية هي و حلفائها[3] .

5–حاجة الدولة العثمانية الماسة في الحصول على الدعم للوقوف في وجه الطامعين و إلى قوة أوروبية تقف إلى جنبها فرأت في ذالك الدعم ألمانيا.[4]

---

[1]–رياض الصمد ،العلاقات الدولية في القرن العشرين ،بيروت ،ددط ،ص ص122–125.

[2]–العجيلي التليلي ،صدى حركة الجامعة الاسلامية، المرجع السابق،ص237

[3]– نفسه ،ص239.

[4]–عبد العزيز سليمان نوار،تاريخ العراق الحديث حتى نهاية الحكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،ص302.

كذالك من بين الأسباب هي أن ألمانيا لم تسبق لها من قبل أن لمحت أي اعتداء على الباب العالي أو الدخول في مشكلة المسألة الشرقية ،خاصة و أن إمبراطور ألمانيا أعلن إسلامه ،هذا ما سنتعرف عليه من خلال الدعاية الألمانية العثمانية و أثر العلاقات على ذالك.[1]

II:الدعاية الألمانية و أساليبها

1-الدعاية الرسمية الدينية

إن التقارب الذي بدأ في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشريين بين الدولة العثمانية ألمانيا،سهل عليها الولاء العثماني و رأت أن هذا التقارب هو سلاح فعال لتصدي الدول الاستعمارية الأخرى خاصة بعد إعلان القيصر الألماني وليم الثاني اعتناقه للإسلام،حيث تعتبر هذه الرحلة الأسطورة الدور البارز في جذب الدولة العثمانية إلى المشاركة في الحرب إلى جانب ألمانيا [2]

و مع اندلاع الحرب العالمية الأولى و دخول الحرب الدولة العثمانية الحرب حتى صدرت فتوى شيخ الإسلام في استانبول ،ثم لحقت بها فتوى أصدرها السلطان العثماني رشاد الخامس (1909-1917)[3] فتوى الجهاد المقدس ضد فرنسا و حلفائها ثم أعقبت عليها فتوى ثالثة وقع عليها شيخ الإسلام و ثمانية و عشرون من كبار العلماء من ذوي المناصب الدينية الكبرى [4]ليميز هذه الحرب و إعطائها الشق الديني .

و سندرس الفتوى الشريفية باعتبارها وسيلة من وسائل الدعاية الدينية الرسمية لدعاية الألمانية العثمانية ،فما هي الفتوى الشريفية؟و ما هي أهم مضامين التي جاءت بها هذه الفتوى؟و فيما تمثلت أسباب صدورها؟.

[1]-سنو،ألمانيا و الإسلام ، المرجع السابق،ص110.

[2]-عبد الرؤوف سنو،الجهاد صنع في ألمانيا،قناة بي بي سي،2014/11/24،ص03.

[3]-رشاد الخامس :محمد رشاد خان هو الابن الثالث لسلطان عبد الحميد و هو ولي عهد الرابع ،كان شاعرا و عازف بيانو ،تولى حكم الدولة العثمانية بين(1909-1918) كان له الدور الكبير في مجريات الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ،أصدر فتوى الجهاد المقدس...أنظر:إبراهيم بك ،تاريخ الدولة العلية ،ط1،بيروت 1988،ص203.

-الفتوى الشريفية:

بعدما بررت د.ع دخولها الحرب إلى جانب ألمانيا فقد حان وقت أن تنشر التعبئة الشعبية على المستوى المحلي و العالمي لكافة المسلمين ،و من أجل ذالك بادرت إلى إصدار فتوى تتعلق بإعلان الجهاد المقدس.

-تعريفها و محتواها

حسب ما جاء به العجيلي التليلي في كتابه حول الفتوى انه اختلف المؤرخون حول صدورها و لكن ما أخذ منه أن الفتوى الشريفية صدرت يوم الجمعة 14نوفمبر 1914 و التي أصدرها السلطان العثماني رشاد الخامس و حررها شيخ الإسلام خيري بن الأكروبي [1] و جاء في كتابه أن الفتوى عقدت مع ثمانية و عشرين من كبار الأئمة و المشايخ ،جاءت هذه الفتوى على شكل خمسة أسئلة وقعت عليها الإجابة في إيجاز بخمسة أجوبة.[2]

و قد كان محتوى الفتوى الذي جاءت به لتبرر و تبرز أسباب إصدار هذه الأخيرة ،و ذالك على الصعيد الداخلي أي الجيوش العثمانية و على الصعيد الخارجي و هم الدول العربية الواقعة تحت لواء الدولة العثمانية

،و من قد جاء من جانب تعزيز و رفع معنويات الجيش العثماني و تهيئته لما جاء في قوله "**عساكرنا الشجعان و الأبطال إن الدين و الوطن صحا صيحته الكبرى و طلبنا منكم التضحية بأرواحكم من اجل نصرتهما ،أبنائنا**

الأعزاء ...انتم أنجال السلف الصالح التي كان يحترمهم جميع الأعداء ...فلتبرهنوا انه يوجد إلا الآن جيش و أسطول عثماني يدافعان بقوة السلاح عن راية الإسلامية و الوطن"[3] هذا ما كان من ناحية تعبئة الجيش العثماني و تفسير أسباب الفتوى من اجل الاستجابة إلى الدعوة إلى الجهاد المقدس الذي فرض عليهم و إلى جانب ألمانيا.

---

[1]-شيخ الإسلام العثماني من عائلة عون منافسة لبني هاشم محرر الفتوى الشريفية 1914 للمزيد أنظر:أمين الريحاني ملوك العرب ج1،ط8،دار الجبل ،بيروت 1987،ص53.

[2]-العجيلي التليلي،صدى حركة الجامعة الإسلامية ،المرجع السابق ،ص288.

[3]-عجيلي تليلي ،ص ص225-226

أما في ما يخص تعبئة د.ع للدول العربية الأخرى من اجل كسب ولائها و الانضمام إليها في مواجهة العدو،فقد احتوت الفتوى الشريفية و الفتاوى الثلاث على مجموعة من الأسباب من اجل ذالك

1-أن الفتاوى الثلاث موجهة إلى جميع المسلمين في بقاع الأرض سواء الذين يعيشون تخت حكم الدولة العثمانية أو الخاضعين لحكم الدول"عدوة الإسلام"و هيا روسيا و بريطانيا و فرنسا و غير هؤلاء و أولائك من مسلمي العالم.

2-إن الحرب التي تخوضها الدولة هي حرب دينية تستهدف تحرير المسلمين المستعبدين ،و الدفاع عن الدولة ،و أنه قد وضح -بما لا يدع مجال للشك -أن النصارى من أعداء الإسلام يستهدفون تدمير الدولة و تحطيم الإسلام ،لان الدولة العثمانية هي دولة الإسلام الكبرى و مقر الخلافة و درع الإسلام.

3-دعوة جميع المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها إلى الاتحاد المشترك للدفاع عن الأماكن المقدسة و المدينة المنورة .[1]

4-أن دول الوفاق الودي تحرم المسلمين من حقوقهم و أنهم معرضون للعذاب في كل وقت،خاصة و أن هؤلاء اعتقلوا جراء خوض معارك مع روسيا و حلفائها

5- اعتبار الفتوى أن مهاجمة الأعداء للديار الإسلامية و الغارة عليها مع ما ترتب على ذالك من غضب المماليك الإسلامية يفرض عليهم جميعا الجهاد استجابة لأمر الخليفة الإسلام و عملا بقوله تعالى:"**انفرا خفافا و ثقال و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم...**".[2]

6- اعتبار كل اللذين هم تحت إدارة د.ع مسؤولون بالدفاع عن الإسلام و الجهاد خصوصا أن دولة الحلفاء المحاربة لدولة الخلافة قد كانت دائما لها أطماع في الدولة الإسلامية (فرنسا في شمال أفريقيا و انجلترا و بريطانيا)الأمر الذي يتوجب الثورة و إعلان الحرب عليها .[3]

[1]-عبد العزيز محمد الشناوي ،الدولة العثمانية (دولة مفترى عليها)،ج1،مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة،1980،ص75.

[2]-سورة مريم الاية

[3]-تليلي ،المرجع نفسه ،ص229.

هذا ما جاءت تنص عليه الفتوى الشريفية من أجل فرض الجهاد المقدس و من أجل تبرير إصدارها و اعتبار الحرب التي تقودها د.ع و تدعوا الدول الإسلامية إلى الاشتراك فيها هيا ما هي إلا مجرد حرب دينية لا غير و ذالك ما يوجب عليهم مساندتها و المشاركة فيها

اقتصرت فتوى الجهاد على دول الوفاق الودي و لم تذكر ايطاليا رغم حداثة استعمارها لايالة عثمانية طرابلس الغرب عام 1911 ،و الغرض من هذا الاستثناء هو حرص الدولة العثمانية و حليفتها ألمانيا على أن تكسب ود السلطات الايطالية.[1]

2-أساليب الدعاية :

عمدت ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى إلى انتهاج سياسة دينية فيها إسلامها مصداقيتها للمسلمين من أجل تحقيق أغراضها السياسية الخفية و مصالحها الاقتصادية في المشرق العربي،حيث جعلت من الإدعاءات الدينية الركيزة المهمة في تحقيق ذالك ،و ذالك بإدراك ألمانيا بمدى أهمية الدين الإسلامي عند الشعوب العربية ،و ما مدى قوة هذا السلاح في إثارة العالمين العربي الإسلامي ضد الاتفاق الودي ،مدعمة بذالك صداقتها للإسلام.[2]

حيث أن هذه الأخيرة تمكنت من الوصول إلى مبتغاها الديني السياسي و هو إقناع الدولة العثمانية أن ألمانيا الدولة الوحيدة التي رفعت راية الإسلام و تدافع عن ممتلكات المسلمين حسب اعتقادهم في المشرق العربي و ترفض تقسيم ممتلكاتها.[3]

و لعل ما قامت به هو صنع أقوى دعاية أقحمت فيها الباب العالي في تلك الحرب،و انتهجت بعدة أساليب و مضامين قوية مقنعة من أجل ذالك ،و تمكنت بفضلها التغلب على خصمها ،بحيث كانت الأساليب الدعائية الألمانية كثيرة التي عمدت إلى صد خطر الدول المتحالفة ،و أصبحت تستغل نفوذ السلطان العثماني كخليفة من أجل مصالحها و ذالك يظهر منذ الوهلة الأولى خاصة في إفريقيا و أسيا .[4] كما سبق و أن ذكرنا مدعية بذالك الإسلام و الخلافة.

---

[1]-التليلي العجيلي،صدى حركة الجامعة الاسلامية ....مرجع سابق ص231.

[2]-عبد الرؤوف سنو ،الإسلام و الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى ،ص179.

[3]-سنو ،ألمانيا و الإسلام،نفس المرجع السابق،ص152.

[4]-عبد الرؤوف سنو، الجهاد صنع في ألمانيا،قناة بي بي سي،24-11-2014،ص82-83

فبعد أن تعرفنا على الدعاية الرسمية الدينية لدعاية الألمانية العثمانية و إصدارها فتوى شيخ الإسلام بحث يقو ل سنو في كتابه ألمانيا و الإسلام لقت قبولا من القيادات الألمانية و في هذا الصدد يقول رئيس وزراء بيتمان هولفغ[1] "**أن على ألمانيا ألا تحارب سلاح العدو فحسب ،و إنما عليها أن تصد أيضا دعاياتها الكاذبة حول ألمانيا و النظرة الخاطئة التي تعطى عليها و أوصى بدعايته خارج وطنه و نشرها على أكبر مساحة في العالم** "[2].

ومن هنا بدأت ألمانيا في إرسال البعثات الألمانية لتحريض العالم الإسلامي على دول العدو و خاصة في الهند و مصر و شمال أفريقا من أجل الحصول على المعلومات السياسية و الاقتصادية التي تعبر من الدول

المحايدة لدول الوفاق و العمل بكل الأساليب لإقناع الشعوب المسلمة لأهمية ألمانيا و إعطاء نظرة إيجابية لها كما سنلاحظه من خلال منشوراتها و أنها دولة مناصرة للإسلام و المفككة للعزلة و الضيق التي تعاني منه الدول الإسلامية و العالم الإسلامي ،حيث عمل القنصل الألماني في دمشق بإقناع السكان بالمنافع التي يستفدون منها عند خوض للحرب إلى جانب ألمانيا [3]،و لعل من أهم الشخصيات التي لعبت دورا كبيرا في نشر الدعاية هو المستشرق الألماني أوبينهام

أ-دور المستشرقين في الدعاية (ماكس أوبنهايم)

يعتبر المستشرق(ماكس فون أوبينهايم)[4] أحد كبار الشخصيات الألمانية التي لفتت الانتباه إلى أهمية استخدام الجامعة الإسلامية و الجهاد وصفه السلطان العثماني كخليفة من أجل استمالة الشعوب الإسلامية الخاضعة لبريطانيا و فرنسا وروسيا و توظيف ذالك في انتفاضات تنهك هذه الدول

[1]-**بتمان هولفغ**:رئيس وزراء ألمانيا حارب الدعاية المضادة :للمزيد أنظر سنو ألمانيا و الاسلام...،نفسه ،ص84.

[2]-سنو،ألمانيا و الإسلام ،المرجع السابق،ص90-91.

[3]-نفسه ،ص93.

[4]-ماكس فون أوبينهايم (1869-1946) مستشرق و ديبلوماسي ألماني عالم أثار ألماني ولد في 15 تموز1869 لعائلة ذات أصول يهودية مشهورة بالثراء في مدينة كولونيا الألمانية نشأ على المذهب المذهب الكاثوليكي اهتم بقراءة الكتب و أعجب بالقصص التي تصف الشرقي ،قام بعدة رحلات علمية ،كان له دور كبير في نشر الدعاية الألمانية العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى .دور المستشرق ماكس فون أوبنهام في الدعاية الألمانية للحرب المقدسة 1915-1918،دراسات استشراقية ،العدد 12،صيف 2017م .

هذه الدول و تشغل قواتها في حال اندلاع الصراع بينها وبين ألمانيا .عندما اندلعت الحرب أدرك أوبينهام ضرورة وجود مؤسسة تتولى الدعاية لبلاده بين العرب و المسلمين فتقدم بمذكرتين إلى رئيس الوزراء الألماني بيتمان هولفيغ في 18 آب 1914و مذكرة ثالثة في مطلع تشرين الأول حول أهمية تحريض المسلمين على الثورة في مناطق العدو[1]

و من أجل تحقيق ذالك كلف وزير الخارجية أوبنهايم ماكس فون برحلة إلى سورية تستغرق بضعة أشهر و كان مقرر أن يتخذ دمشق مقرا له ،حيث كانت مهمته في تأمين إيصال للمعلومات الذي يبدأ من سوريا و ينتهي بأوروبا و اتصالات أخرى يتمثل في سورية و مصر ،السودان و المناطق الخاضعة لدول الوفاق،

و من بين الأساليب التي اعتمد عليها أوبينهام لكسب ود العرب و المسلمين في سوريه هو انه أشار إلى أهمية تقديم هدية من طرف الإمبراطور وليم الثاني إلى ضريح صلاح الدين الأيوبي ،ووصل أوبنهايم إلى بيروت عام 1915،و عقد اجتماع من أجل تنظيم الدعاية للحفلة ،بحيث تم الاحتفال بتعليق هدية الإمبراطور بحضور أركان بارزين من السلطتين العثمانية و الألمانية،و ألقى أوبينهايم و بعض المشايخ خطبة تحث فيها على الوقوف إلى جانب د.ع و حليفتها خدمة للإسلام و الدفاع عنه.[2]

و قام بإنشاء مراكز دعائية في مختلف المدن ،فعمل على استخدام الصحافة المحلية في سوريا لأغراض ألمانية للإفادة من الدعاية الألمانية في سوريه بشان الأسرى المسلمين في ألمانيا ،و العمل على إنشاء صحف جديدة و دعم الحملة العثمانية المنشودة على الهند ،و تجنيد المتصوفين و أئمة المساجد و أعيان و شيوخ

[1]–سنو ، "الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى "،بحوث تاريخية ،بيروت،دط،2002،ص179–1254.

[2]–دور المستشرق الألماني ،دراسات إستشراقية،نفس المرجع السابق،ص132.

العشائر و كسب العملاء الناشطين ،و السهر على ترويج للأخبار عن قوة الاقتصاد الألماني بما يخدم مصالحها[1]

كما لا ننسى أعماله المهمة و التي من أبرزها محاولة كسب ولاء إشراف مكة و هذا قبل التأكد من دخول الدولة العثمانية الحرب جانب ألمانيا ،و لاحظ بان تلك العلاقات قائمة بين دول الوفاق الودي و شريف مكة كانت تهدف إلى إنشاء خلافة مستقلة عن الدولة العثمانية ،و ازداد تأكده من ذالك حينما تجاهل شريف مكة مساندة الهجوم الألماني غلى قناة السويس[2]

طرح أوبينهايم في بداية عام 1916فكرة جديدة تقتضي لإرسال بعثة ألمانية عثمانية عن طريق الحجاز و اليمن من اجل إقامة مركز للدعاية الإسلامية التي تستهدف إثارة السودان و شرق أفريقيا ضد دول الوفاق لكن أنور باشا لم يكن مؤيدا للفكرة و أخبر الملحق العسكري بان سمر البعثة الألمانية عبر المدينة المنورة و مكة المكرمة سيكون مستحيلا و رغم تلك التحضيرات تمكن أوبينهام من إقناع القيادة و تنفيذ مشروع

في النهاية فان الدعاية الألمانية التي قادها أوبينهايم لم تحقق النتائج المرجوة ،فقد كان الافتراض أن الإسلام هو الرابط الموحد للمسلمين في ألمانيا كان افتراضا خاطئا و من جهة أخرى فان فشله يتجلى في عدم قدرته على الحصول على تأيد الشريف في الحرب .

-المنشورات:

تعتبر المنشورات من أهم الوسائل التي لجأت إليها ألمانيا و الدولة العثمانية من أجل نشر دعايتهما على مستوى العالمين العربي و الإسلامي ،بحيث عكفت الحكومة التركية بالتعاون مع المستشرقين الألمان على طبع تلك الفتاوى التي أصدرت الثلاث مع تعليقات دينية عليها في كتيبات و منشورات للتأثير على الجماهير التي تعتنق الإسلام ،و كتبت بجميع اللغات التي كان يتكلم بها المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي ،و هربت إلى مصر و السودان و الهند و فارس و أفغانستان و فضلا عن شمال أفريقيا ،و اختلف أسلوب هذه الكتابات و المنشورات :

[1]-عبد الرؤوف سنو،ألمانيا و الإسلام ،مصدر سابق،ص ص100-101.

[2]- نفسه،ص131.

بحيث كان بعضها يحرض الجنود على الهرب من جيوش بريطانيا و حليفتها و بعضها يدعو إلى قتل و الاغتيال و غيرها من الاعتداءات الفردية ،و بعضها كان يطالب من المسلمين الامتناع عن تقديم أية مساعدة للدول عدة الإسلام حتى لا يكونوا معرضين لعقوبة الإعدام ،و لكن جميع هذه المنشورات تتفق في إبراز فكرة واحدة و هي أن الإسلام معرض للأخطار بسبب أطماع بريطانيا و حليفاتها ،و ان الجهاد في سبيل الدفاع عن الإسلام أنما هو فرض عين على كل مسلم بالغ و قادر .[1]

و من المناشير تلك التي تحدثت عن ولاء المصريين لدولة الخلافة و حثت الشعب المصري على الثورة ضد بريطانيا ،و خاطب منشور أخر يحث المصريين على النهوض من سباتهم و أعلن الثورة ضد الانجليز مستفزا حميتهم الإسلامية و الشرقية بالقول"**أيها الشعب المصري و أبناء الإسلام جميعا ،هل لكم أن تنهضوا من رقادكم ،و تفيقوا من سكركم و تذبوا عن حيطتكم و تعملوا إلى تحريركم من يد الظالم المستبد لكم الذي**

قضى على بلادكم و بيتكم و إحاساسكم الشرقي و سيقضي على أعقابكم مادمتم تحت نبر العبودية ترتعون".[2]

أما بالنسبة إلى المغرب الأقصى اعتمد الألمان بسهولة على تحريض مسلمي المغرب ضد فرنسا و ذالك بسبب سياسيتها التعسفية اتجاه السكان بعدما حطمت تلك الدولة سمعة المخزن و الحكومة الشريفة و نفوذ الطرق الصوفية هناك ،و قد شكلت المغرب بالنسبة إلى فرنسا الأهمية القصوى لنشر الثورات في شمال أفريقيا

بسبب موقعها الاستراتيجي ،و في تقرير أوبينهايم ذكر أن إيصال السلاح هناك سوف يدفع الناس للثورة ضد فرنسا و على الرغم من أنه لن يتوقع حدوث ثورة عارمة ألا أنه اعتقد أن الثورات متفرقة ستحدث و تشغل الفرنسيين و يكون لها التأثير على الدول الأخرى المجاورة كالجزائر و تونس .[3]

و في الجزائر عثر على منشور دعائي صادر باللغة الألمانية الكلاسيكية و هو منشور موجه لجنود اللفيف الأجنبي من الألمان و النمساويين العاملين في الجيش الفرنسي ،يقع المنشور في صفحتين

[1]–الشناوي ،الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج1،المرجع السابق ،ص76.

[2]–سياسة ألمانيا الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، المرجع السابق،ص104.

[3]–المرجع نفسه ،ص231.

و يعلوه نداء بارز بالغة العربية (الدارجة الجزائرية)جاء فيه "أوضعوا هذا الجواب في يد الألمانيين اللذين هم مستخدمون في الجيش الفرنساوي و يتضمن المنشور بعض المعطيات الحربية الميدانية في جهات القتال و التي تشير إلى أنها

في صالح دول الوسط بقيادة ألمانيا و خاصة الجبهة الشرقية ضد روسيا إضافة إلى الإشارة إلى الالتفاف الذي حصل بين أحمد السنوسي و الأتراك بفتح جبهة شمال أفريقيا بمساعدة الألمان .[1]

و هذا و قد عمدت الحكومة التركية إلى إيفاد بحوث دينية تؤكد بالقول و اللسان ما تضمنه الكتيبات المنشورات و البلاغات الرسمية كي يكون لها المزيد من التأثير في نفوس المسلمين و كان الرسل في شتى الفئات من بينهم وعاظ متجولين ،و علماء ذو ثقافة دينية ،محرضون محترفون و انتشروا في جميع البلدان التي كان في استطاعتهم التسلل إليهم فدخلوا الأقاليم الأفريقية التي كانت تحت حكم بريطانيا و فرنسا و ايطاليا مثل مصر و السودان و طرابلس و تونس و الجزائر ،كما ركزوا جهودهم على الشعوب الإسلامية من غير الأتراك رغبة في استمالتها إلى تلبية دعوة الجهاد الديني ،فمهدوا نشاطهم الدعائي إلى الهنود و أفغانستان و في مقدمة هؤلاء العرب تطلب منهم المسارعة إلى الجهاد دفاعا عن الإسلام و عن الأماكن المقدسة .[2]

-إنشاء الوكالات:

من بين الأساليب الدعائية التي اتخذتها الدعاية الألمانية من اجل نشر دعايتها عبر العالمين العربي و الإسلامي هي إنشاء وكالات الأنباء و تحريرها و نقلها بالغة المسلمين (العربية ،العثمانية ،الفارسية،و الهندية)و قامت أيضا بمراقبة الصحافة المحلية و الدولية و البريد الوارد من المشرق إلى الوزارات الألمانية و تقديم ملاحظات إلى الصحف العثمانية و الشرقية ،حيث أصبحت هذه الوكالات تقوم بعرض الأفلام الدعائية و تدريس اللغة الألمانية ،إذ اعتبرت سفراء ألمانيا أن المدرسين الألمان هم اكبر عامل مساعد على نشر الدعاية في كلتا المجالين السياسي و الاقتصادي ،و رأوا أن القناصل الألمان مكانهم ان يتولوا توزيع مواد الدعاية في المشرق و المغرب.[3]

[1]-أعمال الملتقى الوطني الثاني ،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى 1914-1918في الذكرى المئوية لاندلاع الحرب ،18-نوفمبر 2018،جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة،دار التل لطباعة ،البليدة،الجزائر،ص163.

[2]-محمد الشناوي ،الدولة العثمانية دولة مفترى عليها،نفس المرجع السابق ،ص77.

[3]-سنو،ألمانيا و الإسلام ،نفس المرج السابق،ص95.

و لعل من ابرز المؤسسات و أهمها هي مؤسسة اوروذدي باك[1] النمساوية تعتبر من أهم المؤسسات الدعائية في الآستانة و دول المشرق(حلب ،بيروت،القاهرة) ،سار عمل وكالة أخبار الشرق عبر أربع مجالات من جهتها القتال مع العدو و من جهة أخرى التأثير النفسي في أسرى الحرب المسلمين في المعتقلات الألمانية و التحاقهم بالجيش العثماني و الاهتمام بنشر الدعاية في الدول المتحالفة و إقامة علاقات شخصية مع دوائر شرقية و قيام بدعاية في ألمانيا نفسها.[2]

عملت هذه الوكالة أيضا على ربط الصحافة الألمانية بالصحف المحلية الموجودة في الأستانة هذا لتزويدها بكل الأخبار و مجريات الحرب و لمعرفة كل أخبار المسلمين في الآستانة و خارجها و عملت على فصل الجزء الفرنسي عن الجزء الألماني و ذالك يظهر من خلال جريدة osmanicherlloged[3] و قامت وكالة أخبار الشرق بنشر عدة صحف و نشرات خاصة بالغة الألمانية في سنة 1915م من اجل تعميم و نشر الدعاية السلمية .

أما الوكالة الثانية هي وكالة الصحف الإسلامية التي تأسست في باريس و التي جاء جراءها العديد من الصحف منها صحيفة dieislmischewl و صحف عربية أخرى مثل العهد و الرأي العام و الشرق[4] الاتحاد العثماني و صحيفة جورنال دوبيروت [5]

هذا و عملت ألمانيا من جهة أخرى في نشر دعايتها على إنشاء معسكر نصف القمر و هو عبارة عن مشروع قام به أوبنهايم من اجل تنفيذ حملة دعائية مدبرة من شانها أن تثير انتفاضة أعداد ضخمة من المسلمين ضد بريطانيا و فرنسا من الأراضي المستعمرة مثل الهند و الهند الصينية كما سبق

---

[1]–مؤسسة اوذدي باك :النمساوية من اهم المؤسسات الدعائية في الآستانة و دول المشرق .للمزيد انظر :سنو،ألمانيا والإسلام...،نفس المرج السابق،ص92.

[2]–المرجع نفسه،ص 94.

[3]–هي جريدة تأسست في الدولة العثمانية ،جاءت لمواجهة دعاية الوفاق الودي و فيها فصل الجزء الفرنسي عن الألماني ،و كانت تعمل على إيصال أراء الألمان المثقفين العرب و الأتراك و تزويد الوكالات و الصحف العربية بالأخبار .للمزيد أنظر :سنو ،ألمانيا و الإسلام ...مرجع نفسه ص96.

[4]–جريدة أنشأها اوبينهايم و اشرف عليها محمد كرد علي ،وصفها اوبينهايم بأنها الأوسع انتشار في سورية مما ينعكس إيجابا على الدعاية الألمانية .للمزيد انظر :سنو ،ألمانيا و الإسلام ،نفس المرجع السابق،ص97.

[5]–صحيفة نشرت في بيروت جاءت نسبة إلى صاحبها جرجى حرفوش ،تؤيد السياسة الألمانية و تحصل على دعم مالي من البنك الألماني ،تنشط كوكالة للإشراف على التزامات و المبيع على الطرقات.للمزيد انظر :سنو ،ألمانيا و الإسلام ...مرجع نفسه،ص99.

و أن أشرنا إلى ذالك ،حيث يقوم هذا المعسكر على أساس التعامل الكريم مع الأسرى الحرب الذين قاتلوا في الحرب العالمية الأولى ،و الذين وقعوا بين أيدي الألمان ليكونوا محور مشروع للأوبينهايم رفقة العثمانيون ،و يقوم المشروع على تحويل المحاربين لدى الجيش البريطاني و الفرنسي إلى جهاديين يدينون بالولاء لهم،

و قد ساهم هذا الحدث في التأثير على الدعاية حيث اعتمد معسكر نصف القمر على توجيه حملة دعائية للأسرى بحيث كانت تظهر لهم المساجين و هم يمارسون الرياضة و الشعائر الدينية و يشاركون في ذبح الحيوانات للحصول على اللحم الحلال ،بحيث كان اكبر التحف هو المسجد الخشبي المبني على الطراز العثماني و قد تم بنائه لإثبات أن ألمانيا صديقة الإسلام و المسلمين ،فلم يكن المسجد مبنيا على أساس ديني و إنما كان بنازع دعائي أو من اجل تحقيق غرض إدعائي استكمالا للحملة الدعائية التي تقوم بها ألمانيا ،و قد تكفل مكتب نصف القمر بنشر الشائعات أن المسجد تم بناءه من مال القيصر الخاص و يضيف الكاتب روغان أن الندوات و المحاضرات كانت تقام للسجناء بشكل عام حيث كان يستغل يوم الجمعة لإيصال الرسائل السياسية فلم يكن بغرض العبادة إنما مكان لإعطاء غطاء ديني للرسائل السياسية.[1]

وإلى جانب هذه الوسائل سعت ألمانيا استغلال العامل الديني لتصبح ألمانيا بذالك تحتك بذالك على العنصر الإسلامي ،و عندما شعرت هذه الأخيرة بانتشار الطرق الصوفية في شمال أفريقيا و درست أهميتها الدينية و الاجتماعية و حتى السياسة في العالم الإسلامي أنها تشكل بذالك خطرا عليها إن لم تكسب ألمانيا هذه الطرق و محاولة استمالتها فهي بمثابة سلاح ذو حدين إما كسبها إلى جانبها لتصبح ورقة رابحة و إما تكون ضدها لتصبح الورقة الخاسرة لألمانيا ،و بشعورها بالخطر على مصالحها في شمال أفريقيا من الحركات الإسلامية و التي كانت من بينها الحركة السنوسية التي برزت بشدة في الثورات ضد الاستعمار و كذالك الحركة المهدية و منه حاولت ألمانيا في التقرب إلى الطريقة السنوسية و ذالك بعدما تبين للألمان أن الشيخ المهدي السنوسي يعترف بعبد الحميد الثاني كخليفة لان سياسته تنسجم مع الشريعة و مبادئها و أن السنوسية لا ترحب بوساطة السلطان العثماني لمصلحة المسيحيين ،و

[1]–أعمال الملتقى،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق،ص183–184.

أن السلطان عبد الحميد لا يستطيع إقناع السنوسيين بأن الإسلام لن يصاب بأذى في أفريقيا جراء السياسة الألمانية .[1]

و ما نستخلصه في خاتمة الفصل أن العلاقات الألمانية العثمانية التي كانت تسودها الصداقة و التعاون بين البلدين و خاصة إعلان ألمانيا سياستها الإسلامية نحو الشرق و الدول العربية ،فلم تكن صداقة حقيقة و إنما مبنية على مصالح كلا الطرفين ،فإن ألمانيا من جهتها كانت تبحث و بحاجة ماسة إلى إيجاد حليف لها في الحرب العالمية الأولى أو قبل ذالك في أي حرب تقع ،فسياستها الإسلامية كانت مجرد إستراتيجية لتحقيق تلك الأهداف و التوغل في المشرق هذا من جهة ،و من جهة ثانية هيا الحفاظ على مصالحها في المشرق العربي بالتقرب إلى الدول العثمانية التي كانت تنطوي تحت ولاءها عدة بلدان.

هذا و أن ألمانيا إلى غاية توحدها لم تكن قوة كبيرة من ناحية الاقتصاد أو غيرها و حتى عام توحدها بدأت تظهر كقوة اقتصادية ناشئة ما جعلها تبحث عن طرقات لتصريف إنتاجها ما جعلها تعقد مع الدولة العثمانية مشاريع حديدية أبرزها مشروع الحديدي سكة برلين بغداد ،في المقابل أراد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني النهوض باقتصاد بلده بالتعاون مع ألمانيا التي أصبحت بمثابة قوة اقتصادية بعد توحدها من قبل إمبراطورها بيسمارك

اهتمام ألمانيا بالمسالة الشرقية و منع التدخل فيها بموجب مبدأ الحفاظ على الدولة و عدم تقسيم أملاكها إنما هو عبارة عن محاولة ألمانيا لفرض السيطرة على الدولة العثمانية بطريقة غير مباشرة أو إن صح التعبير بطريقة سلمية ،فرأت في تقسيمها ما لا يخدم مصالحها و ليس دفاعا عن الدولة العثمانية كما كانت تعتقد، و من جهة

أخرى أرادت الدولة العثمانية أيضا البحث عن سند لها للصد من أطماع الدول الأوروبية في أملاك الدولة العثمانية المعادية للإسلام و اعتبار ألمانيا صديقة الإسلام فدخلت الدولة عثمانية الحرب متخذة بذالك عدة أ سباب وذرائع.

أما في ما يخص الدعاية الألمانية العثمانية التي عمل كل الطرفين إلى تحقيقها و التي كان لهدف منها هو جلب أكبر الدول العربية إلى جانب ألمانيا في حربها بحجة الدفاع عن الإسلام و أن

[1]–سنو،ألمانيا و الإسلام، المرجع السابق،ص ص221–123.

الدولة العثمانية هي خليفة المسلمين و فرض الجهاد المقدس واجب ،يمكن أن نقول أنها استطاعت نوعا ما تحقيق بعض النتائج لكن لم تتوصل هذه الدعاية إلى النتائج المراد تحقيقها خاصة بعد فشل مشروع أوبينهايم ،الذي هو صاحب فكرة نشر دعاية إسلامية نحو المشرق ،و ذالك لأن اوبينهايم هو في الأصل ذو أصول يهودية،كما أن الدعاية كانت مقتصرة فقط على فرنسا و بريطانيا بينما أهمل الجانب مهم و هو أن إيطاليا أيضا كانت من الدول التي احتلت دول إسلامية و التي كانت في صف الحلفاء.

الفصل الثالث

موقف الطرق الدينية من الدعاية و الدعاية المضادة في الجزائر

I: فرنسا في مواجهة الدعاية الألمانية– العثمانية :

II: الشيوخ الرسميون و الفتاوى لصالح فرنسا:

الفصل الثالث:موقف الطرق الدينية من الدعاية و الدعاية المضادة في الجزائر:

من خلال هذا الفصل الأخير الذي يعتبر محور دراساتنا سوف ندرس فيه كيف واجهت فرنسا دعاية الألمانية العثمانية في الجزائر و هل حققت النتائج التي كانت ترتمي إليها ،و لذالك تطرقنا قبل كل شيء إلى معرفة ما إن كانت هناك دعاية ألمانية –عثمانية في الجزائر و ما مدى صداها،و منه سنتعرف على أهم المواقف المحصل عليها و ذالك باعتماد على أهم مصدر لدينا و هو مجلة العالم الإسلامي و عليه يمكن طرح الإشكال التالي:كيف كانت مواقف الطرق الدينية من هذا الصراع في الجزائر؟.

I-فرنسا في مواجهة الدعاية الألمانية- العثمانية :

1-الدعاية الألمانية- العثمانية في الجزائر:

عرفت الجزائر كبقية الدول الأخرى خلال الحرب العالمية الأولى انتشار دعاية ألمانية عثمانية حيث كما و سبق و أن أشرنا حول أهداف هذه الأخيرة هي أنها تريد مساعدة دول شمال أفريقيا على تحريرهم من الاستعمار الغاشم الفرنسي ،و لكن الواقع كان هدفها هو خلق صعوبات و مشاكل لفرنسا داخل مستعمراتها و ذالك لكي يساهم في إضعافها ،فالدعاية العثمانية الألمانية لقيت أرضية خصبة في الجزائر و ذالك نظرا لتزامن الفترة مع أهم قضية كانت تلقى معارضة كبيرة من طرف الأهالي و سخطا على السياسة الاستعمارية و المتمثلة في قضية التجنيد الإجباري [1]حيث يعتبر قانون التجنيد الإجباري الذي صدر في 3فيفري 1912 منعرجا حاسما في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية و ذالك لما رافقته من مناقشات حادة سواء في باريس أو في الجزائر و ذالك منذ أن طرحه السيد ميسمي على البرلمان الفرنسي للمصادقة عليه سنة 1908[2].

و منه كانت الدعاية الألمانية العثمانية منتشرة في الجزائر من قبل الحرب العالمية الأولى حيث أكد الكاتب الفرنسي ديبارمي سنة1915مايلي "إن المنة الجزائر بدأت خلال خمس عشرة سنة الماضية"و ذالك عن طريق الجواسيس اللذين ترددوا على الجزائر كثيرا لاسيما السنوات الأخيرة و يؤكد كاتب أخر فرنسي و هو أوغسطين برنارد Augstin Bernard أن هؤلاء الجواسيس حاولوا إظهار ألمانيا بمظهر حسن و ربطوا علاقات جيدة مع الأهالي [3]و حاولوا تحريضهم للثورة ضدهم

و منه حاولت ألمانيا أن تثير الأهالي ضد فرنسا و تدفعهم بالقيام بالثورة ضدهم مستغلة بذالك التحالف السلطان العثماني مع القيصر الألماني و انتشرت الدعاية في الجزائر بصفة خاصة ،حيث نشر كل من الأفغاني [4]و محمد عبده[1]في صحيفتهما العروى الوثقى أفكار تحررية معادية للاستعمار و دعا إلى الجهاد في سبيل القومية الإسلامية التي تجمع المسلمين[2]

---

[1]ناصر بلحاج ،دور الدعاية العثمانية الألمانية في رفض التجنيد الإجباري و الدعاية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ،العدد3،2008،جامعة غرداية ،ص1.

[2]محمد صالح بجاوي ،متعاونون المجندون في الجيش الفرنسي 1830-1948م.دط،دار القصبة لنشر ،الجزائر 2009،ص149.

[3]- ناصر بلحاج،**دور الدعاية العثمانية**،الرجع السابق،ص3.

[4]-جمال الدين الأفغاني من مواليد سنة 1838م بكال بأفغانستان التي نشأ بها ،ثم جال في الشرق و الغرب داعيا إلى وحدة المسلمين و مناهضة الاستعمار ، من أثاره الأدبية أبطال مذهب القرويين ،كما اصدر رفقة الشيخ محمد عبده مجلة

ففي الجزائر كانت الدعاية مختلفة نوعا ما بحيث أنها كانت تركز و تحث الجزائريين على عدم التجنيد في الجيش الفرنسي بحيث كان صدى الدعاية العثمانية ظاهرا و يظهر ذالك من خلال أصوات الهاتفة "تحيا الجزائر تحيا اسطنبول ،تسقط فرنسا "في أواخر سنة 1914 بمدينة سطيف[3]

أ/-مظاهرها :

في ورقة من كتاب أعمال الملتقى الوطني الثاني الجزائريون و الحرب العالمية الأولى لدكتوران أ-محمد دراوي و عبد القادر دوحة تحت عنوان الدعاية الألمانية في الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى جاء فيها أن أن الدعاية العثمانية في الجزائر تعود إلى مطلع القرن العشرين ففي 1901 عثرت السلطات الفرنسية على رسالة تحريضية موجهة إلى سكان بلاد القبائل تحمل توقيع أحد الألمان المدعو "ريتشر"إلى زميل له هو "إدوارد ريتر "يدعه غلى تكييف الاتصال بوجهاء الطرق بمنطقة القبائل بغرض إثارة المنطقة ضد الفرنسيون و اخبره بإرسال صورة لانهيار الأسطول الفرنسي في المياه التركية ،و أشارت صحيفة le gaulois على لسان أحد المسافرين العائدين من الجزائر حيث طاف بعدد من المناطق بإقليم قسنطينة و المناطق الجنوبية الخاضعة للحكم العسكري أنه قال"اندهشت من وجود عدد هائل من الصور الدعائية الملونة و هي ألمانية الصنع منشورة في أسواق المقاهي العربية و تحمل مشاهد لمواجهات بين المسلمين و النصارى و تظم انتصار جيش محمد على الجيش الرومي"[4]و تشير الوثاق و التقارير إلى أن عدد معتبر من الموارد الدعائية كانت تأتي من مصر و طرابلس الغرب شرقا و من إسبانيا و من منطقة المغرب الأقصى غربا ،ففي منطقة الريف كان الأمير عبد الملك بن عبد

العروى الوثقى في باريس سنة 1884،توفي سنة 1897،أنظر:الزركلي خير الدين ،ج6،طبعة 11،بيروت ،لبنان 1995،ض186-189.

[1]-الشيخ محمد عبده: ولد في 1849م بمصر ،خريج جامعة الأزهر و من علماء المسلمين الداعين إلى التجديد و الإصلاح ،حرر جريدة الوقائع المصرية ،و ناوأ الانجليز فنفي ،أصدر رفقة جمال الدين الأفغاني مجلة "العروى الوثقى"بفرنسا، انتقل إلى لبنان حيث اشتغل بالتدريس و التأليف، أهم أعماله شرح نهج البلاغة و تفسير القرآن و كتب مقالات كثيرة ،أنظر:الزركلي خير الدين ،المرجع السابق،ص252.

[2]-ناصر بلحاج، **دور الدعاية العثمانية** ،المرجع السابق،ص3.

[3]- Meynier Gilbert ,L'Algérie Révélée, La guerre de 1914-1918,le premier quart du XX(20) siècle, éditions el-maarifa,2010,p623.

[4]-أعمال الملتقى ،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى،المرجع السابق،ص161.

القادر الجزائري [1]يعمل لدى الأتراك على تأسيس ثورة لمقاومة الفرنسيين انطلاقا من بني منارة في منطقة الريف الغربي و وضع خطة مشتركة مع سفير ألمانيا بمدريد لفتح جبهة حربية[2]

-الكتب و المنشورات:

امتازت الدعاية الألمانية العثمانية في الجزائر كغيرها من البلدان بتوظيف الإعلام و الإعلاميين توظيفا يمكن اعتباره نقلة نوعية في هذا المجال ،و بإضافة إلى الصحف فقد اجتهدت أجهزة الإعلام و الاستخبارات لطبع الكتب و المنشورات و التحريضية على أوسع نطاق ،و قد تم تداول المنشورات و تيسيريها عن طريق المهاجرين و الحجاج و حتى التجار و المثقفين و الجواسيس و غيرهم و كانت السلطات الفرنسية قد نجحت في إيجاد عدة منشورات دعائية موجهة للجزائريين التي كانت تدعوهم للثورة و التمرد و العصيان[3].

2-إجراءات الفرنسية ضد الدعاية الألمانية العثمانية:

بعدما سمعت السلطات الفرنسية بوجود دعاية تحاول أن تنشر داخل مستعمراتها من طرف الدولة العثمانية و حليفتها ألمانيا ،سارعت إلى اتخاذ إجراءات و إصدار حالة طوارئ في كل الجزائر،فبعدما عرفت هذه الأخيرة دعاية ألمانية نشيطة داخلها سرعان ما عملت السلطات الفرنسية بذالك سارعت إلى اتخاذ إجراءات حيال ذالك بحيث شكلت الجزائر موضع خطر بالنسبة لها و ذالك بسبب الوضع الذي كان يسودها .

-<u>في الجزائر:</u>

و كبقية البلدان الأخرى لم تتسامح الإدارة الفرنسية في الجزائر يوما اتجاه المنشورات و الشخصيات الأجنبية بل حتى الشخصيات الجزائرية التي كانت تبدي تعاطف مع الأفكار الأجنبية حيث قامت بإجراءات فورية و كان ذالك على مستوى الحج حيث قام الحاكم العام بإصدار قرار 1908 يمنع فيه الجزائريين من الذهاب إلى الحج و ذالك بذريعة الخوف عليه من انتقال الأمراض المعدية كمرض الطاعون ،و في الحقيقة فإن السبب في عزل الجزائريين ليس هو عزلهم عن الأمراض و إنما

---

[1]-عبد المالك بن عبد القادر: هو الإبن الثاني ما قبل الأخير للأمير عبد القادر الجزائري اشتغل عقيدا في الجيش العثماني ومع ذالك سعت فرنسا لأستمالته ،فعرضت عليه دخول الجزائر و الانخراط في صفوفها و هو ما تم فعلا لكنه لم يفعل ذالك عن قناعة نفسه ،أنخرط في صفوف الجامعة الإسلامية و قاد المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ،أنظر:أبو قاسم سعد الله ،أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ،ط2،الجزائر ،1986،ص127.

[2]-أعمال الملتقى ،المرجع السابق،ص162.

[3]-نفسه،ص164.

كان هدفها هو عزلهم عن التأثير العثماني و فكرة الجامعة الإسلامية ،خاصة أن أفكار الجامعة كانت تنتشر بكثرة هناك[1]و من بين أفكارها أنها تدعوا إلى عدم قتال المسلم لأخيه المسلم ،كما سبق و أن اشرنا إلى الدعاية أ-ع أنها كانت تحاول نشر دعايتها عن طريق الحجاج و التأثير عليهم هذا ما جعل السلطات الفرنسية تتخوف من ذالك و تقوم بإجراءات فورية على مستوى الحج ،و في الحقيقة إن الحج قد منع عدة مرات و كانت الحجج نفسها تقريبا و من الأعوام التي منع فيها الجزائريون عن الحج نذكر سنوات :1903-1904-1908-1910-1911-1912[2]

أما فيما يخص المنشورات و الصحف فقد كان لها نصيب في تشديد الرقابة عليها في الجزائر ،بحيث قام الحاكم العام ابتداء من 17أوت 1940الى إصدار تعليمات تقضي بمنع جولات مختلف المنشورات العربية و الأجنبية بالبلاد و تكليف البريد و الجمارك بحجزها و توجيهها إلى المصالح الترجمة كما حدث في تونس[3]حيث أنها شددت الرقابة على حرية الأشخاص و المنشورات و ذالك في إطار الحفاظ عل الأمن العام و حتى لا تصل إلى الأهالي معلومات حول الحرب إلا بالصيغة التي يريدونها و المناسبة التي تحددها الإدارة الفرنسية حيث تولت جريدة الزهرة[4] تأمين ذالك، و منه فإن وزير الحربية اقترح على وزارة الخارجية عرقلة حج المسلمين شمال أفريقيا ،خلال الحرب العالمية الأولى لأنهم سوف يتأثرون بالتحريض العثماني حيث ورد في مراسلته "لا شك أن تعصبهم قد أنفجر بتحريض من أعوان تركيا"و اقترح على بريطانيا أصدر أوامر تمنع تنقل الحجاج و تشديد الرقابة على الحدود الشرقية في مصر[5] بحيث استغلت من جهة أخرى صحيفة "المبشر" و" أخبار العرب" و "النصيح" و "التصاوير"لتأثير على الأهالي الجزائري و إقناعهم بقوة فرنسا ،كما شجعت دخول الصحف العربية المعادية للأتراك خاصة جريدة "المقطم"التي كانت السلطات الفرنسية تقوم بتوزيعها على الأعيان و الشخصيات المرموقة لما تحتويه من سخرية من الأتراك في إطار تشويه صورة الأتراك و إحداث قطيعة

---

[1]-سعد الله أبو قاسم ،الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2،دار العرب الإسلامي ،بيروت ،ط1،ص106.

[2]-نفسه،ص106.

[3]-التليلي العجيلي ،صدى الجامعة الاسلامية ،المرجع السابق،341.

[4]-صحيفة رسمية أصدرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية بالغة الفرنسية و العربية لتكون همزة وصل و اتصال بينها و بين الاهالي ،توقفت عن الصدور سنة 1927 لتحل محلها الجريدة الرسمية في الجزائر،أنظر:الزبير سيف الإسلام ،تاريخ الصحافة في الجزائر ،الجزائر،الشركة الوطنية لنشر و التوزيع،ص112-129.

[5]-شارل روبر اجرون ،الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871-1919،ج2،تر:م-حاج مسعود -ع.بلعربي ،دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،دط ،2007،ص851.

جذرية بينهم وبين الأتراك و فضح لسوء سياستهم[1]،فبعد حادثة القنبلة الطراداتين الألمانيتين "غويت "و "بروسلا و" فجر يوم 14أوت 1914لمينائي عنابة و فيليب فيل أعلنت فرنسا فرض الحصار على كامل التراب الفرنسي في حين وجهت إلى الجزائريين نداء وضحت فيه أن الساعة الحاسمة قد دقت و أن ألمانيا شنت على حد قولها عدوانها على فرنسا المسالمة داعية الجزائريين إلى الدفاع عنها إلى حد الموت [2] و فيما يخص ما جاء في البلاغ لتبرر فرض الحصار على الجزائر و فرنسا "..أيها المسلمون إن حالة الحصار الإدارة العرفية قد مثلت في كافة البلاد فرنسا و الجزائر و أن الجمهورية تعمل بحزم لتأييد النظام و الأمن في كافة الجهات ،ساعدونا في هذا العمل ،و ابذلوا جميع النصائح المعقولة توطدوا في إعانتنا و كونوا إخواننا و تذكر وان فرنسا في منذ القرون و الأجيال كانت دائما بجانب الحق و الصداقة و العدالة[3]

-في تونس:

قامت السلطات الفرنسية بتونس إلى منع التجمعات المعمرين و التي على إثرها يتم الترويج للدعاية و الإشاعة التي تطلقها الدولة الألمانية مثلا كإشاعة حول إمكانية تعرض تلك البلدان المستعمرة إلى عملية إبادة و بالتالي تحاول تزويدهم من طرف ألمان بمستودعات السلاح،من اجل التحريض عليهم و الدفاع عن أنفسهم ،و و منه اتخذت فرنسا إجراءات وقائية تحسبا إلى نشوب أي أعمال تخريب و شغب كافتعال الحرائق المقصودة

هذا و قد اتخذت السلطات الفرنسية حيال ذالك إجراءات على مستوى الصحافة فهي الأخرى شددت عليها الرقابة بحيث فرضت عليها رقابة عسكرية ،حيث وصل بها الأمر إلى التدخل في كل مل ينشر من ذالك مثلا أنها قامت بمصادرة مقال عن الحج،كانت وزارة الخارجية نفسها قد سمحت به و سلمته إلى جريدة la dèpech tunisiene ،كما بادر المقيم العام من جهته إلى منع الجرائد الأجنبية من دخولها البلاد حتى انه أصبحت للحكومة الحق في التدخل بالجرائد ،على حد شاهد عيان آنذاك

[1]-التليلي،صدى حركة الجامعة ،المرجع السابق،ص370.

[2]-نفسه،ص341.

[3]-أعمال الملتقى ،المرجع السابق،ص90.

يقول التليلي نقلا عن الشاهد بان التونسيون لم يمنعوا عن التفكير فحسب ،بل منعوا حتى من قراءة ما يفكر به الآخرون و ذالك بمنعها من الجرائد و المطبوعات الأجنبية من دخول تونس.[1]

لقد أحصت سلطات الاستعمار الفرنسي على الناس أنفسهم بتركيزها لشبكة تجسس و بوليس محكمة التنظيم و ضيقت من خلالها على التفكير و الرأي بملاحقتها و إرعابها ،بحيث تكتفي فقط وشاية شخص ليزج به في السجن أو النفي أو إبعاده عن أهله و حجز ما يملك[2].

3-الدعاية الدينية الرسمية لفرنسا

عملت فرنسا منذ بداية الحرب العالمية الأولى على نشر دعايتها بين الجزائريين للتجنيد في صفوف جيشها من جهة و لرد على الدعاية الألمانية العثمانية من جهة أخرى ،فبمجرد اندلاع الحرب وجه الحاكم العام على الجزائر بيانيين احدهما موجه إلى المستوطنين و الأخر إلى الأهالي الجزائريين المسلمين و اللذين دعاهم فيه إلى حماية وطنهم الأم على حد تعبيرهم و نصحهم بأن لا يستمعوا إلى الدعاية الألمانية المخادعين ،حيث استجاب لهذا النداء الجزائريون الموالون لفرنسا في تحريرها ما جعل الإدارة الفرنسية تدعي أن الجزائريين موالون لفرنسا في حربها[3]و بعد دخول الدولة العثمانية و إعلانها الحرب و الجهاد المقدس ضد أعداء الإسلام نشرت الدعاية الفرنسية أن هذا الإعلان مجرد خدعة من الألمان للمسلمين حيث قال الحاكم العام في نداء له بتاريخ 07 نوفمبر 1914"إن فخ قد نصب للإسلام فيجب أن تفطنوا"و قال الحاكم العام أيضا "إن الألمان هم اللذين يسيرون الحرب و يوجهونها أما العثمانيون فهم لعبة في أيديهم[4]

و في ساحة المعركة و في الثكنات فقد كانت الإدارة الفرنسية تمارس دعاية حثيثة بين الجنود لكي تقاوم الدعاية المضادة و التي كانت تحثهم على الفرار من الجيش الفرنسي و الإلتحاق بالجيش العثماني و الجهاد في صفوفه،فحاولت جذبهم و إرضاء بعض حاجاتهم و متطلباتهم الدينية و الاجتماعية و فعلت ما فعله الألمان و العثمانيون ببناءهم المسجد في معسكر الهلال ،فبنت هيا الأخرى مسجد في Ne gest-sur- Marneلأداء الصلوات الخمس المفروضة يوميا و استقبال الجرحى في الحرب ،كما

[1]-التليلي،صدى حركة الجامعة الإسلامية،المرجع السابق،ص340.

[2]- نفسه،ص341.

[3]-أعمال الملتقى،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى...،المرجع السابق،ص185.

[4]- نفسه،ص186.

تم مراعات تناول الأطعمة المشروعة مثل اللحم الذي كان يمنح لهم مذبوح بطريقة الإسلامية و تم تعيين بعض أئمة لأداء الصلوات الخمس[1]

-الإجراءات الجذرية:

يقصد بها تلك الإجراءات العميقة ذات الأثر البعيد ،حيث أن فرنسا وقفت على العديد من مؤشرات الولاء الصارخ لعديد من فئات المجتمع المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى و نحن نختص هنا الجزائر للدولة العثمانية في ظرفية أعلنت فيها هذه الأخيرة الجهاد المقدس و دعت فيها مسلمي المستعمرات و بالخصوص مستعمرات فرنسا الى إعلان الحرب ضدها فتبنت سياسة دينية موجهة إلى أعدائها من الحلفاء حتم على فرنسا انتهاج سياسة دينية هي الأخرى و استعمال رموز الدين للرد على أعدائها [2]

-توظيف رموز الدين :

إن احتداد التنازع على الإسلام بين فرنسا و ألمانيا قد بلغ أوجه بإعلان الدولة العثمانية الجهاد الأمر الذي حتم على الأطراف المتقابلة استعمال الدين و رموزه و التدليل بالحجج و البراهين ملموسة على أحقيتها في وجاهة سياسة دينية متذرعة في ذالك بمساندة رموز الدين لتلك السياسة و وقوفهم إلى جانبها ،ذالك أن حدة الدعاية الألمانية و مضامينها [3] حتم على فرنسا محاولة منها موازنة ذالك النفوذ و إيجاد هي الأخرى ثقل روحي و ديني معادل له،فسارعت إلى استغلال الدين بطريقة غير مباشرة لمصالحها السياسية بمساندة رموز الدين ووقوفهم إلى جانبها حيث أصبحت في هذه الحرب المسألة الدينية تشغل الشاغل للأهالي و ذالك باختلاط على أذهانهم الأمور من جراء التصريحات و التصريحات المضادة ،و المنشورات الدعائية و المناشير السرية و ما كان يروج له الدعاة و المبشرين المداحون [4]

تلك هي الأجواء التي ميزت فرنسا من خلال اعتمادها على سياسة الولاء بتداولها رموز الدين و عملهم على إعلان تأييدها لها و ادعائهم على ان الدولة العثمانية هي مجرد ضحية للألمان ما جعل فرنسا تكسب تأييد في مستعمراتها بصفة عامة و بالجزائر بصفة خاصة من قبل الطرق الدينية و هذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي و الذي يظهر من خلال التوصيات و النداءات ،ففي الجزائر تحركت

[1]-ناصر بلحاج، **دور الدعاية الألمانية العثمانية**.... ،المرجع السابق،ص12.

[2]-التليلي،صدى حركة الجامعة الإسلامية،المرجع السابق،347.

[3]- سنو،ألمانيا و الإسلام.....،مرجع سابق،ص61.

[4]-التليلي،صدى حركة الجامعة ....،المرجع السابق ،ص350.

الأطر المالكية و الحنفية بقسنطينة بإضافة إلى العديد من المشايخ الطرق الصوفية التي قدمت الولاء و الإخلاص لفرنسا[1]

وفيما يخص استعمال رموز الدين في الجزائر فقد أدرك الفرنسيون جيدا أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه رفع شعار الإسلام في التأثير عليهم في هذه الحرب لمواجهة الدعاية العثمانية التي رفعت لواء الجهاد في سبيل الله و كما سبق و أن اشرنا من اجل ذالك استعملت فرنسا رجال الدين و المفتتين في إعطاء الشرعية الدينية لمشاركة في الحرب قال مالك بن نبي "كانت الإدارة الفرنسية تستمر في التجنيد بلغ بها الأمر أنها كانت تستفز منابر الجوامع لنداء الحرب و قد استجاب الأئمة و المفتون الرسميون لندائها بحكم كانوا موظفين لديها فباركوا الحرب إلى جانبها و حاولوا إعطاء الشرعية الدينية

-الحجج و البراهين التي استعملتها الدعاية الفرنسية :

اتخذت فرنسا في كسب تأييد رجال الدين على مجموعة من الأسباب و الحجج التي لكسب رجال الدين و الطرق الصوفية لكي تستطيع تعبئة الأهالي و نجاح الدعاية مايلي:

من الحجج التي استعملتها أن فرنسا هي المظلومة و ألمانيا هي الظالمة المعتدية و بالتالي وجب على الفرنسيين و الجزائريين بحكم كون الجزائر مستعمرة فرنسية و تعرضها للهجوم الألمان في 02اوت 1914 أن يدافعوا عن وطنهم و أنفسهم [2] و محاولة تشويه سمعة الأتراك بحيث يقول جلبرت ميني في هذا الصدد نقلا عن الدكتور مورسلي "لقد دمر الألمان كتدرائية ريمس ،أيها المسلم ،ما لذي يتركونه من مئذنتك من كل ما هو إيمانك ،روحك ،فكرك،هؤلاء المدمرون ...و ستكونون أيها المسلمون الأفارقة ،كونوا فخورين أيها المسلمين الفرنسيون" [3]

لقد غزو بلادنا المحايدة لهم و استولوا على أراضيها بوحشية ،و قاموا بذالك دون إعلان رسمي للحرب و دون سبق إنذار و هم اليوم يهجمون على وطننا الأم فرنسا،لقد حطموا و داسوا حقوق الإنسان و القوانين الدولية و هم معروفين بالعنف و الغطرسة و الاستكبار منذ القدم و فرنسا بالمقابل رمز العدالة و الشهامة و الحضارة و المدافعة عنها ،قد خطت خطوة هامة في خدمة الإنسانية و لذالك

[1]-سعد الله ،الحركة الوطنية 1830-1900،ج1،الطبعة 1،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1922،ص284.

[2]-أعمال الملتقى ،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى ...،المرجع السابق،

[3]- Meynier, op-cit ,p267

منحها الله مستعمرات واسعة و يمنحها الانتصار في الحرب فاثبتوا أيها المسلمين شجاعتهم الكبيرة اثبتوا أن دم أبائكم يسري في عروقكم و لا تسمعوا إلى الأكاذيب و الدعايات[1]

إن مساعدتكم للفرنسيين واجبة عليكم من باب حسن الجوار و المعاشرة الذي سوف تدخلون به الجنة و عليه نلاحظ أن الهدف هو محاولة دعوة الجزائريين إلى الانضمام إلى الجيش الفرنسي للمشاركة في الحرب و كله بحجة أن الذي يموت يدخل الجنة ،هذه الفكرة هي التي كان الأئمة و الرسميون ينشرونها ما بين الجزائريون و يقنعهم بها ،واستعملوا في ذالك الوعظ و لا سيما خطب الجمعة ،حيث كانوا يدعون بالنصر على الألمان و قوات المحور ،بيما فيهم العثمانيون إخوانهم في الدين و نذكر غلى سبيل المثال ما جاء في خطبة الجمعة لاما ملفقون زاواوي بن محمد صالح أمام المسجد الكبير بقسنطينة في بداية ديسمبر 1914"نحن المسلمون المتحدون مع الأمة الفرنسية في حربها لأنها حاميتنا فلنبقى موالين لها ،و ننظم إلى صفوفها إما النصر أو نموت و لنرفع أيدينا إلى السماء و تدعوا الله النصر لبلدنا الأم فرنسا "قال المفتي المالكي بنفس المسجد"الله يدعوا أن يرحم اللذين ماتوا في الحرب أن أبناءنا و أبناء المسيحيين الاسرئليين يحاربون بنفس الروح و الهدف هوا الدفاع عن فرنسا أن نصرهم الله"[2]

كما كانت الإدارة الفرنسية تعتمد في دعايتها على نشر فكرة القادرية بين الجزائريين و ذالك ما نلاحظه من خلال تصريحات أولائك الموالين لها تقوم الفكرة على أساس أن فرنسا هم ولاة أمور المسلمون الجزائريون و هيا حاميتهم الوحيدة و أن فرنسا هي قدرهم المحتوم الذي لا يمكن تغيره أو يمكن الاعتراض عليه فمن أركان الإيمان بالقضاء و بالقدر قسمة و نصيب [3]بإضافة إلى استعمار رموز الدين اتبعت فرنسا سياسة إسلامية ووفاء لهذا الشعار قررت فرنسا إقامة دار استقبال في مكة خاصة بالحجاج الجزائريين كان اسمها الرسمي دار الضيوف و ذالك بعد أن سمحت الإدارة الفرنسية بالحج سنة 1916بعد نجاح ثورة الشريف حسين و طرد كل عملاء الألمان من الحجاز[4] بحيث قررت فرنسا و في سياستها الإسلامية إعطاء المصاريف الدينية من أموال أملاك خزينتها و يصبح رعاية شؤون الديانة الإسلامية من مسؤوليات المقاطعة الإدارة لكسب تأييد المرابطين و رجال الزوايا [5]

---

[1]–روبر اجرون ،الجزائريون المسلمون و فرنسا،المرجع السابق،ص217.

[2]–ناصر بلحاج،**دور الدعاية الألمانية العثمانية**... ،المرجع السابق،ص10.

[3]–التليلي ،صدى حركة الجامعة الإسلامية...،المرجع السابق،ص225.

[4]–أعمال الملتقى،الجزائريون و الحرب العالمية الاولى،المرجع السابق،ص188.

[5]–التليلي،صدى حركة الجامعة... ،المرجع السابق،ص357.

II-الشيوخ الرسميون و الفتاوى لصالح فرنسا:

إن الطرق الصوفية مثلت دولة داخل دولة و ذالك بالخصوص من حيث أتباعها الذين كانوا منتمين لمختلف الفئات الاجتماعية و موزعون على مختلف مناطق و الجهات ،الأمر الذي جعل هذه الأخيرة شبيه بالأحزاب خاصة و أنه كان لمشايخها كلمة مسموعة و أوامر تنفذ حيث فاق نفوذ الوالي في القرى و الحواضر نفوذ الأمير نفسه نو لعل أن إدراك السلطات الاستعمارية لمختلف المعطيات المتعلقة بالواقع الطرقي في المغرب العربي هو الذي دفعها إلى العمل على تطويع الطرق و توظيف نفوذها الروحي و سلطاتها الاجتماعية و لذالك لا غرابة أن تعتمد عند الحرب العالمية الأولى و انخراط تركيا فيها و فضلا عن احتداد الدعاية الدينية إلى اعتمادها هي الأخرى في دعايتها المضادة إلى الالتجاء إلى الوجاهاء و الأعيان وبالخصوص مشايخ مختلف الطرق الصوفية لحملهم على إعلان ولائهم لها و هذا ما سيفسر تهاطل "رسائل الإخلاص"الصادرة عنهم في مختلف المسؤولين في البلاد المغرب العربي .[1]

و أمام الجهل الذي تولد عن سبعين سنة من الإهمال لتعليم و تعميق التخلف لدى العامة أكثر الفرنسيون من الطرق الصوفية المستقلة و منحوا الشيخ سلطات روحية على أتابعه شرطا أن يكون مواليا و مخلصا لفرنسا ،و لما زاد الجهل ارتمى الجزائريون في أحضان الطرق الصوفية باعتبارها تمثل الدين و تعد بالإخلاص بينما ارتمت الطرق الصوفية بنفسها في أحضان السلطة الفرنسية[2]

بحيث تمكنت هذه الأخيرة من اختراق بعض الطرق في تحويل بعضها أو بعض الزوايا من الطريقة من دورها الهام في مواجهة الاحتلال إلى ابتعاد عن السياسة أو التحول إلى دعم العلي لفرنسا و لا يمكن أن نعمم موقف مقدم الطريقة أو شيخ الطريقة مثلا على الطريقة بأكملها دون أن نأخذ بعين الاعتبار

أن تلك الطرق كانت مجبرة على التصريح بالولاء [3]و ل التعرف على نماذج من التصريحات اعتمدنا على مجلة العالم الإسلامي في هذا المبحث بحيث أن هذه الأخيرة قد أوردت مجموعة من النداءات و التصريحات لمختلف رجال الزوايا و الطرق اللذين كانوا موالين لفرنسا ،حيث أننا نجد أن معظمهم انخرطوا في صفوف الجيش الفرنسي يقول أبو قاسم سعد الله"كان على الفرنسيون أن يتصدوا لهذه

---

[1]-التليلي العجيلي ،السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى ،ط1 ،مجمع الأطرش للنشر و التوزيع،2018،ص304.

[2]-تيتة ليلى،**موقف بعض الزوايا و الطرق الصوفية بالجنوب** ، المقال السابق.

[3]-المرجع نفسه.

الطرق التي اعتبروها عدوهم الذي لا يقهر فجندوها الجيش و لكن بأسلحة أخرى لتشتيت الصفوف و تمزيق الوحدة داخل الطريقة الصوفية الواحدة و الكشف عن أسرارها بجلب ضعاف النفوس إليهم من بعض الطرق و استعمال العصا و الجرزة معا و شراء الذمم و تحالف بعض الطرق و تزويج رجالها من فرنسيات "[1]

1-الطريقة التيجانية :

-تعريفها:

تنسب إلى مؤسسها أبو العباس أحمد المختار بن احمد التيجاني و هو من مواليد عين ماض بأغواط (1150هـ-1737م)أحصى لها الفرنسيون في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر 17 زاوية و 100مقدم و 11082 مريد[2]دخلت الطريقة إلى البلاد التونسية من مطلع القرن التاسع عشر غلى يد سيدي براهيم الرياحي ،حيث كانت دولة زاوية لطريقة بالبلاد التونسية تركزت أولا بالحاضرة ثم غزت الجنوب فأسست ستة 1814زاوية بتزر،حيث لم تظهر لها زوايا في النصف الشمالي إلا في مطلع نصف الثاني من القرن 19منها زاوية الشاوس 1846 و من أشهر زواياها زاوية سيدي صالح التيجاني ببوعرادة [3] و التي سوف نشهد لها ولاء لصالح دولة فرنسا.

- النداءات و التوصيات الصادرة شيوخ زوايا من الطريقة التيجانية:

تعد الطريقة التيجانية من اكبر الطرق الصوفية انتشار مما جعل السلطات الفرنسية تركز عليها و لعل أبرز ما جاء من توصيات و نداءات تعبر عن ولاءها للدولة فرنسا ،نذكر ما يلي:نداء السيد محمد الكبير بن سيدي محمد الكبير إبن القطب الأكبر سيدي احمد التيجاني لأحباب طريقته جده في جميع البلدان مفتتحا نداءه بتحميل ألمانيا السبب في اندلاع الحرب العالمية الأولى ،و ذالك من أجل التوسع و مصالح سياسية و اقتصادية فقط واصفا إياها بالتوحش مبررا بان دولة تركيا لم تكن سوى مجرد ضحية في هذه الحرب من خلال انضمامها و بهذا تصبح دولة تركيا لا علاقة لها من الإسلام سوى مجرد الاسم فقط،و عليه فان دعايتها باسم الإسلام غير صالحة ،ليثني شيخ الطريقة على دولة فرنسا و بفضائلها و عدلها "**يا أيها الأحباب ...قد استقر في علمكم أن ألمانيا التعيسة جلبت هذه الحرب لجميع العالم بقصد توسيع ملكها و استعباد الأحرار و ذالك لما اشتهرت به من التوحش و التجبر و**

[1]-سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ج4،المرجع السابق،ص31.

[2]-صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية ،المرجع السابق،ص119.

[3]-تيتة ليلى، **موقف بعض الزوايا و الطرق الصوفية** ...،المرجع السابق

الكبرياء و قد قامت دولتنا العزيزة فرنسا عن مقاصدها الفاسدة خدمة للعدل و الحق و الإنسانية و لعجب العجاب أن دولة تركيا الضعيفة تدخلت في هذه البلية التي دفعتها إليها ألمانيا فحالفتها و لم تنتبه من غفلتها إلى عاقبة الأمر التي فيها دمارها لا محالة و السبب في ذالك أن دولة تركيا ،الآن بيد عدة رجال من الجور ترك لا يعرفون شيئا من الدين ،و لم يكن لهم من الإسلام إلا اسمه الشائع عنهم في جميع أفكار الدين أنهم باعوا بلادهم لإمبراطور ألمانيا بالرنان الأصفر و العياذ بالله و من أمثالهم أما تركيا المسكينة فمثل الباحث على حتفه ،على كل حال فإننا ننكر كل علاقة بيننا و بين الترك"[1]

و في عريضة أخرى لشيخ الطريقة التيجانية الواردة في وثيقة عثر عليها الدكتور عبد الكريم بوصفصاف رحمه الله تحت عنوان "خط المسلمين في خط تركيا بعد دخولها الحرب الكونية الأولى" و هذه الوثيقة صادرة عن شيوخ الطرق الصوفية و رجال الدين الرسميين في الجزائر بتاريخ 20نوفمبر1914جاء فيها حول موقف الطريقة التيجانية يقول شيخ الطريقة التيجانية "**فو الله قد أخطأ رجال دولة تركيا فاحشا يدل على جنونهم و لحيالهم و أعظم شاهد عليهم في ذالك هو التاريخ نفسه ،فمن ذا الذي يجهل فرنسا من أول الزمان إلى الآن ،خير مساعد للأمة التركية تمدها بأموالها و تنورها بعلومها و تنصحها بأراءها الصائبة و تنقذها من المماليك التي ترميها إليها ألمانيا و غيرها و إلى أين تلتجئ تركيا فيما بعد إذا عادتها فرنسا"**[2]

يذكر شيخ الطريقة التيجانية أتباعه في البيان الموجه إليهم غداة اندلاع الحرب العالمية الأولى بالعلاقات العثمانية الفرنسية السابقة لا سيما في عملية التجديد التي اعتمد فيها الباب العالي على فرنسا إبان القرن 19،و ما قبله معتبرة الدولة الفرنساوية بمثابة الماء و الهواء بالنسبة إلى الدولة العثمانية أما ناحية أخرى يصف ألمانيا بالوحشية و الدمار و أنها قاتلة النساء و الأطفال و مخربة الحضارة ثم يحاول استحضار التاريخ و ينتقل مباشرة إلى الحديث عن ماض العثمانيين في الجزائر ،محاولة تكوين صورة قائمة عل وجوههم في شمال أفريقيا قبل الاحتلال الفرنسي"**أما نحن المسلمون عموما و التيجانيون خصوصا فندين دولة تركيا على أعمالها الفاسدة التي يستحي منها المسلمون في العالم كله من أقصى الهند إلى أقصى الغرب فلا يغرب عليكم أيها الأحباب ما فعله الترك في الجزائر وقت استلائهم عليه..."**و

[1] –X.Les musulmans français et la guerre ,Revue du monde musulman ,Ernest Leroux , paris,1914,p196.

[2] –عبد الكريم بوصفصاف،تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ،ج2،دار الهدى ،الجزائر ،2013،ص76.

في هذا النص يلقي أضواء كاشفة على العهد العثماني و التحجر و البعد عن الإسلام الذي رفع شعاره سلاطينهم الأول بل أنه اعتبر أنهم السبب فيما وقع في الجزائر بعد خروجهم سنة1830[1]من فوضى سياسية و عسكرية و اقتصادية و اجتماعية

و في هذه يقول الدكتور عبد الكريم بوصفصاف انه يوافق و يشاطر شيخ الطريقة التيجانية بحيث أن وجود العثماني فعلا احدث دوامة واسعة النطاق في البلاد بسبب غياب سياسة وطنية محكمة ،و من جهة أخرى فإن شيخ الطريقة التيجانية في الوقت الذي كان يحمل فيه تركيا كل ما أصاب البلاد و يحرض المسلمين ضدها فإنه أمر مبالغ فيه إلى حد التمسح بأقدام في خضوع و الولاء للدولة الفرنسية المستعمرة

إن شيوخ الطريقة التيجانية في الجزائر اعتبروا الدولة العثمانية دولة مارقة عن الإسلام انطلاقا من كونها ألقت بالمسلمين إلى التهلكة ،عندما قررت الدخول في الحرب إلى جانب ألمانيا و لكن الأمر أن هؤلاء الشيوخ لم يتوقف عند هذا الحد بل ذهبوا إلى حد الاعتراف بفضائل فرنسا [2] و يطهر كذالك من خلال نداء السيد محمد البشير بن السيد محمد التيجاني شيخ زاوية تماسن لجميع مقدميه و أحباب طريقته "...**فإننا نجد بالقلب و القالب منذ إستلاءها على هذا الوطن لم تصنع إلا ما فيه عز للبلاد و العباد في نشر لواء العافية و العمران و احترام الدين و قهر الظالمين و نصر الضعيف على القويو إقامة قسطاط العدل ...فّإننا كلنا لدولة العظيمة بأموالنا و أنفسنا و أولادنا لدفاع عنها عازمين عل قتال أعدائها**"[3]ليختتم نداءه بالدعاء لفرنسا في انتصار على أعدائها.

و في وصية أخرى لسيد محمد العروسي زاوية قمار إلى سائر مقدميه و أحباب طريقته هو الأخر يدعوا فيها إنكارهم لدولة تركيا و ذالك لنفس السبب و هوا مشاركتهم في الحرب إلى جانب ألمانيا و يدعوا أتباعه إلى مساندة فرنسا لما عليهم من فضل وعليه يجب دعمها بالمال و الرجال و الأولاد ،و في هذا النداء يعترفا لعروسي بأن هناك من اتبعهم منخرطون في الجيش الفرنسي للمحاربة إلى جانبه "**فإن أولادنا داخلون في جيوشها يقاتلون العدو مع إخوانهم الفرنسيون و نحن كلنا مستعدون بأموالنا و كل ما هو عزيز لدينا للزحف على العدو و إن دعتنا فرنسا لذالك...**"[4]و من هذه الوصية اعتراف من

---

[1]-عبد الكريم بوصفصاف،تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر،نفس المرجع ،ص86.

[2]-نفسه ،ص86.

[3]-les musulmans français et la guerre ,op-cit,p208.f

[4]-وصية السيد محمد العروسي شيخ زاوية لسائر مقدميه و أحباب طريقته ،مجلة العالم الإسلامي،المصدر السابق،ص212.

السيد محمد لعروسي بأن ولاءهم وصل إلى حد الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي من رجال الطرق الصوفية ،و لم تكتفي فقط بإرسال نداءات و توصيات بل كان لها أساليب أخرى عبرت بها عن ولاءها من خلال تقديم الخدمات

و من بينها الدور الأبرز الذي قام به محمد المنوبي التيجاني شيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة في تهدئة الأوضاع بالمنطقة و تمكن بفضل تدخلاته ووساطته من تهدئة الأوضاع باستعمال نفوذه المادي و الروحي و إعادة الفارين من التجنيد و هذا و كان متطوعين في الحرب من أتباع الطريقة التيجانية أمثال محمد الشريف التجاني [1]

لقد ذهب البعض إلى اعتبار أن بيانات الولاء تلك التي صدرت عن هذه الطريقة كانت كرها تحت ضغط التهديد أصحابها فمختلف الزوايا و هذه التصريحات التي عبرت عنها جاءت كرها و لم تكن عن طيب نفس.

2-الطريقة الرحمانية:

أ-تعريفها :

الطريقة الرحمانية (1188هـ-1774م)تنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الرحمان القشوطي الإدريسي الحسن الأزهري (1720م-1794م)من قبيلة ايت إسماعيل بجرجرة ،كانت من أوسع الطرق انتشار في الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية إذ كان لها فروع في الشرق و الجنوب أشهرها زاوية الهامل بوسعادة ،زاوية الحملاوي ،وباشتارزي في قسنطينة ،زاوية الخنقة سيدي ناجي ببسكرة و زاوية طولقة [2]عند احتلال بسكرة هاجر مصطفى بن محمد بن عزوز (حيث كان ولاء شيوخ الطريقة في فروع طولقة ،أولاد جلال ،أوراس ،الخنقة ...الخ)إلى نفطة بتونس و أسس بها زاوية الرحمانية التي أصبحت ذات شهرة واسعة قبل احتلال تونس سنة 1871،إذ نجح في اجتذاب عدد كبير من الناس إلى طريقته[3]

بعد ثورة 1871 التي هي ثورة المقراني و الحداد اضطهدت الطريقة الرحمانية من طرف فرنسا وهدمت زاوية الواقعة في المناطق الثائرة وتفرعت في فروع وفقدت مركزيتها بعد زاوية صدوق" بزعامة الشيخ الحداد ونفي زعمائها إلى خارج الجزائروجزء منها نفي الى تونس(فرع المقرانيين)حيث كانت هذه

[1]- التليلي ،سياسة الإسلامية لفرنسا... ،المرجع السابق،232.

[2]-صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية... ،المرجع السابق ،ص103.

[3]-محمد عيسى الجزائري ، نبذة عن تاريخ التصوف في الجزائر ،الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،2011،ص15.

الطريقة أكثر انتشارا في الجزائر ون حيث عدد زواياها حسب المستشرق راين 177 ،وعدد أتباعها 156213.وتمكن الاحتلال الفرنسي من أحداث خلاف بين الزوايا أدى إلى انفصالها. أن الدور البارز للطريقة الرحمانية في فترة الاحتلال خاصة بعد الانتفاضة التى قادتها سنة 1871، جعلها هي الأخرى لم تسلم من السياسة الانتقامية لسلطات الاستعمار الفرنسي.

ب-موقفها من الصراع

إن الطريقة الرحمانية التي قادت ثورات عديدة في القرن التاسع عشر هي الأخرى لم تسلم من ضغوطات الإدارة الاستعمارية ،حيث تذكر بعض المصادر أن شيخ زاوية الهامل طلب ون أتباعها تأييد فرنسا [1]بحيث تعتبر زاوية الهامل المتربعة على عرش لطريقة الرحمانية في الحضنة وأولاد نايل و الأوراس ، حيث كان موقف شيخها مختار بن الحاج محمد .يناشد فيها كافة المسلمين بصفة عامة وأهل الطريقة الرحمانية بصفة خاصة بان يؤيدوا فرنسا في حربها ضد عدوهم الألمان ونعت الدولة العثمانية بالدولة المغرورة لأنها وافقت على المحاربة في صف الألمان ضد فرنسا وانجلترا و روسيا ، "**أما نحن مسلمو الجزائر فما علينا إلا أن ننتهز هذه الحادثة فرصة جديدة لنبين ونثبت لدولتنا الفرنساوية العزيزة محبتنا الصادقة بقصارى الجهد على أعدائها فإنها تسالنا كما هو مقرر في الأذهان مزايا لاتحصى.....فأين هذا الوقت من وقت إستلاء الترك على القطر الجزائري،فقد حدثنا عن أبائهم بأنه لم ينالوا في وقتهم العافية ولا أمنا على أنفسهم ولا على أولادهم ،مع ارتكاب الفضائح و القبائح وعليه سنحبكم أيها الإخوان أن تكونوا مع دولتنا يدا واحدة وتنصروها على أعدائها بجميع أنواع النصر** "[2]

كما قام السيد عمورة بن علي بن عثمان شيخ الطريقة الرحمانية بزاوية طولقة المشهورة هو الأخر بنداء الولاء لسلطات الفرنسية جاء تحت عنوان أن ألمانيا مبغوظة في جميع العالم بقسوتها ووحشيتها جاء فيه كالتالي "**إلى كافة مقدمين وإخواننا بعد السلام . بغير خفي عنكما أن زاويتنا الرحمانية الطولقية بينها وبين دولتنا الفرنساوية تعلق لا مزيد عليه حتى صرنا معها كالأصابع الملتصقة براحة فنحن وإياها ذات واحدة وما يصيب لحد الطرفين يألم الأخر وعليه فإننا نتوجع من أفعال دولة تركيا**

[1]-سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي...،ج4،المرجع السابق،ص ص183-185.

[2] – les musulmans français et la guerre ,op-cit, p.218

الرديئة التي عدلت عن طريق الصواب لانضمامها إلى الألمان الظالم في هذه الحرب فان ألمانيا مبغوضة في جميع أنحاء العالم لقسوتها ووحشيتها....."[1]

وعليه كباقي النداءات الأخرى نص نداء زاوية طولقة على إبراز ترابط الذي يجمع بين الجزائر وفرنسا ،وان ألمانيا مبغوضة من طرف جميع المسلمين لذلك على الجزائريين أن يقفوا وقفة واحدة أمام عدو فرنسا وعدوهم بحيث أن دولة تركيا هي الوحيدة التي أنصتت إلى أكاذيبها وانضمت إليها ،وكذالك ممن عبروا عن ولائهم شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية أولاد جلال ،واصفا ألمانيا بالتوحش الهمجية وإنها سبب في الحرب ،بحيث ينكرون عدم وجود أية رابط بينهم وبين الأتراك وفي أخر نداءات الزاوية الرحمانية المعروفة ختم بالدعاء النصر لفرنسا ودعوة الجزائريين لخوض الحرب معها "يا إخواننا الواجب علينا أن نعين دولتنا الفرنساوية الحبيبة بالرجال والأموال فإنها سبلت علينا الراحة والأمن ونحمد الله تعالى على وكالتها علينا وهذا وقت مجازاتها....."[2]

إن تاريخ الطريقة الرحمانية عبارة عن سجل حافل بالبطولات وزاخر بتضحيات بالمال والنفس من اجل الدفاع عن البلاد وتحولها في موقفها إلى مماثلة سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر والتودد إليها من خلال هذه المواقف التواطؤ لا تورث إلا المهانة والمذلة ،كل ذالك تناقض صارخ وجذري بين ماضي كله عزة وأنفة و حاضر مخزي.[3]

لاشك أن ما ألت إليه أمر الرحمانية وغيرها من الطرق الصوفية وكل رموز الدين يعود إلى سياسة الترويض والاحتواء التي سلكتها السلطات الاستعمارية في تعاملها مع المسالة الدينية ،والقائمة على أساس تطويع المؤسسات الدينية وحملها على مساندتها وولاءها ،وفي هذا الإطار فان فرنسا قدمت خدمات لأفراد عائلة المقراني[4] .

ولكن هذه المواقف التي ألت إليها جريدة العالم الإسلامي قد لا تعبر عن حقيقة هذه الطريقة الباطنية ،وإنما قد تكون مجرد تأييد ظاهري فرض عليها بإكراه ،فمثلا تشير بعض المصادر والمراجع إلى أسباب اندلاع ثورة 1916 في الأوراس هو الطريقة الرحمانية وهو ما ذهب إليه الأستاذ عمارة هلال

---

[1]–نداء السيد عمر بن عثمان شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية طولقة المشهورة ،مجلة العالم الإسلامي ،المصدر السابق،ص222.

[2]–نداء السيد محمد الصغير بن الشيخ المختار شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية أولاد جلال ،المصدر نفسه،ص226.

[3]التليلي،سياسة الفرنسية...،المرجع السابق،ص223.

[4]-نفسه،ص324.

الذي ارجع أسباب إلى تحريض شيخ الزاوية الطولقية صاحبة النفوذ على إخوانها الرحمانيين[1] وهو نفس الطرح الذي انتهجه عبد الحميد زوزو في أطروحته [2]والدكتور يحي بوعزيز الذي أوضح هو الأخر دور المقدم محمد بن أوديني في تحريض الرحمانية على مهاجمة برج ماكماهون في عين التوتة .

3-الطريقة السنوسية:

أما الطريقة السنوسية فان أمرها هي الأخرى لا يخلو من مفارقة صادمة لما عرفته من مناهضة للاستعمار ودعوتها للمسلمين إلى الجهاد المقدس ضد الذين اجتاحوا أرض الإسلام ، فهي كانت تعد اخطر الصوفية على الإطلاق وذالك لخطورة ما كانت تدعو إليه وكثرة أتباعها حيث أن هنري دو فيري احد المستكشفين الذي ألف كتاب حولها ذهب إلى القول بأن السنوسية تمنع أتباعها حتى من مجرد التخاطب مع اليهود .[3]والمسيحيون خصوصا لاتجار معهم مدعيا أن مبادئ الإسلام تفرضه ، ولذالك فإن خطورة هذه الطريقة أخضعها هي الأخرى مثل الطريقة الرحمانية إلى مراقبة دقيقة لعدد من نشاطها هذا ما جعل السلطات الاستعمارية تقوم بإجراءات ضدها تمثلت فيما يلي:

– فرض الرقابة الشديدة على أتباعها الطريقة السنوسية وإخفائهم في مناطق تواجدهم.

–عدم السماح ببناء أية زاوية وطرد كل داعي أجنبي مشتبه في أمره ،بحيث حدت هذه الإجراءات من تواجد السنوسية خاصة في البلاد السنوسية [4].

لكن رغم سجل الطريقة السنوسية ورغم أدوارها البطولية في طرابلس الغرب ،هذا الاحتلال الايطالي عند الحرب العالمية الأولى فان أمرها انتهى شانها شان غيرها من الطرق لا تستطيع الانخراط في سلك المعبرين عن آيات الإخلاص ولا شيء سوى أن تلك الجهود التي بذلتها في المقاومة باءت بالفشل فانتهى الأمر إلى القبول الأمر الواقع وتعايش مع الاستعمار الفرنسي حيث كانت الطريقة السنوسية من الموالين لفرنسا في حربها ، وذالك تبعا لما نشرته مجلة العالم الإسلام في نداء الشريف طكوك احمد الشريف شيخ الطريقة السنوسية في زاوية أولاد شافع، جاء فيها كالتالي "إلى كافة مقدمينا وإخواننا المتمسكين بطريقتنا السنوسية ، أما بعد السلام عليكم ،قد قال نبينا ﷺ ، الفتنة نار لعن الله وقدها ، هذه دولة تركيا بادرت بالحرب لدولة روسيا التي هي حبيبة وحليفة لدولتنا العظيمة الفرنساوية ...."[5]جاء

[1]- عماره هلال ،أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر (1830-1962) ،د.م.ج،الجزائر 1925،ص180.

[2] عبدالحميد زوزو،الأوراس إبان الاحتلال (التطورات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية (1837-1939)،تر:مسعود الحاج مسعود،دار هومة،الجزائر،2005،ص260.

[3]-التليلي، السياسة الإسلامية لفرنسا...المرجع السابق،ص325.

[4]-التليلي،الطرق الصوفية والاستعمار....المرجع السابق،ص ص 58-59

[5]-نداء الشريف سيد طكوك أحمد الشريف شيخ الطريقة السنوسية في زاوية أولاد شافع ،مجلة العالم الإسلامي المصدر السابق،ص233-230.

محتوى النداء الذي وجهه الشريف شيخ الطريقة السنوسية مستدل بالحديث النبوي الشريف متهمين أن دولة تركيا هي التي بادرت بالحرب ،و يأكد ذالك بان دولة تركيا ما تعيشه من حالة اجتماعية واقتصادية مزرية أنما هي لعنة من الله تعالى وذالك لتدخلها في الحرب ،ويشيد بعد ذالك بفرنسا وحلفائها ويصفهم كالبنيان المرصوص الذي لا يمكن التغلب علبه،فتركيا مجنونة بانضمامها للألمان ضد فرنسا ،وفي أخر النداء كما عهدنا في بقية النداءات بطلب من أتباعه وأحبته للقتال مع فرسا ضد أعدائها.

-الطريقة القادرية

بالنسبة لبعض شيوخ الطريقة القادرية تذكر أن الشيخ الهاشمي بن إبراهيم بواد سوف ،ورغم انه عرف بميوله للعثمانيين ومساندته لتاتور العثماني سليمان باشا الباروني ،إلا انه عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وجه نداء أيضا مثل مختلف الطرق الصوفية في الجزائر إلى إخوانه يبشرهم فيه وان الأتراك القوا بأنفسهم إلى التهلكة ،ولا علم لهم بكتاب الله عز وجل ،وقال الهاشمي وقال الهاشمي في نداءه "**أن مسلمي الجزائر وإخوان الطريقة لا يقصرون في خدمة دولتنا الفرنسوية العزيزة .**"[1] وهذه الجملة الواردة حرفيا تقريبا في مختلف النداءات والنصائح الصادرة عن الطرق الصوفية ،ومنه يمكن القول أن كاتبها هو واحد ون طرف عبد الواحد الهاشمي صاحب النداء الذي ستتهمه فرنسا فيما بعد بالثورة ضدها ،وبعد قيادته مظاهرة رافضة لتحول العمال المنخرطين في الحرب إلى الجنوب في نوفمبر 1918، نفاه الفرنسيون إلى تونس،وإننا نذكر هذه الأحداث ونقول أن استفادة السلطات الفرنسية من بعض فروع القادرية كان مؤقتا وكان لأغراض يستفيد منهم الطرفان .[2]

وكذالك كان الأمر بالنسبة إلى الطريقة الدرقاوية والشاذلية بحيث أعلن بعض زعماء الطريقة الدرقاوية ولاءهم ودعمهم للاستعمار الفرنسي في حربه وعددوا فضائل فرنسا على الجزائريين في حد تعبيرهم وذموا الألمان وحلفائهم بالمقابل مثلما نشرته مجلة العالم الإسلامي في عدد ديسمبر 1914 .

كما قام العديد من شيوخ الطريقة الشاذلية إعلان ولائهم لفرنسا ونذكر منهم الشيخ بوقاسية عمر بن القاسم من منطقة إيدوغ بعمالة قسنطينة الذي حث أتباعه أن يثبتوا لفرنسا أنهم أبناءها أيضا ،وذالك بانضمامهم إلى الجيش بمليانة ،أبدى كل من الرحمانية ومقدم العيساوية معارضتهم لموقف الدولة العثمانية من الحرب لفرنسا بالنصر وحلفائها [3].وبالتالي فقد قام مقدمو الطرق الصوفية بدور دعائي

[1]-نداء السيد محمد الهاشمي بن إبراهيم ،شيخ الطريقة القادرية في زاوية تقرت و عمين إلى كافة إخوان طريقته،مجلة العالم الإسلامي،المصدر السابق،240،243.

[2]-سعد الله أبو قاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج4،المرجع السابق،ص54،55.

[3]-أعمال الملتقى الثاني،الجزائريون و الحرب العالمية....المرجع السابق،33-34.

كبير لتجنيد في صفوف الجيش الفرنسي خلال الحرب ،حيث استغلوا تأثيرهم على عامة الناس وأثروا على طبقة كبيرة منهم فجند الكثير وجمع من أموالهم لصالح فرنسا .

أما عن تونس فهي الأخرى كان لكبار شيوخ الطرق الصوفية نفس الموقف بحكم التواصل الموجود بين هذه الطرق في تونس والجزائر ،أمثال شيوخ الطريقة القادرية ،الرحمانية و العيساوية إلى المقيم العام لفرنسا بتونس محمد الصادق الباهي شيخ زاوية سيدي الباهي بتونس ،محمد الحلفاوي شيخ زاوية سيدي حلفاوي بتونس ،من الشاذلية الشيخ عبد الواحد المحرزي شيخ زاوية سيدي محرز بتونس ،الشيخ الشاذلي بكري شيخ زاوية بكري بتونس[1]كل هذه الطرق هي الأخرى كان لها نفس الولاء والتأييد لفرنسا كما في الجزائر.

-أهم المضامين التي جاءت بها هذه الرسائل.

كما سبق وان رأينا حول محتوى الرسائل المتمثلة في نداءات أو وصيته لمختلف الطرق الدينية في الجزائر حول الحرب العالمية الأولى، فهذه الأطراف رغم تعددها واختلافها واختلاف جهاتها إلى انه نجدها تتفق في جملة من النقاط التي تحتويها رسائلها نذكر أهمها:

1-تعبير تلك الأطراف عن حصرتها [2]وأسفها من دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا التي هي عدوة الإسلام المتوحشة .[3]

2-اعتبار أن انجرار تركيا ودخولها الحرب إلى جانب ألمانيا كان بسبب انخداعها بمكر هذه الأخيرة ودسائسها التي نجحت في جر المملكة العثمانية إلى التهالك [4].

3-تحميل ألمانيا مسؤولية اندلاع الحرب فهي التي على حد قول احدهم أوقدت نار الحرب في أوروبا ساعية وراء منافعها الخصوصية.وعلى حد تعبير شيخ أخر أوقدت نار الفتنة وأشهرت الحرب على دولة فرنسا وحليفتها..."[5]

4-الثناء على دولة فرنسا وتعداد محاسنها ومزاياها التي يجب عدم نكران خيرها وإرجاع بعض من معروفها باحترامها لدين وعوائد الأهالي وعقيدتهم وتهيئة مختلف المرافق .[6]

---

[1]-تيتة ليلى،"**موقف بعض الزوايا والطرق الصوفية بالجنوب الشرقي**" ....المرجع السابق .

[2]-التليل،الطرق الصوفية و الاستعمار....،المرجع السابق،ص175.

[3]-التليلي،السياسة الإسلامية لفرنسا....المرجع السابق،ص312.

[4]- أنظر:السيد وصية السيد محمود بن سيدي محمد البشير إبن القطب الأكبر سيدي أحمد التيجاني لأحباب طريقته ،مجلة العالم الإسلامي المصدر السابق،ص203-204.

[5]--التليلي،السياسة الإسلامية ...المرجع السابق،ص314.

[6]-نفسه،ص315.

ومما يلاحظ على هذه المواقف أن جل الطرق الصوفية بمشايخها وأهاليها كان لها نفس الرأي ونفس المحتوى تشابهت قلوبهم وأفكارهم اتجاه تركيا وكذا الدعاء لفرنسا بالنصر.[1]

وهذا ما يدفعنا لشك،وطرح السؤال هل يمكن أن تصدر جل الرسائل بنفس المحتوى ونفس الجمل في معظم النداءات والتوصيات وكان كاتبها هو شخص واحد ،يقول عبد الكريم بوصفصاف أن هذه الوثائق التي عبرت عن ولاء الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر أو تونس لم تكن هي الحقيقة لان الشعب الجزائري قد انتفض خلال سنوات الحرب وقام بعدة ثورات و تمردات وهجمات واغتيالات للعسكريين والمدنيين الفرنسيين ولعل اكبر الثورة ألهبوا نارها هي ثورة الاوراس والهقار حتى 1916-1917 بالإضافة إلى فرار المجندين الجزائريين من الجيش الفرنسي ،وصعودهم للجبال أو هروبهم من الجهة الأوروبية نحو ألمانيا ثم تركيا ثم مصر ،ولعل أيضا خير مصدر معبر عن هذا الرفض للوجود الفرنسي ما سجله الأدب الشعبي من قصائد المداحين والرسائل المتبادلة بين الجزائريين وكذلك ما دونته تقارير المخابرات الفرنسية والقيادات العسكرية التي قمعت المقاومة.

و في ختام هذا الفصل يمكن القول أن حتى الدعاية الفرنسية التي استعملت جميع الأساليب من أجل تحقيق سياستها،فكانت تستعمل سياسة التهريب مرة ،و سياسة الترغيب في مرات أخرى ،فرغم هذه المواقف المحصل عليها من أجل مساندة دولة الفرنسية،إلى أن ظهور ثورات فيما بعد في فترة الحرب العالمية الأولى دليل على فشلها.

[1]-التليلي،الطرق الصوفية و استعمار الفرنسي...المرجع السابق،ص176.

الخاتـــــــــمة

الخاتمة

و من خلال دراستنا لموضوع موقف الطرق الدينية أطراف الصراع في الحرب العالمية الأولى توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

أولا:من خلال هذه الدراسة تبين لنا أن دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ،كان أمرا محتما عليها و ذالك نظرا للأوضاع التي كانت تعيشها ،فكان ذالك من أجل مصالحها ،و منه هذا لا يعني أنها دولة خرجت عن شرعية الإسلام مثلما اتهمتها رسائل الطرق الدينية .

ثانيا:انتهاج الأطراف المتصارعة لسياسة الدينية خاصة فيما يخص ألمانيا لم تكن سوء مجرد استعمار و لكن بطريقة غير مباشرة للدولة العثمانية في فترة ضعفها ،و من جهة أخرى لتسهيل عملية دعايتها في العالم الإسلامي،لكن سياستها كانت فاشلة نظرا لوجود دعاية مضادة قوية من طرف فرنسا حيث إن هذه الأخيرة لم تستعمل سياسة الترغيب فقط بل ذهبت إلى سياسة الترهيب و هذا جعلها تختلف عن ألمانيا في سياستها.

ثالثا:استغلال الدول الاستعمارية العامل الدين في مواجهة التقارب الألماني –العثماني و العمل على كسب تأييد الشعوب المستعمرة.

رابعا:إدراك فرنسا لأهمية و دور رجال الدين و شيوخ الزوايا ،بحيث كانت تحتل مكانة الدولة كان لها ثقل روحي و كلمة مسموعة ،ما جعل فرنسا تعمل على تطويعها إلى جانبها و تتمكن من تحصيل مواقف لمساندة فرنسا.

خامسا:من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى أن كل الطرق الدينية كان موقفها إلى جانب فرنسا في هذا الصراع ،و لكن لا يمكن اعتبار هذه المواقف حقيقية فهي سلبت من أصحابها بالقوة ،أو أن هذه الطرق كانت لها مصلحة هي الأخرى من فعل ذالك ،و منه فيمكن الحكم على فشل الدعاية الفرنسية أيضا في الجزائر بالنظر إلى الانتفاضات التظاهرات التي كانت خلال فترة الحرب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

-القرآن الكريم برواية ورش

-حديث نبوي شريف

- -ابن خلدون،المقدمة ،ط2،دار صادر،بيروت،2005.
- إبن منظور ،لسان العرب،دار صادق للطباعة و النشر،بيروت،سنة1968،مجلد9 .
- أبي قاسم عبد الكريم ابن هوزان القشيري النيسابوري،الرسالة القشيرية في علم التصوف ،تحقيق و إعداد معروف مصطفى رزيق،ط1،المكتبة العصرية صيدا ،بيروت،2001.
- أحمد توفيق المدني ،هذه الجزائر،مجلد8،دار علم المعرفة،الجزائر.
- أحمد طالب إبراهيمي،أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،ج1952،4-1954،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997.
- -وصية السيد محمد العروسي شيخ زاوية لسائر مقدميه و أحباب طريقته ،مجلة العالم الإسلامي.

قائمة المراجع:

- 1-عبد الكريم بوصفصاف،تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ،ج2،دار الهدى ،الجزائر ،2013.
- إبراهيم محمد التركي،التصوف الإسلامي (أصوله و تطوراته)،ط1،دار الوفاء لدينا،(د-ت.)
- ابراهيم مياسي ،مقاربات في تاريخ الجزائر(1830-1962)،دار هومة لطباعة و النشر،الجزائر،2007.
- ترمنجهام سبنسر،الفرق الصوفية في الإسلام،ترجمة و تعليق:عبد القادر البحراوي ،ط1،دار النهضة العربية ،بيروت،1997.

•التليلي العجيلي ،السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى ،ط1 ،مجمع الأطرش للنشر و التوزيع،2018.
•التليلي العجيلي ،الطرق الصوفية و الإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1939)،مجلد2،منشورات كلية الأداب بمنوبة،1912.
•التليلي العجيلي ،صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي(1876-1918)،ط1،دار الجنوب للنشر و الطباعة،تونس،2005،.
•جوان حسين فيض الله الجاف،الدبلوماسية الألمانية 1870-1914م،مقال
•د.سهام محمد هنداوي ،التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية (1293هـ/1876م-هـ1327/1909م):وثائق سرية،ط 1،دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع،دمشق.
•روبر مانتران،تاريخ الدولة العثمانية ،ترجمة:بشير السباعي،ج2،دار الفكر لدراسات و النشر و التوزيع،ط1،القاهرة،1993.
•رياض الصمد ،العلاقات الدولية في القرن العشرين ،بيروت ،ددط .
•سعد الله ،الحركة الوطنية 1830-1900،ج1،الطبعة 1،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1922.
•سعد الله أبو قاسم ،الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2،دار العرب الإسلامي ،بيروت ،ط1.
•سعد الله أبو قاسم،تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954ج4،ط1،دار الغرب الإسلامي،1998.
•سنو ، "الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى "،بحوث تاريخية ،بيروت،دط،2002.
•شارل روبر اجرون ،الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871-1919،ج2،تر:م-حاج مسعود -ع.بلعربي ،دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،دط ،2007.
•شارل روبر أجرون،الجزائريون المسلمون و فرنسا(1871-1919)،ج1،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2007.

•شيخ الإسلام العثماني من عائلة عون منافسة لبني هاشم محرر الفتوى الشريفية 1914 للمزيد أنظر:أمين الريحاني ملوك العرب ج1،ط8،دار الجبل ،بيروت 1987.
•صاحب السجادة الكبرى يلقي بين أيدي فرنسا خطبة الإخلاص ،مجلة الفتح ،العدد 257،القاهرة،يوم 16صفر،1350هجري.
•صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان،حقيقة التصوف و موقف الصوفية من أصول العبادة و الدين ،ط1412،1هـ،دار العاصمة ،المملكة العربية السعودية ،1412.
•صحيفة رسمية أصدرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية بالغة الفرنسية و العربية لتكون همزة وصل و اتصال بينها و بين الاهالي ،توقفت عن الصدور سنة 1927 لتحل محلها الجريدة الرسمية في الجزائر،أنظر:الزبير سيف الإسلام ،تاريخ الصحافة في الجزائر ،الجزائر،الشركة الوطنية لنشر و التوزيع.
•عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ،تاريج الجزائر العام(1514-1530)،ج3،دار الأمة لنشر و التزيع،ط.د،214.
•عبد الرحمان عميرة ،التصوف الإسلامي منهجا و سلوكا،مكتبة عميرة للكليات الأزهرية،ص8.
•عبد الرحملن بن محمود نموس،الصوفية بين الدين و الفلسفة،طبعة جديدة و منقحة و مزيدة،دار إيمان لنشر و التوزيع،دت.
•عبد الرؤوف سنو ،الإسلام و الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى .
•عبد الرؤوف سنو، الجهاد صنع في ألمانيا،قناة بي بي سي،24-11-2014.
•عبد الرؤوف سنو،الجهاد صنع في ألمانيا،قناة بي بي سي،2014/11/24.
•عبد الرؤوف سنو،ألمانيا و الإسلام في القرن التاسع عشر و العشرين ،دار الفرات ،ط1،2007.
•عبد الرؤوف سنو،سياسة ألمانيا إسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط 1885.

•عبد الرؤوف سنو،سياسة المانيا الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط1858-1918:تحالف استراتيجي أم تحقيق مصالح قومية؟
•عبد العزيز سليمان نوار،تاريخ العراق الحديث حتى نهاية الحكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ،دار الكتاب العربي ،القاهرة .
•عبد العزيز شهبي،الزوايا و الصوفية و العزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر،دار المغرب لنشر و التوزيع،الجزائر.
•عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها،ج3،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ،دط.
•عبد العزيز محمد الشناوي ،الدولة العثمانية (دولة مفترى عليها)،ج1،مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة،1980.
•عبد الكريم بوصفصاف،التصوف مفاهيمه و أبعاده،م.دط،جامعة أدرار .
•عبد الله الوهاب شلاني ،مجلة العلوم إنسانية و اجتماعية،نصف سنوية،المركز الجامعي الشيخ تبسي،أفريل 2006.
•عبد الله دجين السهلي،الطرق الصوفية (نشأتها و عقائدها و آثارها)،ط1،دار كنوز إشبيليا،الرياض،1426هجري،2005م.
• عبدالحميد زوزو،الأوراس إبان الاحتلال (التطورات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية (1837-1939)،تر:مسعود الحاج مسعود،دار هومة،الجزائر،2005.
•علي سامي النشار،نشأة الفكر الصوفي في الإسلام (الزهد و التصوف في القرنين الأول و الثاني هجري)،ج3،ط8،دار المعارف،كورنيش النيل ،القاهرة،1119.
•عماره هلال ،أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر (1830-1962) ،د.م.ج،الجزائر 1925.
•عماره هلال ،أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر (1830-1962) ،د.م.ج،الجزائر 1925.

•قينارجة :و تقع إلى الجنوب الشرقي في سيلستريا في بلغاريا.محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق إحسان حقي،ط9،دار النفائس،بيروت.
•محمد صالح بجاوي ،متعاونون المجندون في الجيش الفرنسي 1830-1948م.دط،دار القصبة لنشر ،الجزائر 2009.
•محمد عيسى الجزائري ، نبذة عن تاريخ التصوف في الجزائر ،الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،2011.
•محمود السيد ،تاريخ دول المغرب العربي(لبيا،تونس،الجزائر،المغرب،موريطانيا)، مؤسسة شباب الجامعة،شارع الدكتور مصطفى ،مشرفة لنشر،2000.
•منال عبد المنعم جاد الله ،التصوف في مصر و المغرب ،(دط)،منشأة المعارف باسكندرية،د ت.
•ناصر بلحاج ،دور الدعاية العثمانية الألمانية في رفض التجنيد الإجباري و الدعاية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ،العدد3،2008،جامعة غرداية .
•هشام صالح التكريتي ،(التغلغل الألماني في المشرق العربي قبل الحرب العالمية الأولى)مجلة المؤرخ العربي ،العدد 26،بغداد 1985.
•-وصية السيد محمد العروسي شيخ زاوية لسائر مقدميه و أحباب طريقته ،مجلة العالم الإسلامي.
•يحي بوعزيز، موضوغات و قضايا في تاريخ الجزائر و الغرب،دار الهدى بعين مليلة،الجزائر.

الملتقيات:

•أعمال الملتقى الوطني الثاني ،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى 1914-1918في الذكرى المئوية لاندلاع الحرب ،18-نوفمبر2018،جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة،دار التل لطباعة ،البليدة،الجزائر.

المذكرات والرسائل:

•محمد دراوي ،الجزائر و الجامعة الإسلامية 1876-1924،مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجيستر،إشراف مولود عويمر،جامعة الجزائر،2007-2008.

•ماجدة القاسمي الحسين،الطريقة الرحمانية(أركانها و أصولها،(رسالة ماجيستر العلوم الإنسانية كلية أصول الدين)،جامعة الجزائر،2005.

•خنفوق اسماعيل،دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس(1844-1931)،رسالة ماجيستير في التاريخ الجزائر الحديث و المعاصر،جامعة الحاج لخضر،باتنة،2010-2011.

باللغة الأجنبية:

•Meynier Gilbert ,L'Algérie Révélée, La guerre de 1914-1918,le premier quart du XX(20) siècle, éditions el-maarifa,2010.

•X.Les musulmans français et la guerre ,Revue du monde musulman ,Ernest Leroux , paris,191.4

الفـــــــهرس

الفهرس

شكر

إهداء

مقدمة.....

الفصل الأول: مكانة الطرق الدينية في المجتمع الإسلامي

I: ماهية التصوف و نشأته.....

1-مفهوم التصوف.....

2-نشأة التصوف: .....

II: مكانة الطرق الدينية في المجتمع الإسلامي.....

1-دور الطرق الصوفية في المجتمع.....

2-**الدور الثقافي التعليمي.....**

III: الدور العسكري للطرق الدينية في مقاومة الاستعمار الأوروبي.....

1-في الجزائر.....

2-في تونس.....

الفصل الثاني: الدعاية الألمانية العثمانية و دورها في استمالة الطرق الصوفية

I:تاريخ العلاقات الألمانية العثمانية .....

1:العلاقات العثمانية- الألمانية قبيل الحرب لعالمية الأولى.....

2: مظاهر التقارب الألماني العثماني.....

3-العلاقات الألمانية العثمانية عشية الحرب العالمية الأولى.....

II:الدعاية الألمانية العثمانية أساليبها.....

1-الدعاية الرسمية الدينية.....

2-أساليب الدعاية .....

الفصل الثالث: موقف الطرق الدينية من الدعاية و الدعاية المضادة في الجزائر

I: فرنسا في مواجهة الدعاية الألمانية- العثمانية : .....

1-الدعاية الألمانية- العثمانية في الجزائر: .....

2-إجراءات الفرنسية ضد الدعاية الألمانية العثمانية: .....

3-الدعاية الدينية الرسمية لفرنسا.....

II: الشيوخ الرسميون و الفتاوى لصالح فرنسا: .....

1-الطريقة التيجانية : .....

2-الطريقة الرحمانية: .....

3-الطريقة السنوسية: .....

خاتمة.....

قائمة المصادر والمراجع.....

الفصل الثاني

الدعاية الألمانية-العثمانية
و دورها في استمالة الطرق الدينية

I:تاريخ العلاقات الألمانية العثمانية

II:الدعاية الألمانية العثمانية أساليبها

من خلال هذا الفصل المعنون بالدعاية الألمانية– العثمانية و دورها في تحصيل مواقف الطرق الصوفية هو عبارة عن محاولة تسليط الضوء على دور الدعاية الألمانية– العثمانية في التأثير على مواقف الطرق الصوفية التي سوف نتطرق إليها في الفصل الثاني الذي يأتي ،و قبل أن نتطرق إلى هذه الدعاية يجب التعرف على نوع العلاقات التي كانت سائدة بين البلدين أو متى بدأت العلاقات العثمانية الألمانية بالضبط ،وقسمنا هذه العلاقات إلى مرحلتين أو فترتين تتحدث الأولى عن العلاقات العثمانية الألمانية قبيل الحرب العالمية الأولى التي سنتعرف فيها على موقف ألمانيا من المسألة الشرقية ،التي كانت فيها الدولة العثمانية في انحطاط و سقوط و تشكل فريسة للدول الأوروبية ،و ندرس كيفية تغلغل ألمانيا في الدولة العثمانية من خلال المشاريع الاقتصادية كمشروع سكة حديد برلين بغداد ،الذي منحه السلطان عبد الحميد الثاني للإمبراطور ألمانيا وليم الثاني في رحلة الثانية،بعد أن اتبعت ألمانيا سياسة إسلامية و اختارت اللعب بورقة الدين في مواجهة أعدائها و هذا ما سيسعدها في جعل الدولة العثمانية تدخل الحرب إلى جانبها بعدما اتخذت هذه الأخيرة أسباب لها في ذالك و استخدام ألمانيا للدولة العثمانية من أجل نشر دعايتها.

أما في المبحث الثاني فخصصناه إلى الدعاية الألمانية –العثمانية بعدما كنا قد تطرقنا إلى العلاقات و كيفية دخول الدولة العثمانية الحرب،فدرسنا فيه الدعاية الرسمية الدينية للبلدين و التي تمثلت في إصدار فتوى الجهاد المقدس عرفت بالفتوى الشريفية لمعرفة محتوى هذه الفتوى و ما جاءت به و لا ننسى ذكر دور اوبينهام بدليل صاحب انتهاج السياسة الإسلامية للتأثير على الدول العربية و المشرق العربي بصفة خاصة،و في أخر الفصل تكلمن عن أهم الأساليب المتمثلة في المنشورات التي كانت توزع بين الأسرى و في الدول المستعمرة من طرف فرنسا و بريطانيا من أجل القيام بثورة ضدهم،كذالك إنشاء الوكالات بحيث تعتبر أهم عنصر ساعد في نشر الدعاية كوكالة الشرق الأوسط التي أسسها أوبينهام و إقامة معسكر نصف القمر الذي بدوره لعب دورا هاما في الدعاية و في الأخير محاولة ألمانيا استمالة الطرق الصوفية نظرا لأهميتها و التي هيا ستلعب دورا هاما من خلال

مواقفها إن حظيت هذه الدعاية بالفشل أو النجاح ما سنتعرف من خلال الفصل الثاني . و من يمكن طرح الإشكال التالي

كيف ساهمت هذه العلاقات الألمانية العثمانية في دخول الدولة العثمانية الحرب ؟و مامدى نجاح الدعاية الألمانية العثمانية؟

I-تاريخ العلاقات الألمانية -العثمانية

سنتطرق في هاذ المبحث إلى العلاقات العثمانية الألمانية قبيل الحرب العالمية الأولى ،و التي من خلالها يمكن معرفة نوع العلاقة السائدة بين البلدين ،إن كانت متوترة أو علاقة ودية،و سنبرز مظاهر كلتا الحالتين ،فا المعروف أن لكل دولة علاقات خارجية تقيمها مع البلدان الأخرى،إما من أجل مصالح اقتصادية أو دينية أو سياسية تجمعهم،و الدولة العثمانية ككل البلدان كان لها ذالك سواء مع الدول العربية الإسلامية أو الدول الأوروبية،و نحن في هاذ العنصر سندرس علاقاتها مع ألمانيا بالخصوص وهذا من أجل إبراز وتفسير سبب دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا و مشاركتها في الدعاية،هذا ما سنعرفه من خلال المطالب لأتيه،و منه نطرح السؤال التالي:

ما نوع العلاقات السائدة بين هاتين الدولتين؟و كيف أثرت هذه الأخيرة على الدولة العثمانية؟.

1-العلاقات العثمانية- الألمانية قبيل الحرب لعالمية الأولى

<u>-المسألة الشرقية و مبدأ الحفاظ على الدولة</u>

منذ أن بدأت الدولة العثمانية تضعف و تتدهور في أواخر القرن الثامن عشر شغل في أذهان الساسة في أوروبا التفكير في مصير هذه الدولة و في أملاكها،و من ذالك الوقت المبكر و خلال القرن التاسع عشر كانت الدول الأكثر اهتماما بمصير الدولة العثمانية و مصير أملاكها هم بريطانيا التي أرادت تأمين مواصلاتها إلى الشرق الأقصى،و روسيا القيصرية التي أرادت أن تجد لها منفذ من البحر الأسود إلى المياه الدافئة بالبحر المتوسط،و

فرنسا التي أخذت على عاتقها من زمن مبكر حماية مصالح رعايا الدولة في بلاد الشام و لبنان ثم استعلاء نفوذها في أملاك الدول الأخرى بالأخص تونس و الجزائر[1]

و على عاتق النظر في مصير الدولة العثمانية أخذ في عين الاعتبار المحافظة على توازن القوى وذالك بعدم الإخلال بالتوازن الدولي في أوروبا،فا اقترن حل المشكلة بمصير أملاك الدولة و أملاكها في القرن 19 و هو ما يعرف بالمسألة الشرقية ،[2] هذا ما سيؤدي إلى تزايد أطماع الأوروبية بعدما بدأت الدولة في الضعف، وفي حين كانت دول تريد اقتسام أملاك الدولة العثمانية كانت هناك دول أخرى كإنجلترا و فرنسا تعارض هذه الأطماع و تقف في وجه اقتسامها حرصا على مصالحها هناك و رغبة في عدم مشاركة أي دول أخرى منافسة لأملاك الدولة إذا ما تعرضت هذه الأخيرة لتقسيم[3]

و يتطابق هذا المصطلح "المسألة الشرقية "مع جملة من الأحداث التي وقعت بين عامي (1774-معاهدة كوتشوك-قينارجه[4])و1923(معاهدة لوزان كنتائج و إجراء عملي تنفيذي للاقتسام مواقع النفوذ.و برز التنافس واضحا في هذه المرحلة بين الدول الأوروبية الكبرى على أن تصل كل واحدة منهم إلى غايتها و أهدافها على حساب السلطنة العثمانية .فمثلا روسيا تدخلت بحجة حماية حمايتها للمسيحيين الأرثودوكس و السلاف و كانت ترمي إلى مد سيطرتها على دول البلقان و الوصول إلى البحر المتوسط و الإنكليز كانوا يسعون إلى

---

[1]-إسماعيل أحمد ياغي،الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،ص141.

[2]-هي المشكلة التي ظهرت على إثر ضعف الدولة العثمانية منذ أواخر القرن الثامن عشر و تجسدت بشكل واضح و خطير في القرن التاسع عشر نتيجة عوامل متعددة يأتي في مقدمتها التنافس الذي وقع بين النمسا و روسيا و فرنسا لاقتسام أملاك الدولة العثمانية التي وصفها قيصر روسيا بالرجل المريض،أما العامل الثاني هو الثورات القومية التي ظهرت بالبلقان لتخلص من الحكم العثماني.للمزيد أنظر :الدكتور صالح أحمد هريدي ،أوروبا من الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الأولى،ص164.

[3]أ-محمد دراوي ،الجزائر و الجامعة الإسلامية 1876-1924،مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجيستر،إشراف مولود عويمر،جامعة الجزائر،2007-2008،ص213.

2-قينارجة :و تقع إلى الجنوب الشرقي في سيلستريا في بلغاريا.أنظر:محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق إحسان حقي،ط9،دار النفائس ،بيروت،ص342.

تأمين طريق الهند و بالتالي السيطرة على الممر الذي يفصل البحر المتوسط عن المحيط الهندي ،و من هنا جاء اهتمامها بالبلدان العربية التي تقع ضمن المنطقة.

و أما الفرنسيون فكانوا يريدون الدفاع عن مواقعهم التجارية و الثقافية لدى مسيحي المشرق و بذالك كانوا يجدون أنفسهم في حالة مواجهة بحسب الظروف مع كل من الروس و الإنكليز و النمسا.[1]

-موقف الدولة الألمانية من المسألة الشرقية

و في حين كانت الدول الأوروبية متصارعة فيما بينها على أملاك الدولة العثمانية،نجد أن ألمانيا كانت غير مهتمة بالمسألة الشرقية و هذا يرجع إلى الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك في ألمانيا بحيث أن هذه الأخيرة لم تكن متوحدة و لم تحقق وحدتها بعد و لم تكن ألمانيا تعني وحدة سياسية معينة ،بل كانت مقسمة من 360ولاية جعلها نابليون 36،و هذه الولايات التي ستتوحد فيما بعد بما عرفت بالإمبراطورية الألمانية سيكون لها بعد وحدتها دورا كبيرا في تحريك أحداث التاريخ الحديث.[2]

و من هذا يمكن اعتبار أن العلاقات العثمانية الألمانية كانت ضعيفة بحيث لم تهتم هذه الأخيرة بالمسألة الشرقية و لم تتدخل فيها إلى غاية قيام الوحدة الألمانية فيما بعد لعد قدوم بيسمارك و من إشارات ذالك هو قول بيسمارك.[3] عام 1867"**علينا أن لا ننسى ...أنه ليس لدينا في هذه المسالة مصلحة مباشرة ،بل إن سياستنا تسير لمصلحة وضعنا الأوروبي بحرية ودون أية عقاب ...إن ألأوضاع في تركيا عامة لا تمسنا مباشرة بل ما**

[1]-روبر مانتران،تاريخ الدولة العثمانية،جزان ،ت،بشير السباعي،ج2،دار الفكر لدراسات،القاهرة،1993 ،ص5.

[2]-د.سهام محمد هنداوي ،التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية (1293هـ/1876م-هـ1327/1909م):وثائق سرية،ط 1،دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع،دمشق،ص63.

[3]-ولد بيسمارك في بلدة شونهاوزت في قلب مملكة بروسيا سنة 1815م من عائلة من الأشراف اختاره الملك فردريك وليم الرابع ليكون مندوبا عن بروسيا و من خلال قيامه بعدة رحلات بين عدة بلدان خارج ألمانيا تيقن أن المشكلة الألمانية أي الوحدة الألمانية لن تحل إلا بالقوة و من هنا بدأ التخطيط في الوحدة الألمانية و نجح فعلا في ذالك،للمزيد أنظر :د.سهام محمد هنداوي ، التطور التاريخي للعلاقات العثمانية الألمانية ،نفس المرجع السابق ،ص64.

يمسنا فقط هو تأثيرها الذي قد ينعكس على علاقتنا مع الدول الكبرى"[1] و هذا إن دل على شيء إنما يدل على عدم اهتمام ألمانيا بالمسألة الشرقية و اعتبارها أمر لا يخصها و لا تتدخل فيها بأية طريقة ،فقد التزمت الحياد من جهة هذه المشكلة ،فا لعلاقات الألمانية العثمانية في هذه الفترة كانت ضعيفة اقتصرت فقط على اهتمامات استشراقية و تبشيرية و مصالح تجارية[2].

و لكن ذالك لم يدم على مر الزمن ،فأن صح القول أن ألمانيا كانت أخر الدول التي انغمست في إشكاليات المسألة الشرقية ،فالصحيح أيضا أنها أصبحت أكثر الدول اهتماما بتلك المسالة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر و تحديدا منذ وصول غليوم الثاني[3] إلى الحكم .[4]

ففي عهد وليم الثاني يظهر اهتمام ألمانيا بالمسالة الشرقية من خلال محاولته الحفاظ على الوضع الراهن ،و حتى الحرب العالمية الأولى حاولت الحكومة الألمانية تحقيق هذا المبدأ ،و من أجل ذالك وقفت ألمانيا عام 1890في وجه حليفتها إيطاليا لتقسيم الدولة العثمانية ،و فرضت على حلفائها التزام بسياسة الحفاظ على الدولة العثمانية ،كما وقفت في وجه روسيا للاستيلاء على الممرات من خلال تدعيم السلطنة دفاعيا .[5]

---

[1]–عبد الرؤوف سنو،ألمانيا و الإسلام في القرن التاسع عشر و العشرين ،دار الفرات ،ط1،2007،ص36

[2]المرجع نفسه ،ص61

[3]–غليوم الثاني،إمبراطور ألمانيا أدى إلى تكوين صداقة مع المسلمين و انتهج سياسة إسلامية للاندفاع نحو الشرق،سنو المرجع نفسه،ص111 .

[4]–عبد الرؤوف سنو،**سياسة المانيا الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط1858–1918:تحالف استراتيجي أم تحقيق مصالح قومية؟**

[5]–سنو،ألمانيا و إسلام ، المرجع السابق،ص61–62.

2: مظاهر التقارب الألماني العثماني

مع بدايات القرن التاسع عشر بلغت الثورة الصناعية في أوروبا و التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية أقصى درجاته،حيث بدأت تتشكل تكتلات سياسية جديدة على الساحة الأوروبية غايتها تحقيق أعلى نسبة ممكنة من مصالحه الشخصية و خاصة الاستعمارية منها دون الدخول في صراعات تؤدي إلى حروب فيما بينها بين الدول الأوروبية العظمى و لحد ما استطاعت هذه السياسة الصمود إلى غاية الحرب العالمية الأولى 1914م.[1]

و أمام هذه الصورة ظهرت ألمانيا على الساحة الاستعمارية و لكن بحذر شديد محاولة الاستفادة من الظروف السياسية الدولية و خاصة بالنسبة للدولة العثمانية من أجل النفوذ إليها مع اختيارها أسلوب هادئا و دبلوماسيا لتحقيق ذالك عكس النهج العسكري الذي اتخذته الدول الأوروبية الأخرى و هذا ما سيعزز من تطور العلاقات الألمانية العثمانية الذي سوف تستفيد منه ألمانيا من خلال دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانبها فنجحت ألمانيا في جعل الدولة العثمانية تتقبل ألمانيا باعتبارها أقل خطورة على الدولة العثمانية حسب ظن القائمين على أمرها.[2]

فكانت الطريق شبه ممهدة بين الطرفين في تلك المرحلة من أجل إقامة علاقات أخذت طابع الود و الصداقة بين الطرفين،و دعم كل منهما للأخر في أزماته مع تحقيق الفائدة الاقتصادية و السياسية و التي بقيت قائمة و مستمرة حتى سنة1914 و ما بعد.[3]

<u>-التغلغل الألماني في الدولة العثمانية و قيام سكة حديد برلين –بغداد</u>

كان مشروع سكة حديد بغداد من أشد المشاكل استعمار التي عرفتها الدول الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين تعقيدا ،و من أقوى العوامل في سوق

[1]- سهام محمد هنداوي ،التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية،المرجع السابق،72.
[2]-نفسه،ص72.
[3]–التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية ،نفس المرجع السابق ،ص73.

هذه الدول إلى خوض غمار الحرب إن انجاز الوحدة الألمانية و قيام الإمبراطورية الألمانية في 1871أعطى زخما قويا للتطور الاقتصادي لألمانيا بحيث أصبح العقد الثامن من القرن 20 نقطة تحول في تطور ألمانيا الاقتصادي،و بدأت تظهر على المسرح كقوة استعمارية ،و بدأ النفوذ الألماني بالتغلغل في الدولة العثمانية عن طريق إرسال بعثات عسكرية لتدريب لجيش العثماني ،فقد وجد العثمانيون كما سبق و أن أشرنا الدولة الوحيدة التي لم تكن لها مصالح و أطماع في أراضيهم ،فكانت الدولة العثمانية تحتل مكانة الصدارة في مخططات التوسعية .[1]و كان بناع السكك الحديد في الدولة العثمانية من الوسائل الفعالة التي لجأ إليها الاستعمار لتغلغل في تلك الدولة و الإشراف على الكثير من مواردها .

و في عام1892كان السلطان عبد الحميد الثاني [2]قد أعلن عن عزمه بمد شبكة خطوط حديدية عبر الأراضي العثمانية تكمل خط ألمانيا،الذي كانت ألمانيا قد حصلت على امتياز عام 1882و تسمح بتحقيق وحدة سياسية و إدارية بين أرجاء البلدان المتباعدة وكان الإمبراطور وليم الثاني قد قام بزيارة للدولة العثمانية للمرة الثانية في 1898 وتمخضت عن هذه الزيارة عن نتائج مهمة في التغلغل الألماني في الأقطار الدولة العثمانية و نتج عنها موافقة السلطان على منحهم امتياز سكة حديد بغداد–برلين .[3]

و في عام 1892 انتهى الألمان بمد سكة حديد بغداد –برلين إلى أنقره إلا أنها واجهت معارضة من قبل بريطانيا وروسيا و فرنسا ،و من هذا الأمر نلاحظ أن الألمان كانوا يرون أن الدولة العثمانية الموحدة الغير المجزئة و الواقعة تحت حماية ألمانيا بشكل غير رسمي

---

[1]–جوان حسين فيض الله الجاف،(**الدبلوماسية الألمانية 1870–1914م)**

[2]–عبد الحميد الثاني :هو ابن عبد الحميد الأول تولى الحكم بعد عزل أخيه مراد الخامس ،عرف باستبداده و تعصبه مما أدى إلى تأسيس الجمعيات ذات الأهداف السياسية ،أطلق عليه السلطان الأحمر لكثرة سفكه الدماء ،و قام ببعض الإصلاحات منها القضاء على الفساد و الرشوة ،للمزيد انظر: يالماز أوزتونا،موسوعة تاريخ اللإمبراطرية العثمانية(السياسي و العسكري و الحضاري،تر:عدنان محمود سلمان ،المجلد 3،دار العربية للموسوعات ط2010،1،ص93.

[3]-جوان حسين فيض الله،الدبلوماسية الألمانية ....،المرجع السابق.

تحولها إلى مستعمرة ألمانية ،و من جهة أخرى كان السلطان عبد الحميد الثاني يرى في ألمانيا سنده و الاعتماد عليها في مركزه و مقاومة الحركات التحرر القومية[1].

فيمكن القول أن زيارة الإمبراطور كان لها أهداف متبادلة من قبل الطرفين العثماني و الألماني إمبراطور الألماني كان يؤمن بضرورة تقوية العلاقات الاقتصادية و السياسية مع الدولة العثمانية بحث استهدفت السياسة الألمانية من خلال هذا المشروع إلى :

أهداف كل من الطرفين

1 –اتخاذ ألمانيا من التسلل الاقتصادي في د.ع وسيلة لجعل ألمانيا قوة استعمارية عالمية في منطقة الشرق الأوسط،بحث يعتبر مشروع أو طريق ب.ب.ب[2]،أهم و ابرز ما يجسد تسللها الاقتصادي.

2–تحويل المناطق التي يمر بها خط ب.ب.ب في الدولة العثمانية إلى مناطق إنتاج المواد الخام التي تستخدم في الصناعة الألمانية

3–استغلال نفوذها السياسي في د.ع بوضع خطط تستهدف استخدام الأفضل لسكك الحديد في الأغراض الحربية ،بحيث كان من بين هذه الخطط هو إرساء نظام للحكم السياسي غير المباشر و للأنظمة الاقتصادية في المناطق التي يسمر بها خط الحديدي في د.ع و تشرف الأجهزة الألمانية المتخصصة على تنفيذها .[3]

[1]–عبد الرؤوف سنو، ألمانيا و الإسلام ،مرجع السابق،ص44.

[2]–أطلق على مشروع الخط الحديدي من قبيل الاختصار طريق ب.ب.ب B.B.B.Route لأنه يبدأ من برلين و يمر ببيزنطة ثم بغداد.وقد اختيرت كلمة بيزنطة بدلا من استانبول أو الآستانة أو القسطنطينية حتى تبدأ أسماء المحطات الثلاث الرئيسة بحرف الباء بحيث أن تسمية سكة حديد بغداد غير دقيدة .شناوي ، المرجع نفسه ص174.

[3]– عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها،ج3،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ،دط، ص176.

و السلطان العثماني عبد الحميد كان يؤمن بإقامة علاقات مماثلة مع ألمانيا و اتخاذها حليف جديد ضد أعدائه كما سبق و أن أشرنا .[1] مؤيدا لتطوير وسائل حديثة المواصلات في الإمبراطورية و إنشاء خط السكك الحديدية في الأناضول لأول مرة يعتبر مهما بالدرجة الأولى على المستوى العسكري ،بحيث أشارت العمليات ضد اليونان عام1897الى دور السكك الحديدية في الإستراتيجية العسكرية و علاوة عن الاعتبارات العسكرية فان الاعتبارات الاقتصادية تحتل مكانة كبيرة في المشروع لان من شأن سكة حديد بغداد تفتح البلد كله أمام التقدم الاقتصادي [2].

-سياسية ألمانيا الإسلامية:

بعدما أدركت ألمانيا أهمية الدولة العثمانية بدأت في التغلغل في المشرق و الاندفاع نحوه بأبعاد اقتصادية كما رأينا مع سكة الحديد بغداد -برلين و سياسية التي سوف نتطرق إليها من خلال هذا العنصر و كذالك ثقافية و يتجلى ذالك من خلال عصر وليم الثاني ،و من أجل علاقة وطيدة قام الإمبراطور وليم الثاني بزيارتين في سنتي 1889-1898حيث مهدت الأولى إلى التغلغل الاقتصادي في المناطق العثمانية ،أما الثانية أما الثانية التي تحصل من خلالها الإمبراطور العثماني على سكة حديد بغداد -برلين ،أما من خلال المظاهر العلاقات السياسية فإن ألمانيا كانت تنتهج سياسة إسلامية .[3] و تتجلى مظاهرها من خلال ما يلي:

1-إعلان ألمانيا صداقتها للإسلام و خصوصا لسلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يفتح لها التغلغل الاقتصادي و التجاري داخل الدولة العثمانية و من هنا تحول الإسلام منذ الثمانيات من القرن 19 إلى ركن رئيسي في سياسة ألمانيا الخارجية ،و صراعاتها الدولية

[1]- محمد الشناوي ،مرجع السابق ،ص372.

[2]-روبر مانتران،تاريخ الدولة العثمانية ،المرجع السابق، ص225.

[3]-هشام صالح التكريتي ،(التغلغل الألماني في المشرق العربي قبل الحرب العالمية الأولى)مجلة المؤرخ العربي ،العدد 26،بغداد 1985،ص40.

وانتهجت سياسية إسلامية سعت إلى استخدام نفوذها لدى السلطان العثماني لضرب المصالح الأوروبية في مستعمراتها من بينها ضرب المصالح البريطانية في مصر و الهند،و كذالك المصالح فرنسا في شمال أفريقيا هذا ما يفسر عدم تقبل الدول الأوروبية لهذه الصداقة مع الدولة العثمانية خاصة مع فرنسا التي سوف تتخذ ألمانيا من هذه السياسة الإسلامية سلاح لضرب فرنسا

من خلال محاولة التأثير على الدول المستعمرة لها بما يعرف بالدعاية الألمانية العثمانية و بعد ضمان دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانبها.[1]

2 –خطاب ألمانيا الإسلامي و لتجسيد هذه السياسة كانت لألمانيا عدة خطابات التي عبرت من خلالها عن انتهاج سياسة الإسلامية من أجل كسب صداقة الدولة العثمانية الدول والعربية التي تحت لواءها ،و تمهيدا للحرب التي تنبأ لها إمبراطورها من قبل،لكسب حليفة لها و يظهر ذالك من خلال زيارة الإمبراطور الألماني إلى بلاد الشام و كلمة في دمشق عام 1898،و إلى طنجة في عام 1905 و اعتراف بالسلطان العثماني كخليفة للمسلمين وفق ما يسمى بالجامعة الإسلامية .

و لعل أبرز المناسبات التي تعبر عن سياسة ألمانيا الإسلامية هي:

أ–عندما توجه وليم الثاني إلى دمشق استقبل إمبراطور ألمانيا وفد مسيحي في بلدة بلبنان جاء يشكو معاملة السيئة التي يعيشونها جراء الحكم العثماني،فأجابهم الإمبراطور بأن يعتنقوا الإسلام مادام أنهم أقلية تعيش هناك

ب–بعد يومين من الحدث وضع وليم الثاني إكليل من الزهور على ضريح السلطان صلاح الدين في دمشق و ألقى خطاب كان واضحا ليجسد السياسة الألمانية الإسلامية .[2]

[1]–عبد الرؤوف سنو ،**سياسة ألمانيا إسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط 1885**،ص129.

[2]–نفسه،ص130.

و منه يمكن القول أن فكرة التحول إلى الإسلام لم تكن جدية لدى الإمبراطور ألمانيا ،لأن الإنسان لن يغير دينه بهذه البساطة ،و بالتالي فإن هذه السياسة لم تكن سوى مجرد محاولة التغلغل في المشرق العربي ،و الدولة العثمانية و لكن تكون بطريقة سلمية ،و لم تكن تدرك الدول العربية الحقيقة من وراء هذه السياسة ،بحيث اعتقدت بأن ألمانيا حليفتها الوحيدة للحفاظ على الإسلام من الدول الأوروبية الأخرى .[1]

3-العلاقات الألمانية -العثمانية عشية الحرب العالمية الأولى

بعدما بدأت بوادر الحرب العالمية الأولى تظهر و تقين الدول الأوروبية بوجود حرب لا مفر منها سارعت ألمانيا إلى استغلال العلاقات السائدة بينها و بين الدولة العثمانية ،و محاولة تعزيزها أكثر عشية الحرب العالمية الأولى و عليه اتخذت ألمانيا منذ مطلع القرن العشرين تدرك أهمية الدولة العثمانية العسكرية و تفكر في كسبها كحليفة لها في الحرب ففكرت في أن تأخذ مكان إيطاليا في الحلف الثلاثي ،إلا أن الانتقادات البعثة العسكرية الألمانية في الأستانة و شكوكها من عدم كفاءة الجيش العثماني كحليف لها أخر قيام هذا التحالف.[2]

و في عام 1913 عين الجنرال أوتلمان فون ساندر[3] رئيس للبعثة الألمانية العسكرية في السلطنة العثمانية و قائد الفيلق العثماني الأول ،استطاع هذا القائد إحداث نقلة نوعية في الفيالق العثمانية و فعالياتها بإضافة إلى تدعيم الأسطول العثماني في البحر الأسود،و عند اندلاع الحرب لم تجد ألمانيا أية صعوبة في عقد التحالف مع الدولة العثمانية للدخول في الحرب جانب ألمانيا في 2أبريل 1914 الذي نص على تبادل المساعدة ضد أي عدو.[4]

---

[1]-سنو،ألمانيا و الإسلام ،نفس المرجع السابق،ص154.

[2]-نفسه ،ص69.

[3]-أوتلمان فون ساندر :جنرال ألماني و رئيس البعثة العسكرية الألمانية في السلطة العثمانية للمزيد أنظر :سنو ،ألمانيا و الإسلام مرجع سابق ،ص70.

[4]-سنو، ألمانيا و الإسلام ،نفسه ،ص70-71

و تشير الدكتورة هنداوي إلى أن الضباط الألمان كانوا يشرفون على تدريب الجيش العثماني بكل اختصاص أنهم حاول هؤلاء جعل الجيش العثماني صورة مصغرة عن الجيش الألماني ،بحيث تقول أنهم لم يكونوا مخلصين في تدريبهم بل كانت الغاية الوحيدة هيا استقواء الدولة العثمانية بحليفها الجديد هيا ألمانيا ضد أعدائها و هذا ما عبر عليه رئيس أركان الجيش الألماني قائلا:"**الجندي العثماني مخلص وودود و مقاوم ،يمكن أن يستغل بسهولة و يجر إلى ساحة المعركة** " [1]و هذا بالفعل ما سيجري و ما سنلاحظه من خلال انضمام الدولة العثمانية ؟إلى الحرب جانب ألمانيا.

-موقف الدولة العثمانية من الحرب

عند اندلاع الحرب العالمية الأولى بين المحور (ألمانيا و النمسا و المجر)و دول الحلفاء(بريطانيا و روسيا و فرنسا)،كان لابد من الدولة العثمانية اتخاذ موقف حيال ذالك خاصة و أن صديقتها ألمانيا كانت ضمن أطراف الصراع ،يقول العجيلي التليلي في كتابة صدى الجامعة الإسلامية في المغرب العربي أنها رغم العلاقة السياسية التي كانت سائدة بينها و بين الدولة الألمانية إلا أنها فضلت الحياد و لم تشأ التدخل في الحرب،و لكن سرعان ما رأت التوغل الأوروبي يزداد كل مرة و لا تراجع حول المسألة الشرقية و تقسيم تركة الإمبراطورية ،جعل هذه الأخيرة تفكر في الدخول في الحرب إلى جانب ألمانيا.[2]

هذا و أنها أعلنت حالة الاستنفار العام بحجة المحافظة على حيادها تجاه من يريد الاعتداء عليها،و قد استمرت حالة الاستنفار العام ثلاثة أشهر تقريبا حيث كانت الحكومة فيها تتأرجح بين الدخول في الحرب و عدم دخولها ،وقد انقسم رجال الدولة إلى قسمين:احدهما كان يدعو إلى دخول تركيا الحرب جانب ألمانيا و الأخر يدعو إلى الوقوف

[1]-د.سهام محمد هنداوي ،التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية، المرجع السابق،ص 115.

[2]-التليلي العجيلي ،صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي(1876-1918)،ط1،دار الجنوب للنشر و الطباعة،تونس،2005،ص223.

على حياد.[1] و في الواقع كانت هناك حادثتين كان لهما الأثر الأعظم في دخول د.ع الحرب هما:

قبل اندلاع الحرب كانت تركيا قد أوصت أحد مصانع بريطانيا على صنع باخرتين حربيتين لها و قد دفعت ثمنها بواسطة الاكتتاب العمومي فتحمس الأتراك لهذا و باعت النساء حليهن و دفع الموظفون جزء من رواتبهم من اجل تسديد ثمن الباخرتين .و عند اندلاع الحرب امتنعت بريطانيا عن تسليم الباخرتين إلى العثمانيين مما أدى إلى هياج الرأي العام في تركيا و الحادثة الثانية تتمثل في أن طراداتان ألمانيتين اسمهما (غوين)و(بروسلاو) كانا في البحر المتوسط عند اندلاع الحرب فاخذ الأسطول البريطاني يطاردهما مطاردة عنيفة ثم استطاع الطرادتان من الوصول إلى مضيق الدردنيل فاحتميا فيه و بذالك تمكنا من النجاة من المطاردة البريطانية ،و كان الحياد يفرض عليها أن تطلب من الطرادين مغادرة المياه التركية خلال 24 ساعة و إلا فهي يجب أن تنزع عنهما سلاحهما و تحتجزهما في احد موانئها ،و هنا وقعت تركيا في ورطة كبيرة فهي من جهة لا تريد الدخول في الحرب و من جهة أخرى لا تريد إفساد العلاقة بينها و بين ألمانيا،فاجتمع مجلس الوزراء من اجل إيجاد حل للمسالة مع السفير الألماني عندها قرر مجلس الوزراء شراء الطراداتان من الألمان و هكذا تحل المشكلة.[2]

كما منحت لهم الجنسية العثمانية للطاقم الألماني و عينهم طاقما لطراداتان بقيادة الأميرال الألماني (سوشون)،فخلع قبعته و لبسوا الطرابيش العثمانية إعلان عن أنهم أصبحوا عثمانيين، و كان سوشون يتحين الفرصة للخروج إلى البحر الأسود من اجل التحرش بالأسطول الروسي مأمورا بذالك سرا من قيصر ألمانيا فقام بقصف بعض الموانئ

[1]–تيتة ليلى،موقف بعض الزوايا و الطرق الصوفية بالجنوب الشرقي الجزائري و تونس من مسألة مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى ،ملتقى الدولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري و تونس1881–1954،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة الوادي،أيام 3–4نوفمبر2013.

[2]–نفسه.

الروسية،ثم عاد إلى اسطنبول بدون علم الدولة العثمانية،و هنا وصلت برقية تخبر رئيس الوزراء التركي بأمر قصف الموانئ الروسية فعقد اجتماع و حدثت خلافات حول دخول د.ع الحرب و بينما هم في إيجاد حل للمشكلة صدر بيان أن الأسطول الروسي هو من بدا العدوان عل تركيا،و منه و على اثر هذا البيان عاد السفيران البريطاني و الفرنسي و تلاها إعلان روسيا الحرب على تركيا و أعلنت عليها فرنسا و بريطانيا الحرب أيضا .و هكذا تكون تركيا قد دخلت الحرب مجبرة بعد التزامها الحياد و قام مجلس الوزراء بكتابة القرار الذي شرحوا فيه ضرورة دخول تركيا الحرب.[1]

- أسباب دخول الدولة العثمانية الحرب

أن دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد دول الوفاق الودي(فرنسا،بريطانيا ،روسيا)كان راجع إلى الحرب التي اشتعلت منذ مدة و التي تعرضت على إثرها الدولة العثمانية إلى العديد من المخاطر من طرف دول الوفاق الودي ،هذا و أن الدولة العثمانية بررت دخولها بجملة من الأسباب تتمثل فيما يلي :

1-كما سبق و أن اشرنا و درسنا العلاقات الألمانية العثمانية فا الملاحظ عليها أنها كانت علاقة ودية بينهم ،و حاولت ألمانيا بشتى الطرق بناء صداقة مع الدول العثمانية و كسبها،و ذالك من خلال رفض ألمانيا في حل المسألة الشرقية و التدخل فيها مع دول الوفاق و منه عملت على التقرب من الباب العالي و كسب المساندة في الحرب.[2]

2-التقارب العثماني الألماني خاصة في مجال التجارة حيث انه كانت هناك اتفاقيات في نهاية القرن 19 و التي فتحت المجال أمام الدبلوماسية الألمانية لتغلغل في الشرق

[1]-رياض الصمد ،العلاقات الدولية في القرن العشرين ،بيروت ،د ط ،ص ص122-125.

[2]-العجيلي التليلي ،صدى حركة الجامعة الإسلامية، المرجع السابق،ص237

3-وجود العدو المشترك التقليدي للدولة العثمانية كطرف في الحرب المتمثل في روسيا مع بريطانيا و فرنسا

4-التهديدات التي تعرضت لها الدولة العثمانية من قبل بريطانيا اثر رفضها تسليم المدرعين و مبادرتهما بإلغاء العلاقة الدبلوماسية هي و حلفائها[1] .

5-حاجة الدولة العثمانية الماسة في الحصول على الدعم للوقوف في وجه الطامعين و إلى قوة أوروبية تقف إلى جنبها فرأت في ذالك الدعم ألمانيا.[2]

كذالك من بين الأسباب هي أن ألمانيا لم تسبق لها من قبل أن لمحت أي اعتداء على الباب العالي أو الدخول في مشكلة المسألة الشرقية ،خاصة و أن إمبراطور ألمانيا أعلن إسلامه ،هذا ما سنتعرف عليه من خلال الدعاية الألمانية العثمانية و أثر العلاقات على ذالك.[3]

II:الدعاية الألمانية و أساليبها

1-الدعاية الرسمية الدينية

إن التقارب الذي بدأ في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشريين بين الدولة العثمانية ألمانيا،سهل عليها الولاء العثماني و رأت أن هذا التقارب هو سلاح فعال لتصدي الدول الاستعمارية الأخرى خاصة بعد إعلان القيصر الألماني وليم الثاني اعتناقه للإسلام،حيث تعتبر هذه الرحلة الأسطورة الدور البارز في جذب الدولة العثمانية إلى المشاركة في الحرب إلى جانب ألمانيا [4] .

---

[1]- التليلي العجيلي ،صدى حركة الجامعة الإسلامية،المرجع السابق،ص239.

[2]-عبد العزيز سليمان نوار،تاريخ العراق الحديث حتى نهاية الحكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،ص302.

[3]-سنو،ألمانيا و الإسلام ، المرجع السابق،ص110.

[4]-عبد الرؤوف سنو،الجهاد صنع في ألمانيا،قناة بي بي سي،2014/11/24،ص03.

و مع اندلاع الحرب العالمية الأولى و دخول الحرب الدولة العثمانية الحرب حتى صدرت فتوى شيخ الإسلام في استانبول ،ثم لحقت بها فتوى أصدرها السلطان العثماني رشاد الخامس (1909-1917)[1] فتوى الجهاد المقدس ضد فرنسا و حلفائها ثم أعقبت عليها فتوى ثالثة وقع عليها شيخ الإسلام و ثمانية و عشرون من كبار العلماء من ذوي المناصب الدينية الكبرى [2]ليميز هذه الحرب و إعطائها الشق الديني .

و سندرس الفتوى الشريفية باعتبارها وسيلة من وسائل الدعاية الدينية الرسمية لدعاية الألمانية العثمانية ،فما هي الفتوى الشريفية؟و ما هي أهم مضامين التي جاءت بها هذه الفتوى؟و فيما تمثلت أسباب صدورها؟.

2-الفتوى الشريفية:

بعدما بررت د.ع دخولها الحرب إلى جانب ألمانيا فقد حان وقت أن تنشر التعبئة الشعبية على المستوى المحلي و العالمي لكافة المسلمين ،و من أجل ذالك بادرت إلى إصدار فتوى تتعلق بإعلان الجهاد المقدس.

-تعريفها و محتواها

حسب ما جاء به العجيلي التليلي في كتابه حول الفتوى انه اختلف المؤرخون حول صدورها و لكن ما أخذ منه أن الفتوى الشريفية صدرت يوم الجمعة 14نوفمبر 1914 و التي أصدرها السلطان العثماني رشاد الخامس و حررها شيخ الإسلام خيري بن الأكروبي [3] و جاء في كتابه أن الفتوى عقدت مع ثمانية و عشرين من كبار الأئمة و المشايخ ،جاءت

---

[1]-رشاد الخامس :محمد رشاد خان هو الابن الثالث لسلطان عبد الحميد و هو ولي عهد الرابع ،كان شاعرا و عازف بيانو ،تولى حكم الدولة العثمانية بين(1909-1918) كان له الدور الكبير في مجريات الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا أصدر فتوى الجهاد المقدس...أنظر:إبراهيم بك ،تاريخ الدولة العلية ،ط1،بيروت 1988،ص203.

[2]-التليلي العجيلي ،صدى حركة الجامعة الإسلامية ...المرجع السابق،ص237.

[3]-شيخ الإسلام العثماني من عائلة عون منافسة لبني هاشم محرر الفتوى الشريفية 1914 للمزيد أنظر:أمين الريحاني ملوك العرب ج1،ط8،دار الجبل ،بيروت 1987،ص53.

هذه الفتوى على شكل خمسة أسئلة وقعت عليها الإجابة في إيجاز بخمسة أجوبة.[1] و قد كان محتوى الفتوى الذي جاءت به لتبرر و تبرز أسباب إصدار هذه الأخيرة ،و ذالك على الصعيد الداخلي أي الجيوش العثمانية و على الصعيد الخارجي و هم الدول العربية الواقعة تحت لواء الدولة العثمانية ،و من قد جاء من جانب تعزيز و رفع معنويات الجيش العثماني و تهيئته لما جاء في قوله "**عساكرنا الشجعان و الأبطال إن الدين و الوطن صحا صيحته الكبرى و طلبنا منكم التضحية بأرواحكم من اجل نصرتهما ،أبنائنا الأعزاء ...انتم أنجال السلف الصالح التي كان يحترمهم جميع الأعداء ...فلتبرهنوا انه يوجد إلا الآن جيش و أسطول عثماني يدافعان بقوة السلاح عن راية الإسلامية و الوطن**"[2] هذا ما كان من ناحية تعبئة الجيش العثماني و تفسير أسباب الفتوى من اجل الاستجابة إلى الدعوة إلى الجهاد المقدس الذي فرض عليهم و إلى جانب ألمانيا.[3]

أما في ما يخص تعبئة د.ع للدول العربية الأخرى من اجل كسب ولائها و الانضمام إليها في مواجهة العدو ،فقد احتوت الفتوى الشريفية و الفتاوى الثلاث على مجموعة من الأسباب من اجل ذالك

1-أن الفتاوى الثلاث موجهة إلى جميع المسلمين في بقاع الأرض سواء الذين يعيشون تخت حكم الدولة العثمانية أو الخاضعين لحكم الدول"عدوة الإسلام"و هيا روسيا و بريطانيا و فرنسا و غير هؤلاء و أولائك من مسلمي العالم.

2-إن الحرب التي تخوضها الدولة هي حرب دينية تستهدف تحرير المسلمين المستعبدين ،و الدفاع عن الدولة ،و أنه قد وضح -بما لا يدع مجال للشك -أن النصارى من أعداء الإسلام يستهدفون تدمير الدولة و تحطيم الإسلام ،لان الدولة العثمانية هي دولة الإسلام الكبرى و مقر الخلافة و درع الإسلام.

---

[1]-العجيلي التليلي،صدى حركة الجامعة الإسلامية ،المرجع السابق ،ص288.

[2]-نفسه ،ص ص225-226

[3]-نفسه،ص289.

3-دعوة جميع المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها إلى الاتحاد المشترك للدفاع عن الأماكن المقدسة و المدينة المنورة .[1]

4-أن دول الوفاق الودي تحرم المسلمين من حقوقهم و أنهم معرضون للعذاب في كل وقت،خاصة و أن هؤلاء اعتقلوا جراء خوض معارك مع روسيا و حلفائها

5- اعتبار الفتوى أن مهاجمة الأعداء للديار الإسلامية و الغارة عليها مع ما ترتب على ذالك من غضب المماليك الإسلامية يفرض عليهم جميعا الجهاد استجابة لأمر الخليفة الإسلام و عملا بقوله تعالى:"**انفروا خفافا و ثقالا و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون**".[2]

6- اعتبار كل اللذين هم تحت إدارة د.ع مسؤولون بالدفاع عن الإسلام و الجهاد خصوصا أن دولة الحلفاء المحاربة لدولة الخلافة قد كانت دائما لها أطماع في الدولة الإسلامية (فرنسا في شمال أفريقيا و انجلترا و بريطانيا)الأمر الذي يتوجب الثورة و إعلان الحرب عليها .[3]

هذا ما جاءت تنص عليه الفتوى الشريفية من أجل فرض الجهاد المقدس و من أجل تبرير إصدارها و اعتبار الحرب التي تقودها د.ع و تدعوا الدول الإسلامية إلى الاشتراك فيها هيا ما هي إلا مجرد حرب دينية لا غير و ذالك ما يوجب عليهم مساندتها و المشاركة فيها.

[1]-عبد العزيز محمد الشناوي ،الدولة العثمانية (دولة مفترى عليها)،ج1،مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة،1980،ص75.

[2]-سورة التوبة،لآية 41.

[3]-تليلي العجيلي ،صدى حركة الجامعة ،المرجع السابق ،ص229.

اقتصرت فتوى الجهاد على دول الوفاق الودي و لم تذكر ايطاليا رغم حداثة استعمارها لايالة عثمانية طرابلس الغرب عام 1911 ،و الغرض من هذا الاستثناء هو حرص الدولة العثمانية و حليفتها ألمانيا على أن تكسب ود السلطات الايطالية.[1]

2-أساليب الدعاية :

عمدت ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى إلى انتهاج سياسة دينية فيها إسلامها مصداقيتها للمسلمين من أجل تحقيق أغراضها السياسية الخفية و مصالحها الاقتصادية في المشرق العربي،حيث جعلت من الإدعاءات الدينية الركيزة المهمة في تحقيق ذالك ،و ذالك بإدراك ألمانيا بمدى أهمية الدين الإسلامي عند الشعوب العربية ،و ما مدى قوة هذا السلاح في إثارة العالمين العربي الإسلامي ضد الاتفاق الودي ،مدعمة بذالك صداقتها للإسلام.[2]

حيث أن هذه الأخيرة تمكنت من الوصول إلى مبتغاها الديني السياسي و هو إقناع الدولة العثمانية أن ألمانيا الدولة الوحيدة التي رفعت راية الإسلام و تدافع عن ممتلكات المسلمين حسب اعتقادهم في المشرق العربي و ترفض تقسيم ممتلكاتها.[3]

و لعل ما قامت به هو صنع أقوى دعاية أقحمت فيها الباب العالي في تلك الحرب،و انتهجت بعدة أساليب و مضامين قوية مقنعة من أجل ذالك ،و تمكنت بفضلها التغلب على خصمها ،بحيث كانت الأساليب الدعائية الألمانية كثيرة التي عمدت إلى صد خطر الدول المتحالفة ،و أصبحت تستغل نفوذ السلطان العثماني كخليفة من أجل مصالحها و ذالك يظهر منذ الوهلة الأولى خاصة في إفريقيا و أسيا .[4] كما سبق و أن ذكرنا مدعية بذالك الإسلام و الخلافة.

---

[1]-التليلي العجيلي ،صدى حركة الجامعة ... ، المرجع السابق ،ص231.

[2]-عبد الرؤوف سنو ،**الإسلام و الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى** ،ص179.

[3]-سنو ،ألمانيا و الإسلام، المرجع السابق،ص152.

[4]-عبد الرؤوف سنو، الجهاد صنع في ألمانيا،مرجع السابق ،ص82-83.

فبعد أن تعرفنا على الدعاية الرسمية الدينية لدعاية الألمانية العثمانية و إصدارها فتوى شيخ الإسلام بحث يقو ل سنو في كتابه ألمانيا و الإسلام لقت قبولا من القيادات الألمانية و في هذا الصدد يقول رئيس وزراء بيتمان هولفغ[1] "**أن على ألمانيا ألا تحارب سلاح العدو فحسب ،و إنما عليها أن تصد أيضا دعاياتها الكاذبة حول ألمانيا و النظرة الخاطئة التي تعطى عليها و أوصى بدعايته خارج وطنه و نشرها على أكبر مساحة في العالم** "[2].

ومن هنا بدأت ألمانيا في إرسال البعثات الألمانية لتحريض العالم الإسلامي على دول العدو و خاصة في الهند و مصر و شمال أفريقا من أجل الحصول على المعلومات السياسية و الاقتصادية التي تعبر من الدول المحايدة لدول الوفاق و العمل بكل الأساليب لإقناع الشعوب المسلمة لأهمية ألمانيا و إعطاء نظرة إيجابية لها كما سنلاحظه من خلال منشوراتها و أنها دولة مناصرة للإسلام و المفككة للعزلة و الضيق التي تعاني منه الدول الإسلامية و العالم الإسلامي ،حيث عمل القنصل الألماني في دمشق بإقناع السكان بالمنافع التي يستفدون منها عند خوض للحرب إلى جانب ألمانيا [3]،و لعل من أهم الشخصيات التي لعبت دورا كبيرا في نشر الدعاية هو المستشرق الألماني أوبينهام .

أ-دور المستشرقين في الدعاية (ماكس أوبنهايم)

يعتبر المستشرق(ماكس فون أوبينهايم)[4] أحد كبار الشخصيات الألمانية التي لفتت الانتباه إلى أهمية استخدام الجامعة الإسلامية و الجهاد وصفه السلطان العثماني

[1]-**بتمان هولفغ**:رئيس وزراء ألمانيا حارب الدعاية المضادة :للمزيد أنظر سنو ألمانيا و الاسلام...،نفسه ،ص84.

[2]-سنو،ألمانيا و الإسلام ،المرجع السابق،ص90-91.

[3]-نفسه ،ص93.

[4]-ماكس فون أوبينهايم (1869-1946) مستشرق و ديبلوماسي ألماني عالم أثار ألماني ولد في 15 تموز1869 لعائلة ذات أصول يهودية مشهورة بالثراء في مدينة كولونيا الألمانية نشأ على المذهب المذهب الكاثوليكي اهتم بقراءة الكتب و أعجب بالقصص التي تصف الشرقي ،قام بعدة رحلات علمية ،كان له دور كبير في نشر الدعاية الألمانية العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى .دور المستشرق ماكس فون أوبنهام في الدعاية الألمانية للحرب المقدسة 1915-1918،دراسات استشراقية ،العدد 12،صيف 2017م .

كخليفة من أجل استمالة الشعوب الإسلامية الخاضعة لبريطانيا و فرنسا وروسيا و توظيف ذالك في انتفاضات تنهك هذه الدول و تشغل قواتها في حال اندلاع الصراع بينها وبين ألمانيا .عندما اندلعت الحرب أدرك أوبينهام ضرورة وجود مؤسسة تتولى الدعاية لبلاده بين العرب و المسلمين فتقدم بمذكرتين إلى رئيس الوزراء الألماني بيتمان هولفيغ في 18 آب 1914و مذكرة ثالثة في مطلع تشرين الأول حول أهمية تحريض المسلمين على الثورة في مناطق العدو[1].

و من أجل تحقيق ذالك كلف وزير الخارجية أوبنهايم ماكس فون برحلة إلى سورية تستغرق بضعة أشهر و كان مقرر أن يتخذ دمشق مقرا له ،حيث كانت مهمته في تأمين إيصال للمعلومات الذي يبدأ من سوريا و ينتهي بأوروبا و اتصالات أخرى يتمثل في سورية و مصر ،السودان و المناطق الخاضعة لدول الوفاق.

و من بين الأساليب التي اعتمد عليها أوبينهام لكسب ود العرب و المسلمين في سوريه هو انه أشار إلى أهمية تقديم هدية من طرف الإمبراطور وليم الثاني إلى ضريح صلاح الدين الأيوبي ووصل أوبنهايم إلى بيروت عام 1915،و عقد اجتماع من أجل تنظيم الدعاية للحفلة ،بحيث تم الاحتفال بتعليق هدية الإمبراطور بحضور أركان بارزين من السلطتين العثمانية و الألمانية،و ألقى أوبينهايم و بعض المشايخ خطبة تحث فيها على الوقوف إلى جانب د.ع و حليفتها خدمة للإسلام و الدفاع عنه.[2]

و قام بإنشاء مراكز دعائية في مختلف المدن ،فعمل على استخدام الصحافة المحلية في سوريا لأغراض ألمانية للإفادة من الدعاية الألمانية في سوريه بشان الأسرى المسلمين في ألمانيا ،و العمل على إنشاء صحف جديدة و دعم الحملة العثمانية المنشودة على الهند

---

[1]– عبد الرؤوف سنو ، "الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى "،بحوث تاريخية بيروت،دط،2002،ص179–1254.

[2]–دور المستشرق الألماني ،دراسات إستشراقية،نفس المرجع السابق،ص132.

وتجنيد المتصوفين و أئمة المساجد و أعيان و شيوخ العشائر و كسب العملاء الناشطين والسهر على ترويج للأخبار عن قوة الاقتصاد الألماني بما يخدم مصالحها[1]

كما لا ننسى أعماله المهمة و التي من أبرزها محاولة كسب ولاء إشراف مكة و هذا قبل التأكد من دخول الدولة العثمانية الحرب جانب ألمانيا ،و لاحظ بان تلك العلاقات قائمة بين دول الوفاق الودي و شريف مكة كانت تهدف إلى إنشاء خلافة مستقلة عن الدولة العثمانية ،و ازداد تأكده من ذالك حينما تجاهل شريف مكة مساندة الهجوم الألماني غلى قناة السويس[2]

طرح أوبينهايم في بداية عام 1916فكرة جديدة تقتضي لإرسال بعثة ألمانية عثمانية عن طريق الحجاز و اليمن من اجل إقامة مركز للدعاية الإسلامية التي تستهدف إثارة السودان و شرق أفريقيا ضد دول الوفاق لكن أنور باشا لم يكن مؤيدا للفكرة و أخبر الملحق العسكري بان سمر البعثة الألمانية عبر المدينة المنورة و مكة المكرمة سيكون مستحيلا و رغم تلك التحضيرات تمكن أوبينهام من إقناع القيادة و تنفيذ مشروع في النهاية فان الدعاية الألمانية التي قادها أوبينهايم لم تحقق النتائج المرجوة ،فقد كان الافتراض أن الإسلام هو الرابط الموحد للمسلمين في ألمانيا كان افتراضا خاطئا و من جهة أخرى فان فشله يتجلى في عدم قدرته على الحصول على تأيد الشريف في الحرب .

-المنشورات:

تعتبر المنشورات من أهم الوسائل التي لجأت إليها ألمانيا و الدولة العثمانية من أجل نشر دعايتهما على مستوى العالمين العربي و الإسلامي ،بحيث عكفت الحكومة التركية بالتعاون مع المستشرقين الألمان على طبع تلك الفتاوى التي أصدرت الثلاث مع تعليقات دينية عليها في كتيبات و منشورات للتأثير على الجماهير التي تعتنق الإسلام ،و كتبت

[1]-عبد الرؤوف سنو،ألمانيا و الإسلام ،مرجع سابق،ص ص100-101.

[2]- نفسه،ص131.

بجميع اللغات التي كان يتكلم بها المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي ،و هربت إلى مصر و السودان و الهند و فارس و أفغانستان و فضلا عن شمال أفريقيا ،و اختلف أسلوب هذه الكتابات و المنشورات :

بحيث كان بعضها يحرض الجنود على الهرب من جيوش بريطانيا و حليفتها و بعضها يدعو إلى قتل و الاغتيال و غيرها من الاعتداءات الفردية ،و بعضها كان يطالب من المسلمين الامتناع عن تقديم أية مساعدة للدول عدة الإسلام حتى لا يكونوا معرضين لعقوبة الإعدام ،و لكن جميع هذه المنشورات تتفق في إبراز فكرة واحدة و هي أن الإسلام معرض للأخطار بسبب أطماع بريطانيا و حليفاتها ،و ان الجهاد في سبيل الدفاع عن الإسلام أنما هو فرض عين على كل مسلم بالغ و قادر .[1]

و من المناشير تلك التي تحدثت عن ولاء المصريين لدولة الخلافة و حثت الشعب المصري على الثورة ضد بريطانيا ،و خاطب منشور أخر يحث المصريين على النهوض من سباتهم و أعلن الثورة ضد الانجليز مستفزا حميتهم الإسلامية و الشرقية بالقول"**أيها الشعب المصري و أبناء الإسلام جميعا ،هل لكم أن تنهضوا من رقادكم ،و تفيقوا من سكركم و تذبوا عن حيطتكم و تعملوا إلى تحريركم من يد الظالم المستبد لكم الذي قضى على بلادكم و بيتكم و إحاساسكم الشرقي و سيقضي على أعقابكم مادمتم تحت نبر العبودية ترتعون**".[2]

أما بالنسبة إلى المغرب الأقصى اعتمد الألمان بسهولة على تحريض مسلمي المغرب ضد فرنسا و ذالك بسبب سياسيتها التعسفية اتجاه السكان بعدما حطمت تلك الدولة سمعة المخزن و الحكومة الشريفة و نفوذ الطرق الصوفية هناك ،و قد شكلت المغرب بالنسبة إلى فرنسا الأهمية القصوى لنشر الثورات في شمال أفريقيا بسبب موقعها الاستراتيجي ،و في

[1]–الشناوي ،الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج1،المرجع السابق ،ص76.

[2]– سنو،سياسة ألمانيا الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، المرجع السابق،ص104.

تقرير أوبينهايم ذكر أن إيصال السلاح هناك سوف يدفع الناس للثورة ضد فرنسا و على الرغم من أنه لن يتوقع حدوث ثورة عارمة ألا أنه اعتقد أن الثورات متفرقة ستحدث و تشغل الفرنسيين و يكون لها التأثير على الدول الأخرى المجاورة كالجزائر و تونس .[1]

و في الجزائر عثر على منشور دعائي صادر باللغة الألمانية الكلاسيكية و هو منشور موجه لجنود اللفيف الأجنبي من الألمان و النمساويين العاملين في الجيش الفرنسي ،يقع المنشور في صفحتين و يعلوه نداء بارز بالغة العربية (الدارجة الجزائرية)جاء فيه "أوضعوا هذا الجواب في يد الألمانيين اللذين هم مستخدمون في الجيش الفرنساوي و يتضمن المنشور بعض المعطيات الحربية الميدانية في جهات القتال و التي تشير إلى أنها في صالح دول الوسط بقيادة ألمانيا و خاصة الجبهة الشرقية ضد روسيا إضافة إلى الإشارة إلى الالتفاف الذي حصل بين أحمد السنوسي و الأتراك بفتح جبهة شمال أفريقيا بمساعدة الألمان .[2]

و هذا و قد عمدت الحكومة التركية إلى إيفاد بحوث دينية تؤكد بالقول و اللسان ما تضمنه الكتيبات المنشورات و البلاغات الرسمية كي يكون لها المزيد من التأثير في نفوس المسلمين و كان الرسل في شتى الفئات من بينهم وعاظ متجولين ،و علماء ذو ثقافة دينية ،محرضون محترفون و انتشروا في جميع البلدان التي كان في استطاعتهم التسلل إليهم فدخلوا الأقاليم الأفريقية التي كانت تحت حكم بريطانيا و فرنسا و ايطاليا مثل مصر والسودان و طرابلس و تونس و الجزائر ،كما ركزوا جهودهم على الشعوب الإسلامية من غير الأتراك رغبة في استمالتها إلى تلبية دعوة الجهاد الديني ،فمهدوا نشاطهم الدعائي إلى الهنود و أفغانستان و في مقدمة هؤلاء العرب تطلب منهم المسارعة إلى الجهاد دفاعا عن الإسلام و عن الأماكن المقدسة .[3]

---

[1]–سنو ،**سياسة ألمانيا في حوض البحر الأبيض المتوسط** ،المرجع السابق ،ص231.

[2]–أعمال الملتقى الوطني الثاني ،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى 1914–1918في الذكرى المئوية لاندلاع الحرب 18–نوفمبر2018،جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة،دار التل لطباعة ،البليدة،الجزائر،ص163.

[3]–محمد الشناوي ،الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، المرجع السابق ،ص77.

-إنشاء الوكالات:

من بين الأساليب الدعائية التي اتخذتها الدعاية الألمانية من اجل نشر دعايتها عبر العالمين العربي و الإسلامي هي إنشاء وكالات الأنباء و تحريرها و نقلها بالغة المسلمين (العربية ،العثمانية ،الفارسية،و الهندية)و قامت أيضا بمراقبة الصحافة المحلية و الدولية و البريد الوارد من المشرق إلى الوزارات الألمانية و تقديم ملاحظات إلى الصحف العثمانية و الشرقية ،حيث أصبحت هذه الوكالات تقوم بعرض الأفلام الدعائية و تدريس اللغة الألمانية ،إذ اعتبرت سفراء ألمانيا أن المدرسين الألمان هم اكبر عامل مساعد على نشر الدعاية في كلتا المجالين السياسي و الاقتصادي ،و رأوا أن القناصل الألمان مكانهم ان يتولوا توزيع مواد الدعاية في المشرق و المغرب.[1]

و لعل من ابرز المؤسسات و أهمها هي مؤسسة اوروذدي باك[2] النمساوية تعتبر من أهم المؤسسات الدعائية في الآستانة و دول المشرق(حلب ،بيروت،القاهرة) ،سار عمل وكالة أخبار الشرق عبر أربع مجالات من جهتها القتال مع العدو و من جهة أخرى التأثير النفسي في أسرى الحرب المسلمين في المعتقلات الألمانية و التحاقهم بالجيش العثماني و الاهتمام بنشر الدعاية في الدول المتحالفة و إقامة علاقات شخصية مع دوائر شرقية و قيام بدعاية في ألمانيا نفسها.[3]

عملت هذه الوكالة أيضا على ربط الصحافة الألمانية بالصحف المحلية الموجودة في الأستانة هذا لتزويدها بكل الأخبار و مجريات الحرب و لمعرفة كل أخبار المسلمين في الآستانة و خارجها و عملت على فصل الجزء الفرنسي عن الجزء الألماني و ذالك يظهر

---

[1]-سنو،ألمانيا و الإسلام ،نفس المرج السابق،ص95.

[2]-مؤسسة اوذدي باك :النمساوية من اهم المؤسسات الدعائية في الآستانة و دول المشرق .للمزيد انظر:سنو،ألمانيا والإسلام...،نفس المرج السابق،ص92.

[3]- نفسه،ص 94.

من خلال جريدة osmanicherlloged[1] و قامت وكالة أخبار الشرق بنشر عدة صحف و نشرات خاصة بالغة الألمانية في سنة 1915م من اجل تعميم و نشر الدعاية السلمية .

أما الوكالة الثانية هي وكالة الصحف الإسلامية التي تأسست في باريس و التي جاء جراءها العديد من الصحف منها صحيفة dieislmischewl و صحف عربية أخرى مثل العهد و الرأي العام و الشرق[2] الاتحاد العثماني و صحيفة جورنال دوبيروت [3]

هذا و عملت ألمانيا من جهة أخرى في نشر دعايتها على إنشاء معسكر نصف القمر وهو عبارة عن مشروع قام به أوبنهايم من اجل تنفيذ حملة دعائية مدبرة من شانها أن تثير انتفاضة أعداد ضخمة من المسلمين ضد بريطانيا و فرنسا من الأراضي المستعمرة مثل الهند و الهند الصينية كما سبق و أن أشرنا إلى ذالك ،حيث يقوم هذا المعسكر على أساس التعامل الكريم مع الأسرى الحرب الذين قاتلوا في الحرب العالمية الأولى ،و الذين وقعوا بين أيدي الألمان ليكونوا محور مشروع للأوبينهايم رفقة العثمانيون ،و يقوم المشروع على تحويل المحاربين لدى الجيش البريطاني و الفرنسي إلى جهاديين يدينون بالولاء لهم، و قد ساهم هذا الحدث في التأثير على الدعاية حيث اعتمد معسكر نصف القمر على توجيه حملة دعائية للأسرى بحيث كانت تظهر لهم المساجين و هم يمارسون الرياضة و الشعائر الدينية و يشاركون في ذبح الحيوانات للحصول على اللحم الحلال ،بحيث كان اكبر التحف هو المسجد الخشبي المبني على الطراز العثماني و قد تم بنائه لإثبات أن ألمانيا صديقة الإسلام و المسلمين ،فلم يكن المسجد مبنيا على أساس ديني و إنما كان بنازع دعائي أو

[1]–هي جريدة تأسست في الدولة العثمانية ،جاءت لمواجهة دعاية الوفاق الودي و فيها فصل الجزء الفرنسي عن الألماني و كانت تعمل على إيصال أراء الألمان المثقفين العرب و الأتراك و تزويد الوكالات و الصحف العربية بالأخبار .للمزيد أنظر:سنو ،ألمانيا و الإسلام ...مرجع نفسه ص96.

[2]–جريدة أنشأها اوبينهايم و اشرف عليها محمد كرد علي ،وصفها اوبينهايم بأنها الأوسع انتشار في سورية مما ينعكس إيجابا على الدعاية الألمانية .للمزيد انظر:سنو ،ألمانيا و الإسلام ،نفس المرجع السابق،ص97.

[3]–صحيفة نشرت في بيروت جاءت نسبة إلى صاحبها جرجى حرفوش ،تؤيد السياسة الألمانية و تحصل على دعم مالي من البنك الألماني ،تنشط كوكالة للإشراف على التزامات و المبيع على الطرقات.للمزيد انظر:سنو ،ألمانيا و الإسلام ...مرجع نفسه،ص99.

من اجل تحقيق غرض إدعائي استكمالا للحملة الدعائية التي تقوم بها ألمانيا ،و قد تكفل مكتب نصف القمر بنشر الشائعات أن المسجد تم بناءه من مال القيصر الخاص و يضيف الكاتب روغان أن الندوات و المحاضرات كانت تقام للسجناء بشكل عام حيث كان يستغل يوم الجمعة لإيصال الرسائل السياسية فلم يكن بغرض العبادة إنما مكان لإعطاء غطاء ديني للرسائل السياسية.[1]

وإلى جانب هذه الوسائل سعت ألمانيا استغلال العامل الديني لتصبح ألمانيا بذالك تحتك بذالك على العنصر الإسلامي ،و عندما شعرت هذه الأخيرة بانتشار الطرق الصوفية في شمال أفريقيا و درست أهميتها الدينية و الاجتماعية و حتى السياسة في العالم الإسلامي أنها تشكل بذالك خطرا عليها إن لم تكسب ألمانيا هذه الطرق و محاولة استمالتها فهي بمثابة سلاح ذو حدين إما كسبها إلى جانبها لتصبح ورقة رابحة و إما تكون ضدها لتصبح الورقة الخاسرة لألمانيا ،و بشعورها بالخطر على مصالحها في شمال أفريقيا من الحركات الإسلامية و التي كانت من بينها الحركة السنوسية التي برزت بشدة في الثورات ضد الاستعمار و كذالك الحركة المهدية و منه حاولت ألمانيا في التقرب إلى الطريقة السنوسية و ذالك بعدما تبين للألمان أن الشيخ المهدي السنوسي يعترف بعبد الحميد الثاني كخليفة لان سياسته تنسجم مع الشريعة و مبادئها و أن السنوسية لا ترحب بوساطة السلطان العثماني لمصلحة المسيحيين ،و أن السلطان عبد الحميد لا يستطيع إقناع السنوسيين بأن الإسلام لن يصاب بأذى في أفريقيا جراء السياسة الألمانية .[2]

و ما نستخلصه في خاتمة الفصل أن العلاقات الألمانية العثمانية التي كانت تسودها الصداقة و التعاون بين البلدين و خاصة إعلان ألمانيا سياستها الإسلامية نحو الشرق و الدول العربية ،فلم تكن صداقة حقيقة و إنما مبنية على مصالح كلا الطرفين ،فإن ألمانيا من

[1]–أعمال الملتقى،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق،ص183–184.

[2]–سنو،ألمانيا و الإسلام، المرجع السابق،ص ص221–123.

جهتها كانت تبحث و بحاجة ماسة إلى إيجاد حليف لها في الحرب العالمية الأولى أو قبل ذالك في أي حرب تقع ،فسياستها الإسلامية كانت مجرد إستراتيجية لتحقيق تلك الأهداف و التوغل في المشرق هذا من جهة ،و من جهة ثانية هيا الحفاظ على مصالحها في المشرق العربي بالتقرب إلى الدول العثمانية التي كانت تنطوي تحت ولاءها عدة بلدان.

هذا و أن ألمانيا إلى غاية توحدها لم تكن قوة كبيرة من ناحية الاقتصاد أو غيرها و حتى عام توحدها بدأت تظهر كقوة اقتصادية ناشئة ما جعلها تبحث عن طرقات لتصريف إنتاجها ما جعلها تعقد مع الدولة العثمانية مشاريع حديدية أبرزها مشروع الحديدي سكة برلين بغداد ،في المقابل أراد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني النهوض باقتصاد بلده بالتعاون مع ألمانيا التي أصبحت بمثابة قوة اقتصادية بعد توحدها من قبل إمبراطورها بيسمارك

اهتمام ألمانيا بالمسالة الشرقية و منع التدخل فيها بموجب مبدأ الحفاظ على الدولة و عدم تقسيم أملاكها إنما هو عبارة عن محاولة ألمانيا لفرض السيطرة على الدولة العثمانية بطريقة غير مباشرة أو إن صح التعبير بطريقة سلمية ،فرأت في تقسيمها ما لا يخدم مصالحها و ليس دفاعا عن الدولة العثمانية كما كانت تعتقد، و من جهة

أخرى أرادت الدولة العثمانية أيضا البحث عن سند لها للصد من أطماع الدول الأوروبية في أملاك الدولة العثمانية المعادية للإسلام و اعتبار ألمانيا صديقة الإسلام فدخلت الدولة عثمانية الحرب متخذة بذالك عدة أ سباب وذرائع.

أما في ما يخص الدعاية الألمانية العثمانية التي عمل كل الطرفين إلى تحقيقها و التي كان لهدف منها هو جلب أكبر الدول العربية إلى جانب ألمانيا في حربها بحجة الدفاع عن الإسلام و أن الدولة العثمانية هي خليفة المسلمين و فرض الجهاد المقدس واجب ،يمكن أن نقول أنها استطاعت نوعا ما تحقيق بعض النتائج لكن لم تتوصل هذه الدعاية إلى النتائج المراد تحقيقها خاصة بعد فشل مشروع أوبينهايم ،الذي هو صاحب فكرة نشر دعاية

إسـلامية نحـو المشـرق ،و ذالـك لأن اوبينهـايم هـو فـي الأصـل ذو أصـول يهوديـة،كما أن الدعاية كانت مقتصرة فقط على فرنسا و بريطانيا بينما أهمل الجانب مهم و هو أن إيطاليا أيضا كانت من الدول التي احتلت دول إسلامية و التي كانت في صف الحلفاء.

الفصل الثالث

موقف الطرق الدينية من الدعاية و الدعاية المضادة في الجزائر

I: فرنسا في مواجهة الدعاية الألمانية– العثمانية

II: الشيوخ الرسميون و الفتاوى لصالح فرنسا

الفصل الثالث:موقف الطرق الدينية من الدعاية و الدعاية المضادة في الجزائر:

من خلال هذا الفصل الأخير الذي يعتبر محور دراساتنا سوف ندرس فيه كيف واجهت فرنسا دعاية الألمانية العثمانية في الجزائر و هل حققت النتائج التي كانت ترتمي إليها ،و لذالك تطرقنا قبل كل شيء إلى معرفة ما إن كانت هناك دعاية ألمانية –عثمانية في الجزائر و ما مدى صداها،و منه سنتعرف على أهم المواقف المحصل عليها و ذالك باعتماد على أهم مصدر لدينا و هو مجلة العالم الإسلامي و عليه يمكن طرح الإشكال التالي:كيف كانت مواقف الطرق الدينية من هذا الصراع في الجزائر؟.

I-فرنسا في مواجهة الدعاية الألمانية- العثمانية :

1-الدعاية الألمانية- العثمانية في الجزائر:

عرفت الجزائر كبقية الدول الأخرى خلال الحرب العالمية الأولى انتشار دعاية ألمانية عثمانية حيث كما و سبق و أن أشرنا حول أهداف هذه الأخيرة هي أنها تريد مساعدة دول شمال أفريقيا على تحريرهم من الاستعمار الغاشم الفرنسي ،و لكن الواقع كان هدفها هو خلق صعوبات و مشاكل لفرنسا داخل مستعمراتها و ذالك لكي يساهم في إضعافها ،فالدعاية العثمانية الألمانية لقيت أرضية خصبة في الجزائر و ذالك نظرا لتزامن الفترة مع أهم قضية كانت تلقى معارضة كبيرة من طرف الأهالي و سخطا على السياسة الاستعمارية و المتمثلة في قضية التجنيد الإجباري [1]حيث يعتبر قانون التجنيد الإجباري الذي صدر في 3فيفري 1912 منعرجا حاسما في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية و ذالك لما رافقته من مناقشات حادة سواء في باريس أو في الجزائر و ذالك منذ أن طرحه السيد ميسمي على البرلمان الفرنسي للمصادقة عليه سنة 1908[2].

و منه كانت الدعاية الألمانية العثمانية منتشرة في الجزائر من قبل الحرب العالمية الأولى حيث أكد الكاتب الفرنسي ديبارمي سنة1915مايلي "إن المنة الجزائر بدأت خلال خمس عشرة سنة الماضية"و ذالك عن طريق الجواسيس اللذين ترددوا على الجزائر كثيرا لاسيما السنوات الأخيرة و يؤكد كاتب أخر فرنسي و هو أوغسطين برنارد Augstin

[1]ناصر بلحاج ،دور الدعاية العثمانية الألمانية في رفض التجنيد الإجباري و الدعاية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ،العدد2008،3،جامعة غرداية ،ص1.

[2]محمد صالح بجاوي ،متعاونون المجندون في الجيش الفرنسي 1830-1948م.دط،دار القصبة لنشر ،الجزائر 2009،ص149.

Bernard أن هؤلاء الجواسيس حاولوا إظهار ألمانيا بمظهر حسن و ربطوا علاقات جيدة مع الأهالي [1]و حاولوا تحريضهم للثورة ضدهم

و منه حاولت ألمانيا أن تثير الأهالي ضد فرنسا و تدفعهم بالقيام بالثورة ضدهم مستغلة بذالك التحالف السلطان العثماني مع القيصر الألماني و انتشرت الدعاية في الجزائر بصفة خاصة ،حيث نشر كل من الأفغاني [2]و محمد عبده[3]في صحيفتهما العروى الوثقى أفكار تحررية معادية للاستعمار و دعا إلى الجهاد في سبيل القومية الإسلامية التي تجمع المسلمين[4]

ففي الجزائر كانت الدعاية مختلفة نوعا ما بحيث أنها كانت تركز و تحث الجزائريين على عدم التجنيد في الجيش الفرنسي بحيث كان صدى الدعاية العثمانية ظاهرا و يظهر ذالك من خلال أصوات الهاتفة "تحيا الجزائر تحيا اسطنبول ،تسقط فرنسا "في أواخر سنة 1914 بمدينة سطيف[5]

أ/-مظاهرها :

في ورقة من كتاب أعمال الملتقى الوطني الثاني الجزائريون و الحرب العالمية الأولى لدكتوران أ-محمد دراوي و عبد القادر دوحة تحت عنوان الدعاية الألمانية في الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى جاء فيها أن أن الدعاية العثمانية في الجزائر تعود

---

[1]- ناصر بلحاج،**دور الدعاية العثمانية**،الرجع السابق،ص3.

[2]-جمال الدين الأفغاني من مواليد سنة 1838م بكال بأفغانستان التي نشأ بها ،ثم جال في الشرق و الغرب داعيا إلى وحدة المسلمين و مناهضة الاستعمار ، من أثاره الأدبية أبطال مذهب القرويين ،كما اصدر رفقة الشيخ محمد عبده مجلة العروى الوثقى في باريس سنة 1884،توفي سنة 1897،أنظر:الزركلي خير الدين ،ج6،طبعة 11،بيروت ،لبنان 1995،ص186-189.

[3]-الشيخ محمد عبده: ولد في 1849م بمصر ،خريج جامعة الأزهر و من علماء المسلمين الداعين إلى التجديد و الإصلاح ،حرر جريدة الوقائع المصرية ،و ناوأ الانجليز فنفي ،أصدر رفقة جمال الدين الأفغاني مجلة "العروى الوثقى"بفرنسا، انتقل إلى لبنان حيث اشتغل بالتدريس و التأليف، أهم أعماله شرح نهج البلاغة و تفسير القرآن و كتب مقالات كثيرة ،أنظر:الزركلي خير الدين ،المرجع السابق،ص252.

[4]-ناصر بلحاج، **دور الدعاية العثمانية** ،المرجع السابق،ص3.

[5]- Meynier Gilbert ,L'Algérie Révélée, La guerre de 1914-1918,le premier quart du XX(20) siècle, éditions el-maarifa,2010,p623.

إلى مطلع القرن العشرين ففي 1901 عثرت السلطات الفرنسية على رسالة تحريضية موجهة إلى سكان بلاد القبائل تحمل توقيع أحد الألمان المدعو "ريتشر"إلى زميل له هو "إدوارد ريتر "يدعه غلى تكييف الاتصال بوجهاء الطرق بمنطقة القبائل بغرض إثارة المنطقة ضد الفرنسيون و اخبره بإرسال صورة لانهيار الأسطول الفرنسي في المياه التركية ،و أشارت صحيفة le gaulois على لسان أحد المسافرين العائدين من الجزائر حيث طاف بعدد من المناطق بإقليم قسنطينة و المناطق الجنوبية الخاضعة للحكم العسكري أنه قال"اندهشت من وجود عدد هائل من الصور الدعائية الملونة و هي ألمانية الصنع منشورة في أسواق المقاهي العربية و تحمل مشاهد لمواجهات بين المسلمين و النصارى و تظم انتصار جيش محمد على الجيش الرومي"[1]و تشير الوثاق و التقارير إلى أن عدد معتبر من الموارد الدعائية كانت تأتي من مصر و طرابلس الغرب شرقا و من إسبانيا و من منطقة المغرب الأقصى غربا ،ففي منطقة الريف كان الأمير عبد الملك بن عبد القادر الجزائري [2]يعمل لدى الأتراك على تأسيس ثورة لمقاومة الفرنسيين انطلاقا من بني منارة في منطقة الريف الغربي و وضع خطة مشتركة مع سفير ألمانيا بمدريد لفتح جبهة حربية[3]

-الكتب و المنشورات:

امتازت الدعاية الألمانية العثمانية في الجزائر كغيرها من البلدان بتوظيف الإعلام و الإعلاميين توظيفا يمكن اعتباره نقلة نوعية في هذا المجال ،و بإضافة إلى الصحف فقد اجتهدت أجهزة الإعلام و الاستخبارات لطبع الكتب و المنشورات و التحريضية على أوسع نطاق ،و قد تم تداول المنشورات و تيسيريها عن طريق المهاجرين و الحجاج و حتى

[1]-أعمال الملتقى ،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى،المرجع السابق،ص161.

[2]-عبد المالك بن عبد القادر: هو الإبن الثاني ما قبل الأخير للأمير عبد القادر الجزائري اشتغل عقيدا في الجيش العثماني ومع ذالك سعت فرنسا لأستمالته ،فعرضت عليه دخول الجزائر و الانخراط في صفوفها و هو ما تم فعلا لكنه لم يفعل ذالك عن قناعة نفسه ،أنخرط في صفوف الجامعة الإسلامية و قاد المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ،أنظر:أبو قاسم سعد الله ،أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ،ط2،الجزائر ،1986،ص127.

[3]-أعمال الملتقى ،المرجع السابق،ص162.

التجار و المثقفين و الجواسيس و غيرهم و كانت السلطات الفرنسية قد نجحت في إيجاد عدة منشورات دعائية موجهة للجزائريين التي كانت تدعوهم للثورة و التمرد و العصيان[1].

2-إجراءات الفرنسية ضد الدعاية الألمانية العثمانية:

بعدما سمعت السلطات الفرنسية بوجود دعاية تحاول أن تنشر داخل مستعمراتها من طرف الدولة العثمانية و حليفتها ألمانيا ،سارعت إلى اتخاذ إجراءات و إصدار حالة طوارئ في كل الجزائر،فبعدما عرفت هذه الأخيرة دعاية ألمانية نشيطة داخلها سرعان ما عملت السلطات الفرنسية بذالك سارعت إلى اتخاذ إجراءات حيال ذالك بحيث شكلت الجزائر موضع خطر بالنسبة لها و ذالك بسبب الوضع الذي كان يسودها .

-في الجزائر:

و كبقية البلدان الأخرى لم تتسامح الإدارة الفرنسية في الجزائر يوما اتجاه المنشورات و الشخصيات الأجنبية بل حتى الشخصيات الجزائرية التي كانت تبدي تعاطف مع الأفكار الأجنبية حيث قامت بإجراءات فورية و كان ذالك على مستوى الحج حيث قام الحاكم العام بإصدار قرار 1908 يمنع فيه الجزائريين من الذهاب إلى الحج و ذالك بذريعة الخوف عليه من انتقال الأمراض المعدية كمرض الطاعون ،و في الحقيقة فإن السبب في عزل الجزائريين ليس هو عزلهم عن الأمراض و إنما كان هدفها هو عزلهم عن التأثير العثماني و فكرة الجامعة الإسلامية ،خاصة أن أفكار الجامعة كانت تنتشر بكثرة هناك[2]و من بين أفكارها أنها تدعوا إلى عدم قتال المسلم لأخيه المسلم ،كما سبق و أن اشرنا إلى الدعاية أ-ع أنها كانت تحاول نشر دعايتها عن طريق الحجاج و التأثير عليهم هذا ما جعل السلطات الفرنسية تتخوف من ذالك و تقوم بإجراءات فورية على مستوى الحج ،و في الحقيقة إن الحج قد منع عدة مرات و كانت الحجج نفسها تقريبا و من الأعوام التي منع

[1]-أعمال الملتقى ،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى...،المرجع السابق ،ص164.

[2]-سعد الله أبو قاسم ،الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2،دار العرب الإسلامي ،بيروت ،ط1،ص106.

فيها الجزائريون عن الحج نذكر سنوات :1903-1904-1908-1910-1911-1912[1]

أما فيما يخص المنشورات و الصحف فقد كان لها نصيب في تشديد الرقابة عليها في الجزائر ،بحيث قام الحاكم العام ابتداء من 17أوت 1940الى إصدار تعليمات تقضي بمنع جولات مختلف المنشورات العربية و الأجنبية بالبلاد و تكليف البريد و الجمارك بحجزها و توجيهها إلى المصالح الترجمة كما حدث في تونس[2]حيث أنها شددت الرقابة على حرية الأشخاص و المنشورات و ذالك في إطار الحفاظ عل الأمن العام و حتى لا تصل إلى الأهالي معلومات حول الحرب إلا بالصيغة التي يريدونها و المناسبة التي تحددها الإدارة الفرنسية حيث تولت جريدة الزهرة[3] تأمين ذالك، و منه فإن وزير الحربية اقترح على وزارة الخارجية عرقلة حج المسلمين شمال أفريقيا ،خلال الحرب العالمية الأولى لأنهم سوف يتأثرون بالتحريض العثماني حيث ورد في مراسلته "لا شك أن تعصبهم قد أنفجر بتحريض من أعوان تركيا"و اقترح على بريطانيا أصدر أوامر تمنع تنقل الحجاج و تشديد الرقابة على الحدود الشرقية في مصر[4] بحيث استغلت من جهة أخرى صحيفة "المبشر" و" أخبار العرب" و "النصيح" و "التصاوير"لتأثير على الأهالي الجزائري و إقناعهم بقوة فرنسا ،كما شجعت دخول الصحف العربية المعادية للأتراك خاصة جريدة "المقطم"التي كانت السلطات الفرنسية تقوم بتوزيعها على الأعيان و الشخصيات المرموقة لما تحتويه من سخرية من الأتراك في إطار تشويه صورة الأتراك و إحداث قطيعة جذرية

[1]-سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية...،المرجع السابق ،ص106.

[2]-التليلي العجيلي ،صدى الجامعة الاسلامية ،المرجع السابق،341.

[3]-صحيفة رسمية أصدرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية بالغة الفرنسية و العربية لتكون همزة وصل و اتصال بينها و بين الاهالي ،توقفت عن الصدور سنة 1927 لتحل محلها الجريدة الرسمية في الجزائر،أنظر:الزبير سيف الإسلام ،تاريخ الصحافة في الجزائر ،الجزائر،الشركة الوطنية لنشر و التوزيع،ص112-129.

[4]-شارل روبر اجرون ،الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871-1919،ج2،تر:م-حاج مسعود -ع.بلعربي ،دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،د ط ،2007،ص851.

بينهم وبين الأتراك و فضح لسوء سياستهم[1]،فبعد حادثة القنبلة الطراداتين الألمانيتين "غويت "و "بروسلا و" فجر يوم 14أوت 1914لمينائي عنابة و فيليب فيل أعلنت فرنسا فرض الحصار على كامل التراب الفرنسي في حين وجهت إلى الجزائريين نداء وضحت فيه أن الساعة الحاسمة قد دقت و أن ألمانيا شنت على حد قولها عدوانها على فرنسا المسالمة داعية الجزائريين إلى الدفاع عنها إلى حد الموت [2] و فيما يخص ما جاء في البلاغ لتبرر فرض الحصار على الجزائر و فرنسا "..أيها المسلمون إن حالة الحصار الإدارة العرفية قد مثلت في كافة البلاد فرنسا و الجزائر و أن الجمهورية تعمل بحزم لتأييد النظام و الأمن في كافة الجهات ،ساعدونا في هذا العمل ،و ابذلوا جميع النصائح المعقولة توطدوا في إعانتنا و كونوا إخواننا و تذكر وان فرنسا في منذ القرون و الأجيال كانت دائما بجانب الحق و الصداقة و العدالة[3]

-في تونس:

قامت السلطات الفرنسية بتونس إلى منع التجمعات المعمرين و التي على إثرها يتم الترويج للدعاية و الإشاعة التي تطلقها الدولة الألمانية مثلا كإشاعة حول إمكانية تعرض تلك البلدان المستعمرة إلى عملية إبادة و بالتالي تحاول تزويدهم من طرف ألمان بمستودعات السلاح،من اجل التحريض عليهم و الدفاع عن أنفسهم ،و و منه اتخذت فرنسا إجراءات وقائية تحسبا إلى نشوب أي أعمال تخريب و شغب كافتعال الحرائق المقصودة هذا و قد اتخذت السلطات الفرنسية حيال ذالك إجراءات على مستوى الصحافة فهي الأخرى شددت عليها الرقابة بحيث فرضت عليها رقابة عسكرية ،حيث وصل بها الأمر إلى التدخل في كل مل ينشر من ذالك مثلا أنها قامت بمصادرة مقال عن

[1]-التليلي،صدى حركة الجامعة ،المرجع السابق،ص370.

[2]-نفسه،ص341.

[3]-أعمال الملتقى ،المرجع السابق،ص90.

الحج،كانت وزارة الخارجية نفسها قد سمحت به و سلمته إلى جريدة la dèpech tunisiene ،كما بادر المقيم العام من جهته إلى منع الجرائد الأجنبية من دخولها البلاد حتى انه أصبحت للحكومة الحق في التدخل بالجرائد ،على حد شاهد عيان آنذاك يقول التليلي نقلا عن الشاهد بان التونسيون لم يمنعوا عن التفكير فحسب ،بل منعوا حتى من قراءة ما يفكر به الآخرون و ذالك بمنعها من الجرائد و المطبوعات الأجنبية من دخول تونس.[1]

لقد أحصت سلطات الاستعمار الفرنسي على الناس أنفسهم بتركيزها لشبكة تجسس و بوليس محكمة التنظيم و ضيقت من خلالها على التفكير و الرأي بملاحقتها و إرعابها ،بحيث تكتفي فقط وشاية شخص ليزج به في السجن أو النفي أو إبعاده عن أهله و حجز ما يملك[2].

3-الدعاية الدينية الرسمية لفرنسا

عملت فرنسا منذ بداية الحرب العالمية الأولى على نشر دعايتها بين الجزائريين للتجنيد في صفوف جيشها من جهة و لرد على الدعاية الألمانية العثمانية من جهة أخرى ،فبمجرد اندلاع الحرب وجه الحاكم العام على الجزائر بيانيين احدهما موجه إلى المستوطنين و الأخر إلى الأهالي الجزائريين المسلمين و اللذين دعاهم فيه إلى حماية وطنهم الأم على حد تعبيرهم و نصحهم بأن لا يستمعوا إلى الدعاية الألمانية المخادعين ،حيث استجاب لهذا النداء الجزائريون الموالون لفرنسا في تحريرها ما جعل الإدارة الفرنسية تدعي أن الجزائريين موالون لفرنسا في حربها[3]و بعد دخول الدولة العثمانية و إعلانها الحرب و الجهاد المقدس ضد أعداء الإسلام نشرت الدعاية الفرنسية أن هذا الإعلان مجرد خدعة من الألمان للمسلمين حيث قال الحاكم العام في نداء له بتاريخ 07 نوفمبر 1914"إن فخ

[1]-التليلي،صدى حركة الجامعة الإسلامية،المرجع السابق،ص340.

[2]- نفسه،ص341.

[3]-أعمال الملتقى،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى...،المرجع السابق،ص185.

قد نصب للإسلام فيجب أن تفطنوا"و قال الحاكم العام أيضا "إن الألمان هم اللذين يسيرون الحرب و يوجهونها أما العثمانيون فهم لعبة في أيديهم[1]

و في ساحة المعركة و في الثكنات فقد كانت الإدارة الفرنسية تمارس دعاية حثيثة بين الجنود لكي تقاوم الدعاية المضادة و التي كانت تحثهم على الفرار من الجيش الفرنسي و الإلتحاق بالجيش العثماني و الجهاد في صفوفه،فحاولت جذبهم و إرضاء بعض حاجاتهم و متطلباتهم الدينية و الاجتماعية و فعلت ما فعله الألمان و العثمانيون ببناءهم المسجد في معسكر الهلال ،فبنت هيا الأخرى مسجد في Ne gest–sur– Marneلأداء الصلوات الخمس المفروضة يوميا و استقبال الجرحى في الحرب ،كما تم مراعات تناول الأطعمة المشروعة مثل اللحم الذي كان يمنح لهم مذبوح بطريقة الإسلامية و تم تعيين بعض أئمة لأداء الصلوات الخمس[2]

-<u>الإجراءات الجذرية:</u>

يقصد بها تلك الإجراءات العميقة ذات الأثر البعيد ،حيث أن فرنسا وقفت على العديد من مؤشرات الولاء الصارخ لعديد من فئات المجتمع المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى و نحن نختص هنا الجزائر للدولة العثمانية في ظرفية أعلنت فيها هذه الأخيرة الجهاد المقدس و دعت فيها مسلمي المستعمرات و بالخصوص مستعمرات فرنسا الى إعلان الحرب ضدها فتبنت سياسة دينية موجهة إلى أعدائها من الحلفاء حتم على فرنسا انتهاج سياسة دينية هي الأخرى و استعمال رموز الدين للرد على أعدائها [3]

-توظيف رموز الدين :

إن احتداد التنازع على الإسلام بين فرنسا و ألمانيا قد بلغ أوجه بإعلان الدولة العثمانية الجهاد الأمر الذي حتم على الأطراف المتقابلة استعمال الدين و رموزه و التدليل

[1]– أعمال الملتقى ،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى ...المرجع السابق ،ص186.

[2]–ناصر بلحاج، **<u>دور الدعاية الألمانية العثمانية</u>**.... ،المرجع السابق،ص12.

[3]–التليلي،صدى حركة الجامعة الإسلامية،المرجع السابق،347.

بالحجج و البراهين ملموسة على أحقيتها في وجاهة سياسة دينية متذرعة في ذالك بمساندة رموز الدين لتلك السياسة و وقوفهم إلى جانبها ،ذالك أن حدة الدعاية الألمانية و مضامينها [1] حتم على فرنسا محاولة منها موازنة ذالك النفوذ و إيجاد هي الأخرى ثقل روحي و ديني معادل له،فسارعت إلى استغلال الدين بطريقة غير مباشرة لمصالحها السياسية بمساندة رموز الدين ووقوفهم إلى جانبها حيث أصبحت في هذه الحرب المسألة الدينية تشغل الشاغل للأهالي و ذالك باختلاط على أذهانهم الأمور من جراء التصريحات و التصريحات المضادة ،و المنشورات الدعائية و المناشير السرية و ما كان يروج له الدعاة و المبشريين المداحون [2]

تلك هي الأجواء التي ميزت فرنسا من خلال اعتمادها على سياسة الولاء بتداولها رموز الدين و عملهم على إعلان تأييدها لها و ادعائهم على ان الدولة العثمانية هي مجرد ضحية للألمان ما جعل فرنسا تكسب تأييد في مستعمراتها بصفة عامة و بالجزائر بصفة خاصة من قبل الطرق الدينية و هذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي و الذي يظهر من خلال التوصيات و النداءات ،ففي الجزائر تحركت الأطر المالكية و الحنفية بقسنطينة بإضافة إلى العديد من المشايخ الطرق الصوفية التي قدمت الولاء و الإخلاص لفرنسا[3]

وفيما يخص استعمال رموز الدين في الجزائر فقد أدرك الفرنسيون جيدا أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه رفع شعار الإسلام في التأثير عليهم في هذه الحرب لمواجهة الدعاية العثمانية التي رفعت لواء الجهاد في سبيل الله و كما سبق و أن اشرنا من اجل ذالك استعملت فرنسا رجال الدين و المفتتين في إعطاء الشرعية الدينية لمشاركة في الحرب قال مالك بن نبي "كانت الإدارة الفرنسية تستمر في التجنيد بلغ بها الأمر أنها كانت تستفز

[1]– سنو،ألمانيا و الإسلام.....،مرجع سابق،ص61.

[2]–التليلي،صدى حركة الجامعة ....،المرجع السابق ،ص350.

[3]–سعد الله ،الحركة الوطنية 1830–1900،ج1،الطبعة 1،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1922،ص284.

منابر الجوامع لنداء الحرب و قد استجاب الأئمة و المفتون الرسميون لندائها بحكم كانوا موظفين لديها فباركوا الحرب إلى جانبها و حاولوا إعطاء الشرعية الدينية

-الحجج و البراهين التي استعملتها الدعاية الفرنسية :

اتخذت فرنسا في كسب تأييد رجال الدين على مجموعة من الأسباب و الحجج التي لكسب رجال الدين و الطرق الصوفية لكي تستطيع تعبئة الأهالي و نجاح الدعاية مايلي:

من الحجج التي استعملتها أن فرنسا هي المظلومة و ألمانيا هي الظالمة المعتدية و بالتالي وجب على الفرنسيين و الجزائريين بحكم كون الجزائر مستعمرة فرنسية و تعرضها للهجوم الألمان في 02اوت 1914 أن يدافعوا عن وطنهم و أنفسهم [1] و محاولة تشويه سمعة الأتراك بحيث يقول جلبرت ميني في هذا الصدد نقلا عن الدكتور مورسلي "لقد دمر الألمان كتدرائية ريمس ،أيها المسلم ،ما لذي يتركونه من مئذنتك من كل ما هو إيمانك ،روحك ،فكرك،هؤلاء المدمرون ...و ستكونون أيها المسلمون الأفارقة ،كونوا فخورين أيها المسلمين الفرنسيون" [2]

لقد غزو بلادنا المحايدة لهم و استولوا على أراضيها بوحشية ،و قاموا بذالك دون إعلان رسمي للحرب و دون سبق إنذار و هم اليوم يهجمون على وطننا الأم فرنسا،لقد حطموا و داسوا حقوق الإنسان و القوانين الدولية و هم معروفين بالعنف و الغطرسة و الاستكبار منذ القدم و فرنسا بالمقابل رمز العدالة و الشهامة و الحضارة و المدافعة عنها ،قد خطت خطوة هامة في خدمة الإنسانية و لذالك منحها الله مستعمرات واسعة و يمنحها الانتصار في الحرب فاثبتوا أيها المسلمين شجاعتهم الكبيرة اثبتوا أن دم أبائكم يسري في عروقكم و لا تسمعوا إلى الأكاذيب و الدعايات[3]

[1]-أعمال الملتقى ،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى ...،المرجع السابق،

[2]- Meynier, op-cit ,p267

[3]-روبر اجرون ،الجزائريون المسلمون و فرنسا،المرجع السابق،ص217.

إن مساعدتكم للفرنسيين واجبة عليكم من باب حسن الجوار و المعاشرة الذي سوف تدخلون به الجنة و عليه نلاحظ أن الهدف هو محاولة دعوة الجزائريين إلى الانضمام إلى الجيش الفرنسي للمشاركة في الحرب و كله بحجة أن الذي يموت يدخل الجنة ،هذه الفكرة هي التي كان الأئمة و الرسميون ينشرونها ما بين الجزائريون و يقنعهم بها ،واستعملوا في ذالك الوعظ و لا سيما خطب الجمعة ،حيث كانوا يدعون بالنصر على الألمان و قوات المحور ،بيما فيهم العثمانيون إخوانهم في الدين و نذكر غلى سبيل المثال ما جاء في خطبة الجمعة لاما ملفقون زاواوي بن محمد صالح أمام المسجد الكبير بقسنطينة في بداية ديسمبر 1914"نحن المسلمون المتحدون مع الأمة الفرنسية في حربها لأنها حاميتنا فلنبقى موالين لها ،و ننظم إلى صفوفها إما النصر أو نموت و لنرفع أيدينا إلى السماء و تدعوا الله النصر لبلدنا الأم فرنسا "قال المفتي المالكي بنفس المسجد"الله يدعوا أن يرحم اللذين ماتوا في الحرب أن أبناءنا و أبناء المسيحيين الاسرئليين يحاربون بنفس الروح و الهدف هوا الدفاع عن فرنسا أن نصرهم الله"[1]

كما كانت الإدارة الفرنسية تعتمد في دعايتها على نشر فكرة القادرية بين الجزائريين و ذالك ما نلاحظه من خلال تصريحات أولائك الموالين لها تقوم الفكرة على أساس أن فرنسا هم ولاة أمور المسلمون الجزائريون و هيا حاميتهم الوحيدة و أن فرنسا هي قدرهم المحتوم الذي لا يمكن تغيره أو يمكن الاعتراض عليه فمن أركان الإيمان بالقضاء و بالقدر قسمة و نصيب [2]بإضافة إلى استعمار رموز الدين اتبعت فرنسا سياسة إسلامية ووفاء لهذا الشعار قررت فرنسا إقامة دار استقبال في مكة خاصة بالحجاج الجزائريين كان اسمها الرسمي دار الضيوف و ذالك بعد أن سمحت الإدارة الفرنسية بالحج سنة 1916بعد نجاح ثورة الشريف حسين و طرد كل عملاء الألمان من الحجاز[3] بحيث قررت فرنسا و في

[1]–ناصر بلحاج،**دور الدعاية الألمانية العثمانية**... ،المرجع السابق،ص10.

[2]–التليلي ،صدى حركة الجامعة الإسلامية...،المرجع السابق،ص225.

[3]–أعمال الملتقى،الجزائريون و الحرب العالمية الاولى،المرجع السابق،ص188.

سياستها الإسلامية إعطاء المصاريف الدينية من أموال أملاك خزينتها و يصبح رعاية شؤون الديانة الإسلامية من مسؤوليات المقاطعة الإدارة لكسب تأييد المرابطين و رجال الزوايا [1]

II-الشيوخ الرسميون و الفتاوى لصالح فرنسا:

إن الطرق الصوفية مثلت دولة داخل دولة و ذالك بالخصوص من حيث أتباعها الذين كانوا منتمين لمختلف الفئات الاجتماعية و موزعون على مختلف مناطق و الجهات ،الأمر الذي جعل هذه الأخيرة شبيه بالأحزاب خاصة و أنه كان لمشايخها كلمة مسموعة و أوامر تنفذ حيث فاق نفوذ الوالي في القرى و الحواضر نفوذ الأمير نفسه نو لعل أن إدراك السلطات الاستعمارية لمختلف المعطيات المتعلقة بالواقع الطرقي في المغرب العربي هو الذي دفعها إلى العمل على تطويع الطرق و توظيف نفوذها الروحي و سلطاتها الاجتماعية و لذالك لا غرابة أن تعتمد عند الحرب العالمية الأولى و انخراط تركيا فيها و فضلا عن احتداد الدعاية الدينية إلى اعتمادها هي الأخرى في دعايتها المضادة إلى الالتجاء إلى الوجاهاء و الأعيان وبالخصوص مشايخ مختلف الطرق الصوفية لحملهم على إعلان ولائهم لها و هذا ما سيفسر تهاطل "رسائل الإخلاص"الصادرة عنهم في مختلف المسؤولين في البلاد المغرب العربي .[2]

و أمام الجهل الذي تولد عن سبعين سنة من الإهمال لتعليم و تعميق التخلف لدى العامة أكثر الفرنسيون من الطرق الصوفية المستقلة و منحوا الشيخ سلطات روحية على أتابعه شرطا أن يكون مواليا و مخلصا لفرنسا ،و لما زاد الجهل ارتمى الجزائريون في

[1]-التليلي،صدى حركة الجامعة... ،المرجع السابق،ص357.

[2]-التليلي العجيلي ،السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى ،ط1 ،مجمع الأطرش للنشر و التوزيع،2018،ص304.

أحضان الطرق الصوفية باعتبارها تمثل الدين و تعد بالإخلاص بينما ارتمت الطرق الصوفية بنفسها في أحضان السلطة الفرنسية[1]

بحيث تمكنت هذه الأخيرة من اختراق بعض الطرق في تحويل بعضها أو بعض الزوايا من الطريقة من دورها الهام في مواجهة الاحتلال إلى ابتعاد عن السياسة أو التحول إلى دعم العلي لفرنسا و لا يمكن أن نعمم موقف مقدم الطريقة أو شيخ الطريقة مثلا على الطريقة أن نأخذ بعين الاعتبار أن تلك الطرق كانت مجبرة على التصريح بالولاء [2]و ل التعرف على نماذج من التصريحات اعتمدنا على مجلة العالم الإسلامي في هذا المبحث بحيث أن هذه الأخيرة قد أوردت مجموعة من النداءات و التصريحات لمختلف رجال الزوايا و الطرق اللذين كانوا موالين لفرنسا ،حيث أننا نجد أن معظمهم انخرطوا في صفوف الجيش الفرنسي يقول أبو قاسم سعد الله"كان على الفرنسيون أن يتصدوا لهذه الطرق التي اعتبروها عدوهم الذي لا يقهر فجندوها الجيش و لكن بأسلحة أخرى لتشتيت الصفوف و تمزيق الوحدة داخل الطريقة الصوفية الواحدة و الكشف عن أسرارها بجلب ضعاف النفوس إليهم من بعض الطرق و استعمال العصا و الجرزة معا و شراء الذمم و تحالف بعض الطرق و تزويج رجالها من فرنسيات "[3]

1-الطريقة التيجانية :

-تعريفها:

تنسب إلى مؤسسها أبو العباس أحمد المختار بن احمد التيجاني و هو من مواليد عين ماض بأغواط (1150هـ-1737م)أحصى لها الفرنسيون في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر 17 زاوية و 100مقدم و 11082 مريد[4]دخلت الطريقة إلى البلاد التونسية من مطلع القرن التاسع عشر غلى يد سيدي براهيم الرياحي ،حيث كانت دولة زاوية لطريقة بالبلاد

[1]-تيتة ليلى،**موقف بعض الزوايا و الطرق الصوفية بالجنوب** ، المقال السابق.

[2]-المرجع نفسه.

[3]-سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ج4،المرجع السابق،ص31.

[4]-صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية ،المرجع السابق،ص119.

التونسية تركزت أولا بالحاضرة ثم غزت الجنوب فأسست ستة 1814زاوية بتزر،حيث لم تظهر لها زوايا في النصف الشمالي إلا في مطلع نصف الثاني من القرن 19منها زاوية الشاوس 1846 و من أشهر زواياها زاوية سيدي صالح التيجاني ببوعرادة [1] و التي سوف نشهد لها ولاء لصالح دولة فرنسا.

– النداءات و التوصيات الصادرة شيوخ زوايا من الطريقة التيجانية:

تعد الطريقة التيجانية من اكبر الطرق الصوفية انتشار مما جعل السلطات الفرنسية تركز عليها و لعل أبرز ما جاء من توصيات و نداءات تعبر عن ولاءها للدولة فرنسا ،نذكر ما يلي:نداء السيد محمد الكبير بن سيدي محمد الكبير إبن القطب الأكبر سيدي احمد التيجاني لأحباب طريقته جده في جميع البلدان مفتتحا نداءه بتحميل ألمانيا السبب في اندلاع الحرب العالمية الأولى ،و ذالك من أجل التوسع و مصالح سياسية و اقتصادية فقط واصفا إياها بالتوحش مبررا بان دولة تركيا لم تكن سوى مجرد ضحية في هذه الحرب من خلال انضمامها و بهذا تصبح دولة تركيا لا علاقة لها من الإسلام سوى مجرد الاسم فقط،و عليه فان دعايتها باسم الإسلام غير صالحة ،ليثني شيخ الطريقة على دولة فرنسا و بفضائلها و عدلها "**يا أيها الأحباب ...قد استقر في علمكم أن ألمانيا التعيسة جلبت هذه الحرب لجميع العالم بقصد توسيع ملكها و استعباد الأحرار و ذالك لما اشتهرت به من التوحش و التجبر و الكبرياء و قد قامت دولتنا العزيزة فرنسا عن مقاصدها الفاسدة خدمة للعدل و الحق و الإنسانية و لعجب العجاب أن دولة تركيا الضعيفة تدخلت في هذه البلية التي دفعتها إليها ألمانيا فحالفتها و لم تنتبه من غفلتها إلى عاقبة الأمر التي فيها دمارها لا محالة و السبب في ذالك أن دولة تركيا ،الآن بيد عدة رجال من الجور ترك لا يعرفون شيئا من الدين ،و لم يكن لهم من الإسلام إلا اسمه الشائع عنهم في جميع أفكار الدين أنهم باعوا بلادهم لإمبراطور ألمانيا بالرنان الأصفر و العياذ بالله و**

[1]–تيتة ليلى، **موقف بعض الزوايا و الطرق الصوفية** ...،المرجع السابق

من أمثالهم أما تركيا المسكينة فمثل الباحث على حتفه ،على كل حال فإننا ننكر كل علاقة بيننا و بين الترك"[1]

و في عريضة أخرى لشيخ الطريقة التيجانية الواردة في وثيقة عثر عليها الدكتور عبد الكريم بوصفصاف رحمه الله تحت عنوان "خط المسلمين في خط تركيا بعد دخولها الحرب الكونية الأولى" و هذه الوثيقة صادرة عن شيوخ الطرق الصوفية و رجال الدين الرسميين في الجزائر بتاريخ 20نوفمبر1914جاء فيها حول موقف الطريقة التيجانية يقول شيخ الطريقة التيجانية "**فو الله قد أخطأ رجال دولة تركيا فاحشا يدل على جنونهم و لحيالهم و أعظم شاهد عليهم في ذالك هو التاريخ نفسه ،فمن ذا الذي يجهل فرنسا من أول الزمان إلى الآن ،خير مساعد للأمة التركية تمدها بأموالها و تنورها بعلومها و تنصحها بأراءها الصائبة و تنقذها من المماليك التي ترميها إليها ألمانيا و غيرها و إلى أين تلتجئ تركيا فيما بعد إذا عادتها فرنسا**"[2]

يذكر شيخ الطريقة التيجانية أتباعه في البيان الموجه إليهم غداة اندلاع الحرب العالمية الأولى بالعلاقات العثمانية الفرنسية السابقة لا سيما في عملية التجديد التي اعتمد فيها الباب العالي على فرنسا إبان القرن 19،و ما قبله معتبرة الدولة الفرنساوية بمثابة الماء و الهواء بالنسبة إلى الدولة العثمانية أما ناحية أخرى يصف ألمانيا بالوحشية و الدمار و أنها قاتلة النساء و الأطفال و مخربة الحضارة ثم يحاول استحضار التاريخ و ينتقل مباشرة إلى الحديث عن ماض العثمانيين في الجزائر ،محاولة تكوين صورة قائمة عل وجوههم في شمال أفريقيا قبل الاحتلال الفرنسي"**أما نحن المسلمون عموما و التيجانيون خصوصا فندين دولة تركيا على أعمالها الفاسدة التي يستحي منها المسلمون في العالم كله من أقصى الهند إلى أقصى الغرب فلا يغرب عليكم أيها الأحباب ما فعله الترك في الجزائر**

[1] –X.Les musulmans français et la guerre ,Revue du monde musulman ,Ernest Leroux , paris,1914,p196.

[2]–عبد الكريم بوصفصاف،تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ،ج2،دار الهدى ،الجزائر ،2013،ص76.

وقت استلائهم عليه..."و في هذا النص يلقي أضواء كاشفة على العهد العثماني و التحجر و البعد عن الإسلام الذي رفع شعاره سلاطينهم الأول بل أنه اعتبر أنهم السبب فيما وقع في الجزائر بعد خروجهم سنة1830[1]من فوضى سياسية و عسكرية و اقتصادية و اجتماعية

و في هذه يقول الدكتور عبد الكريم بوصفصاف انه يوافق و يشاطر شيخ الطريقة التيجانية بحيث أن وجود العثماني فعلا احدث دوامة واسعة النطاق في البلاد بسبب غياب سياسة وطنية محكمة ،و من جهة أخرى فإن شيخ الطريقة التيجانية في الوقت الذي كان يحمل فيه تركيا كل ما أصاب البلاد و يحرض المسلمين ضدها فإنه أمر مبالغ فيه إلى حد التمسح بأقدام في خضوع و الولاء للدولة الفرنسية المستعمرة

إن شيوخ الطريقة التيجانية في الجزائر اعتبروا الدولة العثمانية دولة مارقة عن الإسلام انطلاقا من كونها ألقت بالمسلمين إلى التهلكة ،عندما قررت الدخول في الحرب إلى جانب ألمانيا و لكن الأمر أن هؤلاء الشيوخ لم يتوقف عند هذا الحد بل ذهبوا إلى حد الاعتراف بفضائل فرنسا [2] و يطهر كذالك من خلال نداء السيد محمد البشير بن السيد محمد التيجاني شيخ زاوية تماسن لجميع مقدميه و أحباب طريقته "...**فإننا نجد بالقلب و القالب منذ إستلاءها على هذا الوطن لم تصنع إلا ما فيه عز للبلاد و العباد في نشر لواء العافية و العمران و احترام الدين و قهر الظالمين و نصر الضعيف على القويو إقامة قسطاط العدل ...فإننا كلنا لدولة العظيمة بأموالنا و أنفسنا و أولادنا لدفاع عنها عازمين عل قتال أعدائها**"[3]ليختتم نداءه بالدعاء لفرنسا في انتصار على أعدائها.

و في وصية أخرى لسيد محمد العروسي زاوية قمار إلى سائر مقدميه و أحباب طريقته هو الأخر يدعوا فيها إنكارهم لدولة تركيا و ذالك لنفس السبب و هوا مشاركتهم في

---

[1]-عبد الكريم بوصفصاف،تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر،نفس المرجع ،ص86.

[2]-نفسه ،ص86.

[3]-les musulmans français et la guerre ,op-cit,p208.f

الحرب إلى جانب ألمانيا و يدعوا أتباعه إلى مساندة فرنسا لما عليهم من فضل وعليه يجب دعمها بالمال و الرجال و الأولاد ،و في هذا النداء يعترفا لعروسي بأن هناك من اتبعهم منخرطون في الجيش الفرنسي للمحاربة إلى جانبه "**فإن أولادنا داخلون في جيوشها يقاتلون العدو مع إخوانهم الفرنسيون و نحن كلنا مستعدون بأموالنا و كل ما هو عزيز لدينا للزحف على العدو و إن دعتنا فرنسا لذالك...**"[1]و من هذه الوصية اعتراف من السيد محمد لعروسي بأن ولاءهم وصل إلى حد الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي من رجال الطرق الصوفية ،و لم تكتفي فقط بإرسال نداءات و توصيات بل كان لها أساليب أخرى عبرت بها عن ولاءها من خلال تقديم الخدمات

و من بينها الدور الأبرز الذي قام به محمد المنوبي التيجاني شيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة في تهدئة الأوضاع بالمنطقة و تمكن بفضل تدخلاته ووساطته من تهدئة الأوضاع باستعمال نفوذه المادي و الروحي و إعادة الفارين من التجنيد و هذا و كان متطوعين في الحرب من أتباع الطريقة التيجانية أمثال محمد الشريف التجاني [2]

لقد ذهب البعض إلى اعتبار أن بيانات الولاء تلك التي صدرت عن هذه الطريقة كانت كرها تحت ضغط التهديد أصحابها فمختلف الزوايا و هذه التصريحات التي عبرت عنها جاءت كرها و لم تكن عن طيب نفس.

2-الطريقة الرحمانية:

أ-تعريفها :

الطريقة الرحمانية (1188هـ-1774م)تنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الرحمان القشوطي الإدريسي الحسن الأزهري (1720م-1794م)من قبيلة ايت إسماعيل بجرجرة

---

[1]-وصية السيد محمد العروسي شيخ زاوية لسائر مقدميه و أحباب طريقته ،مجلة العالم الإسلامي،المصدر السابق،ص212.

[2]- التليلي ،سياسة الإسلامية لفرنسا... ،المرجع السابق،232.

،كانت من أوسع الطرق انتشار في الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية إذ كان لها فروع في الشرق و الجنوب أشهرها زاوية الهامل بوسعادة ،زاوية الحملاوي ،وباشتارزي في قسنطينة ،زاوية الخنقة سيدي ناجي ببسكرة و زاوية طولقة [1]عند احتلال بسكرة هاجر مصطفى بن محمد بن عزوز (حيث كان ولاء شيوخ الطريقة في فروع طولقة ،أولاد جلال ،أوراس ،الخنقة ...الخ)إلى نفطة بتونس و أسس بها زاوية الرحمانية التي أصبحت ذات شهرة واسعة قبل احتلال تونس سنة 1871،إذ نجح في اجتذاب عدد كبير من الناس إلى طريقته[2]

بعد ثورة 1871 التي هي ثورة المقراني و الحداد اضطهدت الطريقة الرحمانية من طرف فرنسا وهدمت زاوية الواقعة في المناطق الثائرة وتفرعت في فروع وفقدت مركزيتها بعد زاوية صدوق" بزعامة الشيخ الحداد ونفي زعمائها إلى خارج الجزائروجزء منها نفي الى تونس(فرع المقرانيين)حيث كانت هذه الطريقة أكثر انتشارا في الجزائر ون حيث عدد زواياها حسب المستشرق راين 177 ،وعدد أتباعها 156213.وتمكن الاحتلال الفرنسي من أحداث خلاف بين الزوايا أدى إلى انفصالها. أن الدور البارز للطريقة الرحمانية في فترة الاحتلال خاصة بعد الانتفاضة التى قادتها سنة 1871، جعلها هي الأخرى لم تسلم من السياسة الانتقامية لسلطات الاستعمار الفرنسي.

ب-موقفها من الصراع

إن الطريقة الرحمانية التي قادت ثورات عديدة في القرن التاسع عشر هي الأخرى لم تسلم من ضغوطات الإدارة الاستعمارية ،حيث تذكر بعض المصادر أن شيخ زاوية الهامل طلب ون أتباعها تأييد فرنسا [3]بحيث تعتبر زاوية الهامل المتربعة على عرش لطريقة الرحمانية في الحضنة وأولاد نايل و الأوراس ، حيث كان موقف شيخها مختار بن الحاج

[1]-صلاح مؤيد العقبي ،الطرق الصوفية... ،المرجع السابق ،ص103.

[2]-محمد عيسى الجزائري ، نبذة عن تاريخ التصوف في الجزائر ،الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،2011،ص15.

[3]-سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي...،ج4،المرجع السابق،ص ص183-185.

محمد .يناشد فيها كافة المسلمين بصفة عامة وأهل الطريقة الرحمانية بصفة خاصة بان يؤيدوا فرنسا في حربها ضد عدوهم الألمان ونعت الدولة العثمانية بالدولة المغرورة لأنها وافقت على المحاربة في صف الألمان ضد فرنسا وانجلترا و روسيا ، "**أما نحن مسلمو الجزائر فما علينا إلا أن ننتهز هذه الحادثة فرصة جديدة لنبين ونثبت لدولتنا الفرنساوية العزيزة محبتنا الصادقة بقصارى الجهد على أعدائها فإنها تسالنا كما هو مقرر في الأذهان مزايا لاتحصى.....فأين هذا الوقت من وقت إستلاء الترك على القطر الجزائري،فقد حدثنا عن أبائهم بأنه لم ينالوا في وقتهم العافية ولا أمنا على أنفسهم ولا على أولادهم ،مع ارتكاب الفضائح و القبائح وعليه سنحبكم أيها الإخوان أن تكونوا مع دولتنا يدا واحدة وتنصروها على أعدائها بجميع أنواع النصر** "[1]

كما قام السيد عمورة بن علي بن عثمان شيخ الطريقة الرحمانية بزاوية طولقة المشهورة هو الأخر بنداء الولاء لسلطات الفرنسية جاء تحت عنوان أن ألمانيا مبغوظة في جميع العالم بقسوتها ووحشيتها جاء فيه كالتالي "**إلى كافة مقدمين وإخواننا بعد السلام . بغير خفي عنكما أن زاويتنا الرحمانية الطولقية بينها وبين دولتنا الفرنساوية تعلق لا مزيد عليه حتى صرنا معها كالأصابع الملتصقة براحة فنحن وإياها ذات واحدة وما يصيب لحد الطرفين يألم الأخر وعليه فإننا نتوجع من أفعال دولة تركيا الرديئة التي عدلت عن طريق الصواب لانضمامها إلى الألمان الظالم في هذه الحرب فان ألمانيا مبغوضة في جميع أنحاء العالم لقسوتها ووحشيتها.....**"[2]

وعليه كباقي النداءات الأخرى نص نداء زاوية طولقة على إبراز ترابط الذي يجمع بين الجزائر وفرنسا ،وان ألمانيا مبغوضة من طرف جميع المسلمين لذلك على الجزائريين أن يقفوا وقفة واحدة أمام عدو فرنسا وعدوهم بحيث أن دولة تركيا هي الوحيدة التي أنصتت

[1] – les musulmans français et la guerre ,op-cit, p.218

[2]–نداء السيد عمر بن عثمان شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية طولقة المشهورة ،مجلة العالم الإسلامي ،المصدر السابق،ص222.

إلى أكاذيبها وانضمت إليها ،وكذالك ممن عبروا عن ولائهم شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية أولاد جلال ،واصفا ألمانيا بالتوحش الهمجية وإنها سبب في الحرب ،بحيث ينكرون عدم وجود أية رابط بينهم وبين الأتراك وفي أخر نداءات الزاوية الرحمانية المعروفة ختم بالدعاء النصر لفرنسا ودعوة الجزائريين لخوض الحرب معها "يا إخواننا الواجب علينا أن نعين دولتنا الفرنساوية الحبيبة بالرجال والأموال فإنها سبلت علينا الراحة والأمن ونحمد الله تعالى على وكالتها علينا وهذا وقت مجازاتها....."[1]

إن تاريخ الطريقة الرحمانية عبارة عن سجل حافل بالبطولات وزاخر بتضحيات بالمال والنفس من اجل الدفاع عن البلاد وتحولها في موقفها إلى مماثلة سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر والتودد إليها من خلال هذه المواقف التواطؤ لا تورث إلا المهانة والمذلة ،كل ذالك تناقض صارخ وجذري بين ماضي كله عزة وأنفة و حاضر مخزي.[2]

لاشك أن ما ألت إليه أمر الرحمانية وغيرها من الطرق الصوفية وكل رموز الدين يعود إلى سياسة الترويض والاحتواء التي سلكتها السلطات الاستعمارية في تعاملها مع المسالة الدينية ،والقائمة على أساس تطويع المؤسسات الدينية وحملها على مساندتها وولاءها ،وفي هذا الإطار فان فرنسا قدمت خدمات لأفراد عائلة المقراني[3] .

ولكن هذه المواقف التي ألت إليها جريدة العالم الإسلامي قد لا تعبر عن حقيقة هذه الطريقة الباطنية ،وإنما قد تكون مجرد تأييد ظاهري فرض عليها بإكراه ،فمثلا تشير بعض المصادر والمراجع إلى أسباب اندلاع ثورة 1916 في الأوراس هو الطريقة الرحمانية وهو ما ذهب إليه الأستاذ عمارة هلال الذي ارجع أسباب إلى تحريض شيخ الزاوية الطولقية صاحبة النفوذ على إخوانها الرحمانيين[4] وهو نفس الطرح الذي انتهجه عبد الحميد زوزو

[1]–نداء السيد محمد الصغير بن الشيخ المختار شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية أولاد جلال ،المصدر نفسه،ص226.

[2]التليلي،سياسة الفرنسية...،المرجع السابق،ص223.

[3]-نفسه،ص324.

[4]- عماره هلال ،أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر (1830-1962) ،د.م.ج،الجزائر 1925،ص180.

في أطروحته [1]والدكتور يحي بوعزيز الذي أوضح هو الأخر دور المقدم محمد بن أوديني في تحريض الرحمانية على مهاجمة برج ماكماهون في عين التوتة .

3-الطريقة السنوسية:

أما الطريقة السنوسية فان أمرها هي الأخرى لا يخلو من مفارقة صادمة لما عرفته من مناهضة للاستعمار ودعوتها للمسلمين إلى الجهاد المقدس ضد الذين اجتاحوا أرض الإسلام ، فهي كانت تعد اخطر الصوفية على الإطلاق وذالك لخطورة ما كانت تدعو إليه وكثرة أتباعها حيث أن هنري دو فيري احد المستكشفين الذي ألف كتاب حولها ذهب إلى القول بأن السنوسية تمنع أتباعها حتى من مجرد التخاطب مع اليهود .[2]والمسيحيون خصوصا لاتجار معهم مدعيا أن مبادئ الإسلام تفرضه ، ولذالك فإن خطورة هذه الطريقة أخضعها هي الأخرى مثل الطريقة الرحمانية إلى مراقبة دقيقة لعدد من نشاطها هذا ما جعل السلطات الاستعمارية تقوم بإجراءات ضدها تمثلت فيما يلي:

– فرض الرقابة الشديدة على أتباعها الطريقة السنوسية وإخفائهم في مناطق تواجدهم.

–عدم السماح ببناء أية زاوية وطرد كل داعي أجنبي مشتبه في أمره ،بحيث حدت هذه الإجراءات من تواجد السنوسية خاصة في البلاد السنوسية [3].

لكن رغم سجل الطريقة السنوسية ورغم أدوارها البطولية في طرابلس الغرب ،هذا الاحتلال الايطالي عند الحرب العالمية الأولى فان أمرها انتهى شانها شان غيرها من الطرق لا تستطيع الانخراط في سلك المعبرين عن آيات الإخلاص ولا شيء سوى أن تلك الجهود التي بذلتها في المقاومة باءت بالفشل فانتهى الأمر إلى القبول الأمر الواقع وتعايش مع الاستعمار الفرنسي حيث كانت الطريقة السنوسية من الموالين لفرنسا في حربها وذالك تبعا لما نشرته مجلة العالم الإسلام في نداء الشريف طكوك احمد الشريف شيخ الطريقة

[1] عبدالحميد زوزو،الأوراس إبان الاحتلال (التطورات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية (1837-1939)،تر:مسعود الحاج مسعود،دار هومة،الجزائر،2005،ص260.

[2]-التليلي، السياسة الإسلامية لفرنسا...المرجع السابق،ص325.

[3]-التليلي،الطرق الصوفية والاستعمار....المرجع السابق،ص ص 58-59

السنوسية في زاوية أولاد شافع، جاء فيها كالتالي "إلى كافة مقدمينا وإخواننا المتمسكين بطريقتنا السنوسية ، أما بعد السلام عليكم ،قد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ، الفتنة نار لعن الله وقدها ، هذه دولة تركيا بادرت بالحرب لدولة روسيا التي هي حبيبة وحليفة لدولتنا العظيمة الفرنساوية ...."[1]جاء محتوى النداء الذي وجهه الشريف شيخ الطريقة السنوسية مستدل بالحديث النبوي الشريف متهمين أن دولة تركيا هي التي بادرت بالحرب ،و يأكد ذالك بان دولة تركيا ما تعيشه من حالة اجتماعية واقتصادية مزرية أنما هي لعنة من الله تعالى وذالك لتدخلها في الحرب ،ويشيد بعد ذالك بفرنسا وحلفائها ويصفهم كالبنيان المرصوص الذي لا يمكن التغلب عليه،فتركيا مجنونة بانضمامها للألمان ضد فرنسا ،وفي أخر النداء كما عهدنا في بقية النداءات بطلب من أتباعه وأحبته للقتال مع فرسا ضد أعدائها.

-الطريقة القادرية

بالنسبة لبعض شيوخ الطريقة القادرية تذكر أن الشيخ الهاشمي بن إبراهيم بواد سوف ،ورغم انه عرف بميوله للعثمانيين ومساندته لتاتور العثماني سليمان باشا الباروني ،إلا انه عند اندلاع الحرب العالمية الأولى وجه نداء أيضا مثل مختلف الطرق الصوفية في الجزائر إلى إخوانه يبشرهم فيه وان الأتراك القوا بأنفسهم إلى التهلكة ،ولا علم لهم بكتاب الله عز وجل ،وقال الهاشمي وقال الهاشمي في نداءه "**أن مسلمي الجزائر وإخوان الطريقة لا يقصرون في خدمة دولتنا الفرنسوية العزيزة** ."[2] وهذه الجملة الواردة حرفيا تقريبا في مختلف النداءات والنصائح الصادرة عن الطرق الصوفية ،ومنه يمكن القول أن كاتبها هو واحد ون طرف عبد الواحد الهاشمي صاحب النداء الذي ستتهمه فرنسا فيما بعد بالثورة ضدها ،وبعد قيادته مظاهرة رافضة لتحول العمال المنخرطين في الحرب إلى الجنوب في

[1]-نداء الشريف سيد طكوك أحمد الشريف شيخ الطريقة السنوسية في زاوية أولاد شافع ،مجلة العالم الإسلامي المصدر السابق،ص233-230.

[2]-نداء السيد محمد الهاشمي بن إبراهيم ،شيخ الطريقة القادرية في زاوية تقرت و عمين إلى كافة إخوان طريقته،مجلة العالم الإسلامي،المصدر السابق،243،240.

نوفمبر 1918، نفاه الفرنسيون إلى تونس،وإننا نذكر هذه الأحداث ونقول أن استفادة السلطات الفرنسية من بعض فروع القادرية كان مؤقتا وكان لأغراض يستفيد منهم الطرفان.[1]

وكذالك كان الأمر بالنسبة إلى الطريقة الدرقاوية والشاذلية بحيث أعلن بعض زعماء الطريقة الدرقاوية ولاءهم ودعمهم للاستعمار الفرنسي في حربه وعددوا فضائل فرنسا على الجزائريين في حد تعبيرهم وذموا الألمان وحلفائهم بالمقابل مثلما نشرته مجلة العالم الإسلامي في عدد ديسمبر 1914 .

كما قام العديد من شيوخ الطريقة الشاذلية إعلان ولائهم لفرنسا ونذكر منهم الشيخ بوقاسية عمر بن القاسم من منطقة إيدوغ بعمالة قسنطينة الذي حث أتباعه أن يثبتوا لفرنسا أنهم أبناءها أيضا ،وذالك بانضمامهم إلى الجيش بمليانة ،أبدى كل من الرحمانية ومقدم العيساوية معارضتهم لموقف الدولة العثمانية من الحرب لفرنسا بالنصر وحلفائها [2].وبالتالي فقد قام مقدمو الطرق الصوفية بدور دعائي كبير لتجنيد في صفوف الجيش الفرنسي خلال الحرب ،حيث استغلوا تأثيرهم على عامة الناس وأثروا على طبقة كبيرة منهم فجند الكثير وجمع من أموالهم لصالح فرنسا .

أما عن تونس فهي الأخرى كان لكبار شيوخ الطرق الصوفية نفس الموقف بحكم التواصل الموجود بين هذه الطرق في تونس والجزائر ،أمثال شيوخ الطريقة القادرية ،الرحمانية و العيساوية إلى المقيم العام لفرنسا بتونس محمد الصادق الباهي شيخ زاوية سيدي الباهي بتونس ،محمد الحلفاوي شيخ زاوية سيدي حلفاوي بتونس ،من الشاذلية الشيخ عبد الواحد المحرزي شيخ زاوية سيدي محرز بتونس ،الشيخ الشاذلي بكري شيخ زاوية

[1]-سعد الله أبو قاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج4،المرجع السابق،ص55،54.
[2]-أعمال الملتقى الثاني،الجزائريون و الحرب العالمية....المرجع السابق،33-34.

بكري بتونس[1]كل هذه الطرق هي الأخرى كان لها نفس الولاء والتأييد لفرنسا كما في الجزائر.

-أهم المضامين التي جاءت بها هذه الرسائل.

كما سبق وان رأينا حول محتوى الرسائل المتمثلة في نداءات أو وصيته لمختلف الطرق الدينية في الجزائر حول الحرب العالمية الأولى، فهذه الأطراف رغم تعددها واختلافها واختلاف جهاتها إلى انه نجدها تتفق في جملة من النقاط التي تحتويها رسائلها نذكر أهمها:

1-تعبير تلك الأطراف عن حصرتها [2]وأسفها من دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا التي هي عدوة الإسلام المتوحشة .[3]

2-اعتبار أن انجرار تركيا ودخولها الحرب إلى جانب ألمانيا كان بسبب انخداعها بمكر هذه الأخيرة ودسائسها التي نجحت في جر المملكة العثمانية إلى التهالك [4].

3-تحميل ألمانيا مسؤولية اندلاع الحرب فهي التي على حد قول احدهم أوقدت نار الحرب في أوروبا ساعية وراء منافعها الخصوصية.وعلى حد تعبير شيخ أخر أوقدت نار الفتنة وأشهرت الحرب على دولة فرنسا وحليفتها..."[5]

4-الثناء على دولة فرنسا وتعداد محاسنها ومزاياها التي يجب عدم نكران خيرها وإرجاع بعض من معروفها باحترامها لدين وعوائد الأهالي وعقيدتهم وتهيئة مختلف المرافق .[6]

ومما يلاحظ على هذه المواقف أن جل الطرق الصوفية بمشايخها وأهاليها كان لها نفس الرأي ونفس المحتوى تشابهت قلوبهم وأفكارهم اتجاه تركيا وكذا الدعاء لفرنسا بالنصر.[7]

---

[1]-تيتة ليلى،**"موقف بعض الزوايا والطرق الصوفية بالجنوب الشرقي"** ....المرجع السابق .

[2]-التليل،الطرق الصوفية و الاستعمار....،المرجع السابق،ص175.

[3]-التليلي،السياسة الإسلامية لفرنسا....المرجع السابق،ص312.

[4]- أنظر:السيد وصية السيد محمود بن سيدي محمد البشير إبن القطب الأكبر سيدي أحمد التيجاني لأحباب طريقته ،مجلة العالم الإسلامي المصدر السابق،ص203-204.

[5]--التليلي،السياسة الإسلامية ...المرجع السابق،ص314.

[6]-نفسه،ص315.

[7]-التليلي،الطرق الصوفية و استعمار الفرنسي...المرجع السابق،ص176.

وهذا ما يدفعنا لشك،وطرح السؤال هل يمكن أن تصدر جل الرسائل بنفس المحتوى ونفس الجمل في معظم النداءات والتوصيات وكان كاتبها هو شخص واحد ،يقول عبد الكريم بوصفصاف أن هذه الوثائق التي عبرت عن ولاء الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر أو تونس لم تكن هي الحقيقة لان الشعب الجزائري قد انتفض خلال سنوات الحرب وقام بعدة ثورات و تمردات وهجمات واغتيالات للعسكريين والمدنيين الفرنسيين ولعل اكبر الثورة ألهبوا نارها هي ثورة الاوراس والهقار حتى 1916-1917 بالإضافة إلى فرار المجندين الجزائريين من الجيش الفرنسي ،وصعودهم للجبال أو هروبهم من الجهة الأوروبية نحو ألمانيا ثم تركيا ثم مصر ،ولعل أيضا خير مصدر معبر عن هذا الرفض للوجود الفرنسي ما سجله الأدب الشعبي من قصائد المداحين والرسائل المتبادلة بين الجزائريين وكذلك ما دونته تقارير المخابرات الفرنسية والقيادات العسكرية التي قمعت المقاومة.

و في ختام هذا الفصل يمكن القول أن حتى الدعاية الفرنسية التي استعملت جميع الأساليب من أجل تحقيق سياستها،فكانت تستعمل سياسة التهريب مرة ،و سياسة الترغيب في مرات أخرى ،فرغم هذه المواقف المحصل عليها من أجل مساندة دولة الفرنسية،إلى أن ظهور ثورات فيما بعد في فترة الحرب العالمية الأولى دليل على فشلها.

خاتـــــــمة

و من خلال دراستنا لموضوع موقف الطرق الدينية أطراف الصراع في الحرب العالمية الأولى توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

أولا: تبين لنا أن دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ،كان أمرا محتما عليها و ذالك نظرا للأوضاع التي كانت تعيشها ،و للهجمة الاستعمارية للدول الأوروبية الأخرى ،و حماية للدولة و مصالح الأمة و الخلافة المهددة .

ثانيا: السياسة الإسلامية لألمانيا كانت تستهدف التضيق على البلدان الاستعمارية الغربية المنافسة لها و لكسب مودة الدولة العثمانية و حماية و تطوير مصالحها الاقتصادية في المشرق العربي خاصة.

ثالثا: سياستها كانت فاشلة نظرا لوجود دعاية مضادة قوية من طرف فرنسا و بريطانيا اللتان أحسنتا توظيف رموز الدين الموالين و الاستناد على بعض تناقضات السياسة الألمانية الإسلامية .

رابعا:إدراك فرنسا لأهمية و دور رجال الدين و شيوخ الزوايا ،بحيث كانت تحتل مكانة الدولة كان لها ثقل روحي و كلمة مسموعة ،ما جعل فرنسا تعمل على تطويعها إلى جانبها و تتمكن من تحصيل مواقف لمساندة فرنسا.

خامسا: جل الطرق الدينية كان موقفها مساند لفرنسا في هذا الصراع ،و لكن أغلب المواقف لا تعبر عن حقيقة مواقفها الكامنة ،فهي إما سلبت من أصحابها بالقوة ،أو أن شيوخ هذه الطرق كانت رضخوا لمغريات و الهدايا و الامتيازات دون اعتبار للأتباع و المريدين .

الملاحـــق

الملحق رقم 01:

الجور والعدالة

المصدر: عبد الرؤوف سنو، ألمانيا والإسلام قرنين التاسع عشر والعشرون .

الملحق رقم 02:

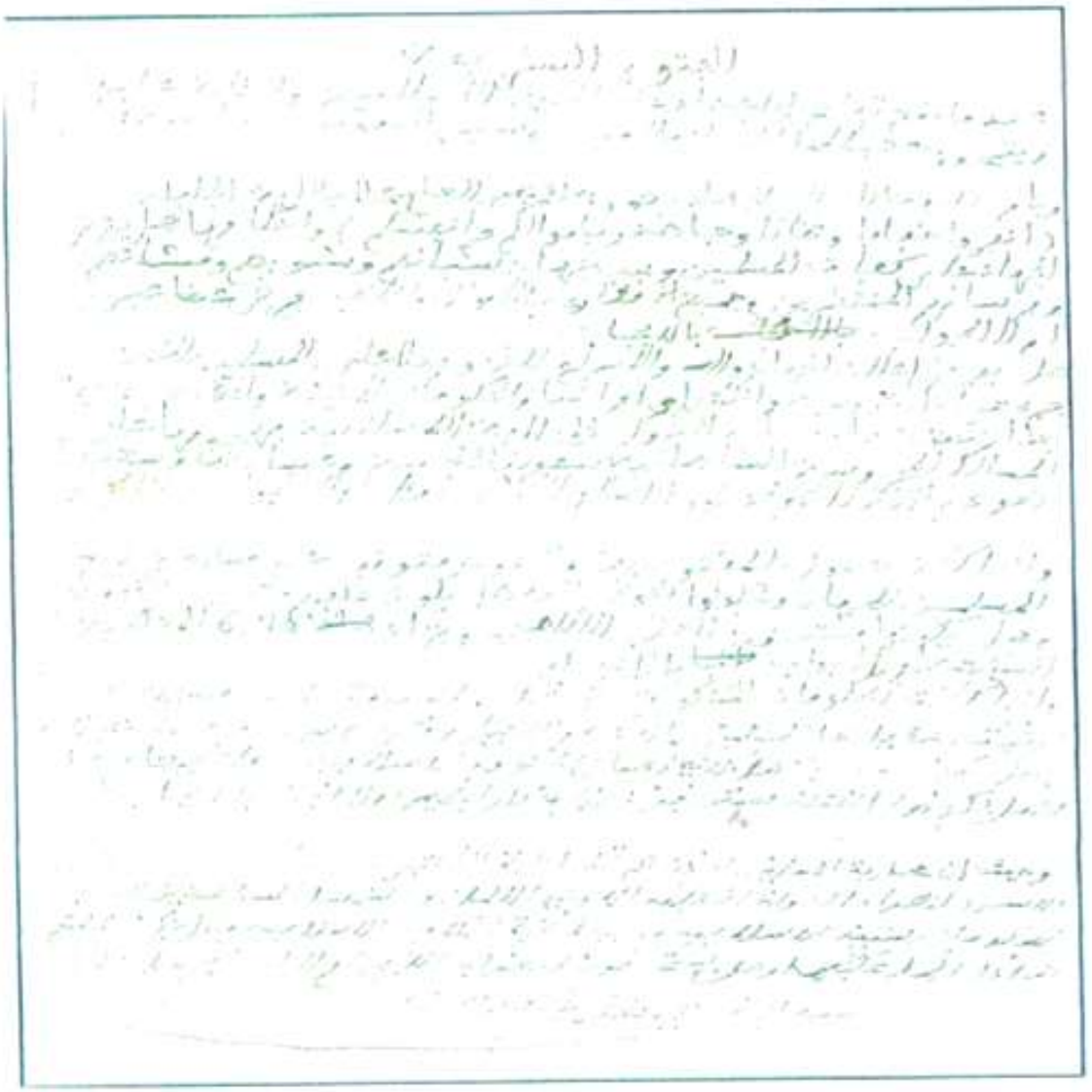

الفتوى الشريفية

المصدر : التليلي العجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية ، في المغرب العربي 1876-1918 م.

الملحق رقم 03:

وصية للمسلمين صادرة من الشيخ
ابن المهوب مفتي السادات المالكية والشيخ باهر نادر
عبد الكريم مفتي السادات الحنفية بقسنطينة وبعض
أعيان البلاد وأهل القوم بقسنطينة

يا مسلمون

لا يخفى عليكم أن أعراض أمور الألمان الخبيثة وسياستهم
العوجاء حببت هذا العالم النفس الكريم وأيامه فأبغض الإسلام
لم يخف هذا الأمر على الأرباب العقل وبهذا من هو
أقوى منه لأنه بيده الرقاب لم يحب هذا الأمر وكره السلم
الحبوب الذي كان قبل الحرب مدعيا إليه خصوصا من الدولة
الفرنسوية ولم يكن يخلب هذا الأمر ولو فكر من له
ولو كان له شعور على دين الإسلام والنصرانية لم يتصور
هذا الأمر ولتحير لهول الحرب ما ينشأ عن الحرب من الخراب
وهتك البرا، وسيلان دماء كثيرة الخراب

يا مسلمون يا إخواننا

على ما عرفتم لكم هو الواقع وهو الذي اختار هذا الأمر
كرها لهذا النفس من رعاياه أو ورعايا غيره قلبا وقلبا
المدافع عن وطنه متمسكا لها عن عليه كلما هذا ولقبح ما تقدم
لهذا الأمر لما علم أن عاقبة هذه الحروب ترجع عليه بالوبال
وأن الذي كان يناله بالطمع صار من المحال الذي هو ...
بدسائسه من غدر ومزوجان الترك حتى غدر الدولة التركية وأخلها
لميدان الحرب وأعانته وأسعده غدر الدولة التركية الخبيثة
الصوبة لعدو الدولة الفرنسوية من قديم وحتى الآن غدر الدولة
التركية وزين لها محاربة روسيا ليحبب هجومها عليه والحال أن
محاربة روسيا هو هذا الوقت محاربة للدولة الفرنسوية والدولة
الإنكليزية. غدر الدولة التركية وإذا زاد على هذا الكسوف
الحلبي لم ينتبه عقلاء رجالها لرد مكائد الألمان لما كفر

فتوى شيخ ابن المهوب مفتي السادات المالكية.

المصدر .Revue du monde musulman:P183

الملحق رقم 04:

الملحق رقم:07

فتوى نداء شيخ الطريقة التيجانية

المصدر : Revue du monde musulman:P191

الملحق رقم 05:

مسجد ومعسكر الهلال ومئذنته الخشبيّة. ويبدو في الصورة حشد من الأسرى المسلمين والضباط الألمان

المصدر: عبد الرؤوف سنو، ألمانيا والإسلام قرنين التاسع عشر والعشرون .

الملحق رقم 06:

تفوق المانيا على بريطانيا وفرنسا علمياً واقتصادياً في
الحرب العالميّة الأولى وفق الدعاية الألمانيّة

المصدر: عبد الرؤوف سنو، ألمانيا والإسلام قرنين التاسع عشر والعشرون .

البيبلوغرافيا

-القرآن الكريم

-حديث نبوي شريف

قائمة المصادر:

إبراهيم بك المحامي ،تاريخ الدولة العلية،ط1،ملتزم الطبع بيروت ،لبنان ،1988.

- -ابن خلدون،المقدمة ،ط2،دار صادر،بيروت،2005.
- أبي قاسم عبد الكريم ابن هوزان القشيري النيسابوري،الرسالة القشيرية في علم التصوف تحقيق و إعداد معروف مصطفى رزيق،ط1،المكتبة العصرية صيدا ،بيروت،2001.
- أحمد توفيق المدني ،هذه الجزائر،مجلد8،دار علم المعرفة،الجزائر.
- ترمنجهام سبنسر،الفرق الصوفية في الإسلام،ترجمة و تعليق:عبد القادر البحراوي ط1،دار النهضة العربية ،بيروت،1997.
- روبر مانتران،تاريخ الدولة العثمانية ،ترجمة:بشير السباعي،ج2،دار الفكر لدراسات و النشر و التوزيع،ط1،القاهرة،1993.
- محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق إحسان حقي،ط9،دار النفائس،بيروت.

المراجع:

- إبراهيم محمد التركي،التصوف الإسلامي (أصوله و تطوراته)،ط1،دار الوفاء لدينا،(د-ت.)
- ابراهيم مياسي ،مقاربات في تاريخ الجزائر(1830-1962)،دار هومة لطباعة و النشر،الجزائر،2007.
- أحمد طالب إبراهيمي،أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،ج1954،4-1959،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1997.

•أمين الريحاني ملوك العرب ج1،ط8،دار الجبل ،بيروت 1987.
•التليلي العجيلي ،السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى ،ط1 ،مجمع الأطرش للنشر و التوزيع،2018.
•التليلي العجيلي ،الطرق الصوفية و الإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1939)،مجلد2،منشورات كلية الأداب بمنوبة،1912.
•التليلي العجيلي ،صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي(1876-1918)،ط1،دار الجنوب للنشر و الطباعة،تونس،2005،.
•د.سهام محمد هنداوي ،التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية (1293هـ/1876م-هـ1327/1909م):وثائق سرية،ط 1،دار نينوى للدراسات و النشر و التوزيع،دمشق.
•رياض الصمد ،العلاقات الدولية في القرن العشرين ،بيروت ،ددط .
• الزبير سيف الإسلام ،تاريخ الصحافة في الجزائر ،الجزائر،الشركة الوطنية لنشر و التوزيع
•سعد الله أبو القاسم ،الحركة الوطنية 1830-1900،ج1،الطبعة 1،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1922.
•سعد الله أبو القاسم ،الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2،دار العرب الإسلامي ،بيروت ط1.
•سعد الله أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954ج4،ط1،دار الغرب الإسلامي،1998.
•شارل روبر اجرون ،الجزائريون المسلمون و فرنسا 1871-1919،ج2،تر:م-حاج مسعود -ع.بلعربي ،دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،دط ،2007.
•شارل روبر أجرون،الجزائريون المسلمون و فرنسا(1871-1919)،ج1،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2007.

•صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان،حقيقة التصوف و موقف الصوفية من أصول العبادة و الدين ،ط1412،1ه،دار العاصمة ،المملكة العربية السعودية ،1412.
•عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ،تاريج الجزائر العام(1514-1530)،ج3،دار الأمة لنشر و التزيع،ط.د.
•عبد الرحمن عميرة ،التصوف الإسلامي منهجا و سلوكا،مكتبة عميرة للكليات الأزهرية.
•عبد الرحمن بن محمود نموس،الصوفية بين الدين و الفلسفة،طبعة جديدة و منقحة و مزيدة،دار إيمان لنشر و التوزيع،دت.
•عبد الرؤوف سنو ، "الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى "،بحوث تاريخية ،بيروت،دط،2002.
•عبد الرؤوف سنو،ألمانيا و الإسلام في القرن التاسع عشر و العشرين ،دار الفرات ط2007،1.
•عبد العزيز سليمان نوار،تاريخ العراق الحديث حتى نهاية الحكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ،دار الكتاب العربي ،القاهرة .
•عبد العزيز شهبي،الزوايا و الصوفية و العزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر،دار المغرب لنشر و التوزيع،الجزائر.
•عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها،ج3،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة ،دط.
•عبد العزيز محمد الشناوي ،الدولة العثمانية (دولة مفترى عليها)،ج1،مكتبة الانجلو المصرية ،القاهرة،1980.
•عبد الكريم بوصفصاف،تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ،ج2،دار الهدى ،الجزائر 2013.
•عبد الكريم بوصفصاف،التصوف مفاهيمه و أبعاده،م.دط،جامعة أدرار .
•عبد الله دجين السهلي،الطرق الصوفية (نشأتها و عقائدها و آثارها)،ط1،دار كنوز إشبيليا،الرياض،1426هجري،2005م.

• عبدالحميد زوزو،الأوراس إبان الاحتلال (التطورات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية (1837-1939)،تر:مسعود الحاج مسعود،دار هومة،الجزائر،2005.
•علي سامي النشار،نشأة الفكر الصوفي في الإسلام (الزهد و التصوف في القرنين الأول و الثاني هجري)،ج3،ط8،دار المعارف،كورنيش النيل ،القاهرة،1119.
•عماره هلال ،أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر (1830-1962) ،د.م.ج،الجزائر 1925.
•محمد صالح بجاوي ،متعاونون المجندون في الجيش الفرنسي 1830-1948م.دط،دار القصبة لنشر ،الجزائر 2009.
•محمد عيسى الجزائري ، نبذة عن تاريخ التصوف في الجزائر ،الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،2011.
•محمود السيد ،تاريخ دول المغرب العربي(لبيا،تونس،الجزائر،المغرب،موريطانيا)، مؤسسة شباب الجامعة،شارع الدكتور مصطفى ،مشرفة لنشر،2000.
•منال عبد المنعم جاد الله ،التصوف في مصر و المغرب ،(دط)،منشأة المعارف باسكندرية،د ت.
• يالماز أوزتان ،موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية (السياسية و العسكرية و الحضارية)،تر،عدنان محمد سلمان ،مجلد ،3،دار العربية للمسوعات ،2010.
•يحي بوعزيز، موضوغات و قضايا في تاريخ الجزائر و الغرب،دار الهدى بعين مليلة،الجزائر.

المصادر باللغة الأجنبية:

•Meynier Gilbert ,L'Algérie Révélée, La guerre de 1914-1918,le premier quart du XX(20) siècle, éditions el-maarifa,2010.
•X.Les musulmans français et la guerre ,Revue du monde musulman ,Ernest Leroux , paris,191.4

المجلات:

•عبد الله الوهاب شلاني ،مجلة العلوم إنسانية و اجتماعية،نصف سنوية،المركز الجامعي الشيخ تبسي،أفريل 2006.
•صاحب السجادة الكبرى يلقي بين أيدي فرنسا خطبة الإخلاص ،مجلة الفتح ،العدد 257،القاهرة،يوم 16صفر،1350هجري.
•ناصر بلحاج ،دور الدعاية العثمانية الألمانية في رفض التجنيد الإجباري و الدعاية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ،العدد3،2008،جامعة غرداية .
•هشام صالح التكريتي ،(التغلغل الألماني في المشرق العربي قبل الحرب العالمية الأولى)مجلة المؤرخ العربي ،العدد 26،بغداد 1985.

•الأطروحات الجامعية:

• محمد دراوي ،الجزائر و الجامعة الإسلامية 1876-1924،مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجيستر،إشراف مولود عويمر،جامعة الجزائر،2007-2008.
•ماجدة القاسمي الحسين،الطريقة الرحمانية(أركانها و أصولها،(رسالة ماجيستر العلوم الإنسانية كلية أصول الدين)،جامعة الجزائر،2005.

•خنفوق اسماعيل،دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس(1844-1931)،رسالة ماجيستير في التاريخ الجزائر الحديث و المعاصر،جامعة الحاج لخضر،باتنة،2010-2011.

•شيخ لعرج موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال و غرب أفريقيا خلال القرن 19و بداية القرن العشرين (رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ،تخصص علوم في التاريخ الحديث و المعاصر)،جامعة وهران أحمد بن بلة 2016-2017م.

•الدراسات و المقالات:

•الدبجاوي مصطفي حيدر محسن ،دور المستشرق ماكس فون أوبينهام في الدعاية العثمانية الألمانية للحرب المقدسة1915-1918م،دراسات إستشراقية ،العدد 12،صيف 2012م.

•عبد الرؤوف سنو،سياسة ألمانيا إسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط 1885.

•عبد الرؤوف سنو،سياسة ألمانيا الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط1858-1918:تحالف استراتيجي أم تحقيق مصالح قومية؟

•عبد الرؤوف سنو ،الإسلام و الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى "بحوث تاريخية مهداة منير إسماعيل ،تنسيق محمد مخزوم و آخرون ،بيروت ،2002م.

عبد الرؤوف سنو، الجهاد صنع في ألمانيا،قناة بي بي سي،24-11-2014.

الملتقيات:

•أعمال الملتقى الوطني الثاني ،الجزائريون و الحرب العالمية الأولى 1914-1918في الذكرى المئوية لاندلاع الحرب ،18-نوفمبر2018،جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة،دار التل لطباعة ،البليدة،الجزائر.

•تيتى ليلى ،موقف بعض الزوايا و الطرق الصوفية بالجنوب الشرقي الجزائري و تونس من مسألة مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ،الملتقى الدولي حول:التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري و تونس،1881-1954،كلية العلوم الإنسانية و اجتماعية ،جامعة الوادي ،أيام 3-4نوفمبر 2013.

•**الموسوعات و القواميس:**

•الزراكلي خير الدين :أعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين المستشرقين، ج6،دار العلم للملايين،بيروت ،2006م.

•إبن منظور ،لسان العرب .

الفـــــــهرس

الفهرس

شكر

إهداء

مقدمة.....1

الفصل الأول: مكانة الطرق الدينية في المجتمع الإسلامي

I: ماهية التصوف و نشأته.....7

1- مفهوم التصوف.....7

2-نشأة التصوف: 11

دور الطرق الصوفية في المجتمع الاسلامي

1-الدور الديني.....13

2-الدور الاجتماعي.....14

3-الدور الثقافي التعليمي.....16

III: الدور العسكري للطرق الدينية في مقاومة الاستعمار الأوروبي.....17

1-في الجزائر.....17

2-في تونس.....21

الفصل الثاني: الدعاية الألمانية العثمانية و دورها في استمالة الطرق الصوفية

I:تاريخ العلاقات الألمانية العثمانية 34

1:العلاقات العثمانية- الألمانية قبيل الحرب لعالمية الأولى.....34

2: مظاهر التقارب الألماني العثماني.....35

3-العلاقات الألمانية العثمانية عشية الحرب العالمية الأولى.....37

II:الدعاية الألمانية العثمانية أساليبها.....40

1-الدعاية الرسمية الدينية.....40

2-أساليب الدعاية 41

الفصل الثالث: موقف الطرق الدينية من الدعاية و الدعاية المضادة في الجزائر

I: فرنسا في مواجهة الدعاية الألمانية- العثمانية 64

1-الدعاية الألمانية- العثمانية في الجزائر.....65

2-إجراءات الفرنسية ضد الدعاية الألمانية العثمانية.....67

3-الدعاية الدينية الرسمية لفرنسا.....70

II: الشيوخ الرسميون و الفتاوى لصالح فرنسا.....74

1-الطريقة التيجانية 75

2-الطريقة الرحمانية 78

3-الطريقة السنوسية.....81

خاتمة.....91

الملاحق.....93

البيبليوغرافيا.....99